(٦)

روايات عالمية

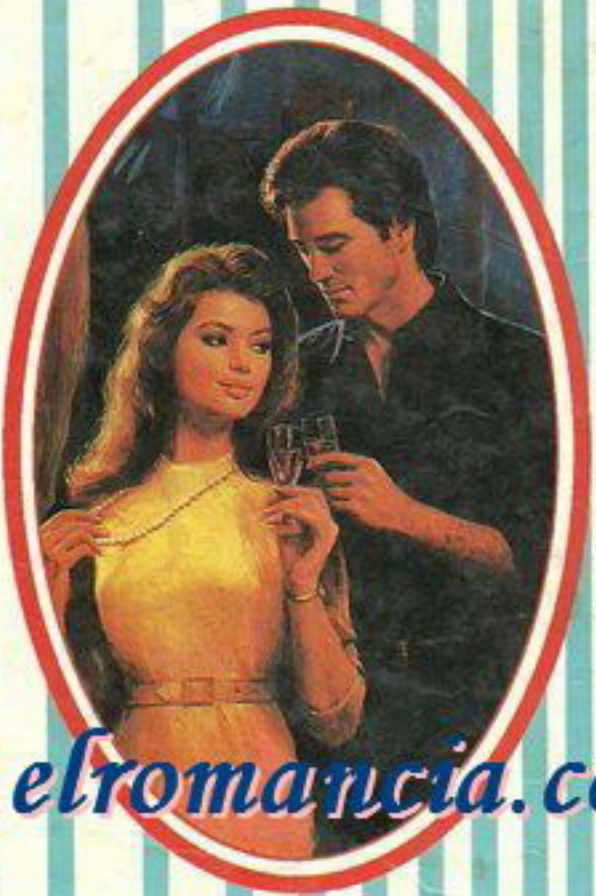

www.elromancia.com

مرمورية

إعداد وتقديم : أحمد حسين أحمد

الإيمان .. الأمل . والحب

هل تدوم الأحلام ؟

عندما توجه صاحب المزرعة " لوك سومرز" إلى المحكمة ، خصماً ضد " راشيل كارستيرز" ، التي كانت تحاول الحصول على حضانة ابن أخيه الطفل الصغير ؛ لم يكن يتوقع أبداً أن يواجه تلك المخلوقة الرقيقة الضائعة ، التي أثارت بداخله هذه الرقة الهائلة.

من هي " راشيل " الغامضة ؟ ولماذا سافرت عبر الكرة الأرضية وجاءت من النصف الآخر للعالم لتحارب من أجل طفل لم تكن حتى قد رأته من قبل ؟

كان " لوك" قد قرر أن يكتشف السبب .

لسنوات عديدة كانت " راشيل" تفرّ هاربة من ماضيها الخاوي الذي كاد يدمرها . ولقد كان الطفل "جوردي" نو الأشهر العشرة سبباً كافياً لوقف هذا الهرب – إلى أن خسرت " راشيل " قضيتها ضد "لوك سومرز" ، لكن عندما ارتمت على غير توقّع منها بين ذراعي صاحب المزرعة الممدودتين ، كان " لوك" هو من يضمّها إليه ، " لوك" الذي ملأ عالمها فجأة بالأمل ، لكن الأحلام لا تدوم ، هي دائما كذلك .

قريبا ستضطر لتوديعه ... ستضطر لتوديع الرجل والطفل اللذين أصبحت تحبّهما من كلّ قلبها ....

www.elibrary.com

تقديم

منذ أن وقعت عينا "لوك" على ... "راشيل كارستيرز" ، بدت أمامه رقيقة يخشى من نسمات الهواء أن تطيح بها ... كان وجهها البادي أمامه يشبه وجه طائر غريد ، وكان يشعر أن أعصابه تكاد تحترق ... كان يعلم أنها لا تسعى وراء المال ... تلك المرأة بريئة براءة الأطفال ... وفي لحظة من لحظات الخوف والتردد ،أخذت تسائل نفسها : هل إصرارها على الوصاية على ابن "كريس" خطوة صحيحة ، أم أن هذا خطأ كبير ترتكبه ؟

كان قرار القاضية واضحاً لا يبعث على أي شك ... السيد "سومرز" سيكون الأصلح لرعاية الطفل ... ما الذى يحدث لها ؟ من دقيقة واحدة ، كانت على وشك أن تقول له مالم تقله لمخلوق آخر طوال حياتها ... هذه المكالمة أنقذتها قبل أن ترتكب أي حماقة ... اجتاحها الفكر .

- " راش" الطريقة التي اختصر بها اسمها تعتصرها ، تصفدها بالأغلال . قيد أبدي ، إثارة ، حياة ...

متى وقعت في حب "لوك" ؟ هل في اليوم الأول بالمحكمة ؟ أم عندما حملها إلى الحمام ؟ أم عندما رأت كيف يكون حين يكون مع "جوردي" ؟! ...

-"هل اتخذت قراراً ؟ " كان يشعر بما يجري ، أكثر مما يسمعه منها .

- " لقد حجزت مكاناً على الرحلة من مطار "لوس أنجيلوس" ، في اليوم الحادي والثلاثين ."

أحس بالألم يمزق صدره مع زوال آخر بارقة أمل كان يتمسك بها .....

شخصيات الرواية

* "لوك سومرز" : صاحب مزرعة "دياموندبار" التي ورثها عن "سومرز" الجد . اعتاد العطاء بلا مقابل . حرم نفسه الكثير والكثير من أجل ابن أخيه - اليتيم - "جوردي" . وحتى لما التقى بـ "راشيل" كان عطاؤه بلا حدود . تغلب على عناده ، تعلم الصبر ، لم يأخذ الحب بالقوة . فكان مثالا للرجولة في أبهى صورها .

* "راشيل كارستيرز" : نفس بشرية هائمة هاربة . كان ما عانته في طفولتها هو دافعها لما فعلته بنفسها . كان السياج الفولاذي الذي أحاطت به قلبها وأحاسيسها أقوى من أن يقتحمه أحد . ذهبت إلى القاضية تطالب بوصاية "جوردي" . فرأت "لوك" بالمحكمة ، وتحطمت أول لبنة من لبنات هذا السياج الفولاذي .

* "حنا رودريجز" : إن كان لكل مخلوق أم ترعاه ، حتى الأرض الطيبة . فإن أرض "دياموندبار" أيضاً كانت لها أم ترعاها هي "حنا" . هي عاملة المنزل . هي متحكمة المطبخ . هي راعية "جوردي" . هي ملاذ الجميع ، وإن لزم الأمر ، فهي المخلوق الوحيد الذي يمكنه أن يوقف "لوك" نفسه عند حده ، تستطيع أن تعاقبه متى شاءت . فإما الطاعة وإما الجزر المسلوق .

* "جوردون سومرز" : "جوردي" ، ذلك الطفل نو الشهور العشرة ، ذلك الملاك الذي سلب عقل "لوك" ، وشل تفكير "راشيل" ، وخلب لب "حنا" و أهل "دياموندبار" . ترى هل كان سبباً في قدوم "راشيل" ؟ أم كان سبباً في تمسك "لوك" بها ؟ أم كان سبباً في بقائها ؟ أم كان سبباً في كل ذلك ؟

* "موجو" : أحد تلك المخلوقات العجيبة بالغرب الأمريكي . أحد أخر البقية

المتبقية من سلالات الهنود الحمر . كانت لهم معتقداتهم الخاصة المقدسة ، التي سلم بها إلى "راشيل" طائعاً من أول يوم . كانت لهم تمائمهم ، وكانت له خرزته تلك الزرقاء ، جزء من عقيدته ، جزء من نفسه ، فسلمها إلى "راشيل" طائعاً ، فكان كأنه يسلمها جزءا من نفسه .

www.elromancia.com

...وجه الغص

...لاعتدال والإبهار في آن واحد .

... يعلم شيئا مما يدور حوله . كانت أشبه بمن

... العون إليه .. كأنما تريد هذا العون أكثر من رغبته هو

بالإضافة لما يسمعه عنها أكد له أنه قاهرها لا محالة ..

يدو أمامه كوجه طائر غريد ، وكان يشعر بأن أعصابه تكاد تحترق

ما يلفح كل ما حوله ، وكانت هي من القوة كالماء الذي يستطيع أن

هذا الجحيم ...

ب منظرها فكرته السابقة من أنها تسعى وراء المال ، لقد ورث عن جده

رة على الفراسة واستقراء ما يدور بخلد من حوله . ولم تخنه هذه

مرة واحدة .. هذه المرأة بريئة براءة الأطفال !!

ه تلك اللحظات التي يفكر فيها أنها إنما تريد الوصاية على "جوردي"

ة الطفل نفسه . ولكنه فضل أن يضع الصورة في إطارها الصحيح

تطيع أن يقنع نفسه أنه يكرهها ، تملكه الحنق والغيظ عندما علم أنها

"ألم يكن ذلك حلما ؟"

أخذت "راشيل" تتساءل بصوت ناعم . "لا" . ولكي يثبت لها كلامه ، أخذ "لوك" يميل عليها ، يعتزم أن يمرغ شفتيه بشفتيها . بعد لحظة كانت قبلاته تتسابق إلى خديها ورقبتها ، وأصبح نهمه فيها يشتعل بداخله .

كانت عيناها لا تزالان مغلقتين ، لم يستطع أن يعرف فيما هي تفكر الآن ، أخذ يربت على رأسها ، مستمتعاً بذلك الملمس الحريري لخصلات شعرها . أخذ عبقهايداعب حاسة الشم عنده ، ويزلزل كيانه .. أحس كأنما يستنشق عبير زهور الصيف .

- "راشيل" ، أخيرا بصوت تشوبه العاطفة ، "لا ترحلي الآن" .

- "أ ... أنا لا أعرف ماذا أقول لك ."

... جوردي ... : أريد أن أبقى يا "لوك" .

السياج الفولاذي .

* "حنا رودريجز" : إن كان لكل مخلوق أم ترعاه ، حتى ا
أرض "دياموندبار" أيضاً كانت لها أم ترعاها هي "حنا" . هي
هي متحكمة المطبخ . هي راعية "جوردي" . هي ملاذ الجميع، وإن
فهي المخلوق الوحيد الذي يمكنه أن يوقف "لوك" نفسه عند حده ، تس
تعاقبه متى شاءت . فإما الطاعة وإما الجزر المسلوق .

* "جوردون سومرز" : "جوردي" ، ذلك الطفل ذو الشهور العشرة ، ذلك الم
الذي سلب عقل "لوك" ، وشل تفكير "راشيل" ، وخلب لب "حنا" و أ
"دياموندبار" . ترى هل كان سبباً في قدوم "راشيل" ؟ أم كان سبباً في تم
"لوك" بها ؟ أم كان سبباً في بقائها ؟ أم كان سبباً في كل ذلك ؟

* "موجو" : أحد تلك المخلوقات العجيبة بالغرب الأمريكي . أحد أخر ا

الفصل الأول

منذ أن وقعت عيناه عليها ، أيقن "لوك" بالفوز .. لا محالة .. مستحيل أن يمنح القاضي الوصاية على الطفل "جوردي" لهذه المرأة "راشيل كارستيرز" التي بدت أمامه دقيقة رقيقة يخشى من نسمات الهواء أن تطيح بها . أخذ يتفرس فيها مليا ، اكتسحتها نظراته ، من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها متأملا هذه التفاصيل وتلك التضاريس ، متفرسا في جدائل شعرها الحريري المعقوص، والوجه بدا ناصع البياض ، اصطدم بهاتين العينين الموحيتين بأشياء شتى . الرماديتين الكحيلتين ، تعبيراتهما اخترقته اختراقاً .. كانتا مشحونتين متحفزتين ، مشحونتين بأشياء لم يستطع أن يسبر غورها ، ولكم ود أن يسبر غورها . وكانت جدائل شعرها الذهبية تداعب هذا الوجه الغض النضر. "راشيل كارستيرز" كانت تجمع بين الاعتدال والإبهار في آن واحد . نظراتها أشبه بطفل ساذج لا يعلم شيئا مما يدور حوله . كانت أشبه بمن يحتاج إلى من يمد يد العون إليه .. كأنما تريد هذا العون أكثر من رغبته هو في ذلك . ما رآه بالإضافة لما يسمعه عنها أكد له أنه قاهرها لا محالة ..

كان وجهها يبدو أمامه كوجه طائر غريد ، وكان يشعر بأن أعصابه تكاد تحترق ويكاد لظاها يلفح كل ما حوله ، وكانت هي من القوة كالماء الذي يستطيع أن يطفئ كل هذا الجحيم ...

وقد كذب منظرها فكرته السابقة من أنها تسعى وراء المال ، لقد ورث عن جده هذه القدرة على الفراسة واستقراء ما يدور بخلد من حوله . ولم تخنه هذه القدرة مرة واحدة .. هذه المرأة بريئة براءة الأطفال !!

كان يكره تلك اللحظات التي يفكر فيها أنها إنما تريد الوصاية على "جوردي" لمصلحة الطفل نفسه . ولكنه فضل أن يضع الصورة في إطارها الصحيح حتى يستطيع أن يقنع نفسه أنه يكرهها ، تملكه الحنق والغيظ عندما علم أنها

www.elromancia.com

ترفع قضية للحصول على الوصاية على الطفل ، على ابن أخيه ، والآن اكتملت الصورة الأنانية والمخادعة ، كل هذا بدا عليها تماماً ، كما بدت عاجزة لاحول لها ولاقوة ، لافرق بينها وبين ابن أخيه ذي الشهور العشرة .

جذبها محاميها برفق ، وانتحى بها جانبا وأخذ يهمس ببضع كلمات في أذنها .أخذ "لوك" يتفرس مليا في هذا الرجل الذي اختارته للدفاع عنها ، فاستراح لمشهده وأخرج نفساً عميقاً . بدا الرجل كأنما هذه هي أول قضية يترافع فيها في حياته .. بدا كمن يحتاج إلى من يمد له يد العون هو الآخر ، كانا كطفلين يتعثران بالنسبة له، وبدا المشهد كله ساخرا غير متكافئ .

أخذت "راشيل" تنظر إليه من الخلف عندما دلف داخلا إلى قاعة المحكمة ، هذا هو "لوك سومرز" ؟ إنه يبدو قادرا على أن ينجب دستة من الأطفال وأن يتكفل بهم بلا أية مشقة ... وأن يكون مستمتعاً بذلك .

شعرت كأنما نورها يخبو أمام قدرته الواثقة . وفي لحظة من تلك اللحظات المستحيلة التي التقت فيها عيونهما أحست بعينيه تصرحان بما هو أكثر من النظرة العابرة . أحست في عينيه بالعاطفة ، بالتفهم ، بالصداقة . وأخذت "راشيل" تحاول أن تزيح من رأسها هذه الأفكار . إنهما خصمان . ومرت فترة حتى استطاعت السيطرة على ما يدور بخلدها وبخيالاتها . وفي لحظة من الخوف والتردد أخذت تسائل نفسها : هل إصرارها على الوصاية على ابن "كريس" خطوة صحيحة أم أن هذا خطأ كبير ترتكبه ؟

وأخذت تتخيل "جوردي" ينمو ويكبر في أحضان هذا الرجل ، كما فعل معها والدها بعد موت أمها . لا ، لا يمكن أن يحدث هذا لـ "جوردي" أيضا .

أيقنت أنها كانت على حق ، ولا مجال للتشكك أو التراجع ، كان الإنهاك باديا عليها تماما ، كادت قواها تخور تماما ، حتى أنها لو أغمضت عينيها الآن لنامت وهي واقفة مكانها .

لقد تأخرت الطائرة القادمة من "بنجلاديش" أثناء انتظارها في "هونج كونج"

٢٤ ساعة كاملة . قيل إن السبب عطل في أحد محركاتها ، وتناثرت إشاعات أن هناك تحذيراً بوجود قنبلة في الطائرة . ثم أخيرا هبطت الطائرة بمطار "لوس أنجيلوس" الدولي ، في السادسة والنصف من صباح هذا اليوم . وكان موعد جلسة الاستماع في تمام الحادية عشرة في "سانت باربرا" . لقد اتصلت بمحاميها "ديان جنكز" من مقر الشركة في "بنجلاديش" قبل أن تغادرها . أخذت تستفسر منه عن إمكان عقد الجلسة في "لوس أنجيلوس" . فأخذ يشرح لها أشياء عن القانون والإجراءات القانونية ، وكيف أن "دياموند بار" حيث يعيش "جوردي" الآن ، تعتبر في نطاق مقاطعة "سانت باربرا" ، مما يحتم عقد جلسة الاستماع في المحكمة العليا لمقاطعة "سانت باربرا" أي أن رحلتها لم تنته بعد بوصولها إلى مطار "لوس أنجيلوس" . أخذت "راشيل" تستفسر عن مواعيد الرحلات الداخلية إلى "سانت باربرا" ثم هرعت إلى صالة الخطوط الداخلية . لم تكن الأمتعة أو الحقائب تمثل لها أية مشكلة . فلم يكن معها أي شيء ولذلك مرت من الجمارك بيسر . كانت تحمل معها فقط حقيبة يدها التي تحتوي على بعض الملابس الخفيفة والعطور وأدوات الزينة .

استغرقت الرحلة إلى "سانت باربرا" حوالي الساعة إلا الربع . ألقت بنفسها في سيارة أجرة ، وأخذت تشرح للسائق سبب عجلتها ، والخطورة الكامنة وراء هذا الرجل المتعطش للمغامرة والحرب ، وبالفعل بذل السائق جهدا كبيرا ، ووصل بها إلى أقرب سوق تجاري بالطريق ووافق على أن ينتظرها حتى تبتاع بعض حاجاتها . دلفت "راشيل" لأول محل قابلها بالسوق ، وابتاعت أول "بلوزة" وجدتها تناسب مقاسها ، وحذاء وزوجا من الجوارب . ودفعت القيمة مستخدمة الشيكات السياحية التي تحملها معها . واستبدلت ثيابها سريعا ، وعلى الرغم من قصر الوقت إلا أنها كانت مقتنعة تماما بما تفعل ، فلقد أكسبتها هذه الملابس شيئا من الوقار هي في أشد الحاجة إليه الآن . ثم ما لبثت أن قفزت داخل السيارة التي تنتظرها ، وأخذت تتنفس بعمق محاولة

الاسترخاء قليلا . كانت الشوارع مكتظة بالسيارات في هذا الوقت ، وكانت كل ثانية تمر عليها تشعر بها مع خفقان قلبها المنهك وتذكرها بآخر حديث لها مع محاميها ، كان كلامه في غاية الوضوح رغم محاولته عدم الضغط عليها : إن لم تحضر الجلسة في الموعد المحدد فإنها ستخسر القضية . أوصلتها السيارة أمام درجات المحكمة في تمام الحادية عشرة إلا الربع ، وقدم لها محاميها نفسه ،وبنظرة سريعة لمحت دار المحكمة من الخارج ، كانت أشبه بقلعة كالتي تصور في الكتب .

أخذت تنظر إلى "ديان" ، وأخذ الخوف بداخلها يزيد تدريجيا . لم يكن حاله كحال هذه المرأة الواثقة التي بصحبة "لوك سومرز" . كان في حالة عصبية كالتي كانت تمر بها منذ برهة ، وكانت خطواته المتعثرة وابتساماته الباهتة غير مشجعة بالمرة ، ولا تعطيها هذه الثقة بالنفس التي هي في أشد الحاجة إليها الآن.

تأبطت "ميرنا هاستينج" ذراع "لوك" وكان هذا يؤذن بوجوب الدخول إلى قاعة المحكمة . كان يتمنى أن تتحول المرأة إلى كلمات لكي يستطيع التعامل معها . كان غير قادر على فهم لغة الجسد ، مع هذه المصاحبة الجذابة لتلك المحامية التي تتأبط ذراعه والتي كان يتمنى بشدة أن يتعرف على الجوانب الأخرى لحياتها الخاصة ، وأن يسبر غورها .

وبدخول قاعة المحكمة أصبح "لوك" مدركا تماما لما يدور حوله . ووافق القاضي على عقد جلسة الاستماع في حجرة مغلقة ، مما يعني أنهم لن يعانوا تطفل الجمهور حولهم وتطلعه لما يدور .

لم تكن الحجرة كبيرة . كان هناك حاجز خشبي يفصل صفوف الكراسي عن بقية الحجرة . كانت هناك طاولتان كبيرتان على بعد أقدام في مواجهة المنصة الخشبية الموجودة في قاع الحجرة المخصصة للقاضي . وكان علم الولايات المتحدة الأمريكية وعلم ولاية "كاليفورنيا" يرفرفان على الحائط خلف كرسي

القاضي . وكان يلف الغرفة جلال الموقف وجو مهيب جعل "لوك" يبدو أكثر قلقاً .

كان ما يحتاج إليه حقاً هو استنشاق بعض الهواء . شعر بالضعف ، شعر أنه رجل عادي ذو أفكار عادية : "عش ودع غيرك يعيش" .

لقد واجه وفاة أخيه وزوجته وماتبع ذلك من تغير درامي في أسلوب حياته ، وهذه العلاقة الأبوية المباغتة التي اضطر إليها اضطراراً . لم تكن حياته في الصغر تهيئه لأي مما يحدث الآن له . ولكي يتقبل ما لايمكن تغييره ، كان يحتاج إلى النضج والعقل ، وليس إلى العاطفة ، إلى التصرف في الوقت الملائم ، وعمل ما يجب عمله . فما بال هذه المرأة ، تتصور أنها يمكن أن تأتي وتأخذ "جوردي" ببساطة ، كأنه صندوق من الحلوى !!

وعلى حد علم "لوك" ، فإن "كريس" والدة "جوردي" لم تلتق بابنة عمها هذه ، إلا مرة واحدة عندما كانتا طفلتين . لم تكن لهم علاقة بـ "راشيل كارستيرز" إلا عن طريق بعض البطاقات البريدية ، من آن إلى آخر . فهي لم تأت إلى عرسهم، ولم تزر "كريس" بالمزرعة أبداً . ثم ... ما هو اسم تلك الشركة التي تعمل بها ؟ "م . ر . أ" ؟ إنها نوع من المنظمات التي تقدم المنح والهبات . إن الغرض من سعيها وراء المال لتحقق كل ما تصبو إليه هو السبب الوحيد لطلبها الوصاية على "جوردي" . وأخذت خيالاته تصورها إليه كمخلوق في مهمة خاصة: بملابس كاكي وقبعة غريبة جاء لكي يغير العالم بأسره ، جاء ليحيله جحيما .

ولم تكن "راشيل" في الحقيقة تبدو قادرة على تغيير حذائها دون أن يساعدها أحد .

أخذ "لوك" يتخلص من هذه الخيالات المستغرقة . يجب أن لا يستغرقه شيء الآن ، يجب أن يبقى ذهنه صافياً وألا يقول إلا ما ينبغي أن يقال . ولكن ترى ما وراء هذه الغريبة ؟

وأغلق باب القاعة . وبدأ يشعر بالضيق من ياقة قميصه القطني ، ومن الجاكت الصوفي ، ومن العالم اللعين بأسره . أصبحت ربطة العنق الأنيقة كالطوق حول رقبته ، أراد أن يتخلص منها ولكن "ميرنا" أصرت على أن المظهر عليه عامل حاسم ، فانتصب وخرج إلى خارج القاعة .

كيف يتوقف مصير طفل صغير على قرار لغريب ؟ ماذا يفهم ممثل العدالة المتشح بهذا اللباس الأسود والأبيض عن المشاعر والأحاسيس ؟ ماذا يفهم عن طفل ينظر إلي نفس نظرة أخي رحمه الله ؟ ماذا يعرف عن الشرف والأمانة ؟ عن الرغبات الأخيرة التي لم يفكر أحد في حينها أنه يجب كتابتها وتوثيقها كوصية ؟ ماذا يعرف عن الحب ؟

القاضية "إريكا وينتوورث" ، أكدت له "ميرنا" أنها الأفضل . ولم تستسلم لفكرة أنه رجل وقد يُفضّل أن تسلم الوصاية لامرأة . يتحتم أولا أن تثبت "راشيل كارستيرز" العديد من الأشياء . وهو يتفوق عليها لأسباب عدة ، فهو أهل للثقة ، يعتمد عليه ، واسع الثراء .

لكن لا يمكن دائما التأكد تماما . لذا يحاول "لوك" ألا يخاطر طالما أن الأمر يخص "جوردي" . فأي خطأ في الحكم على الأمور سيكون كالعقبة الكئود لا يمكن السيطرة عليه بعد ذلك حيث لن ينفع الندم . امرأة في مواجهة امرأة . ماذا لو فكرت القاضية أن الرجل لا يعتمد عليه في إطعام طفل .. ماذا لو استعملت "راشيل كارستيرز" سلاح عينيها . ماذا لو ضاعت الحقيقة أمام الادعاءات والافتراءات .

الحقيقة الوحيدة هي الحب . إنه يحب "جوردي" . هذا الطفل ذو الشهور العشرة هو كل ماتبقى له من أخيه . كانت مخاوف "لوك" تشعره بعدم الأمان من المخاطر . كان يريد أن يكبر "جوردي" في المزرعة في كنفه وظله ورعايته . كان يريد للطفل أن ينشأ على مثله وتقاليده .

كان يريد ألا يصادف "جوردي" في حياته أي سوء أبداً . وأعادت إليه ابتسامة

"ميرنا" وهي تستدير تجاه مقعده الثقة ، كانت كالقط السمين الذي فاز بصيد ثمين سهل المنال ، ويستعد الآن لأن يغسل يديه وفمه بعد وجبة شهية .

- " هل ألقيت نظرة عليها ؟ "

لقد نظر إليها مرتين . لاحظ في الثانية كيف أنها تجلس متباعدة عن محاميها . لا كلام . ولاحراك . كان محاميها يقول شيئاً . وشعر "لوك" أنها لا تود الاستماع لما يقول .

- " حتما قد فزنا . "

ولأول مرة منذ أن أوكل "ميرنا" ، دهش "لوك" باعتدادها المتزايد بنفسها . كانت المرأة كسمكة "الباراكودا" القاتلة . وقد كان يريد "جوردي" ، وليس سفك الدماء بأي حال .

وبلغت الإثارة قمتها بدخول القاضية . وانسلخ "لوك" من المشهد برمته وحاول أن يبدو كالمشاهد لمشكلة لا تعنيه . كانت هذه هي أفضل طريقة يعلمها تعينه على اجتياز الأزمات .

وعرض كل من المحاميين تصورهما للقضية . وطلب كل من الفريقين نفس الطلب . الوصاية على الطفل "جوردون سومرز" البالغ من العمر عشرة شهور . وتم استدعاؤه إلى المنصة ، وتم تذكيره بالقسم الذي حلف به منذ برهة . ومنحته "ميرنا" ابتسامة يعرفها جيداً "القضية مضمونة في الجيب !" وأيقن "لوك" أنه يكره تلك المرأة ذات النظرة الفولاذية والأسنان الشديدة البياض ، ولكنه لايزال يريد أفضل المحامين للدفاع عن قضيته .

- " سيد "سومرز" ، هل أطلعت المحكمة على ما تعرف عن أحداث اليوم العشرين من يوليو (تموز) ؟ "

تنحنح "لوك" ، وانسلت نظراته إلى "راشيل كارستيرز" . كانت تجلس على حافة مقعدها ، و لأول مرة يلاحظ أنها تثبت نظراتها عليه . كانت نظراتها تخترقه وتصل حتى أعماق رأسه .

- "لقد كنت أقضي عطلة نهاية الأسبوع بالمزرعة التي كنت أملكها أنا وأخي."

وبدت على صوته غصة ألم.

"فلقد قرر أخي وزوجته السفر إلى "بالم سبرنجز" لحضور حفل خيري".

وتوقفت الكلمات هذه المرة لفترة أطول. واضطربت عضلاته حتى انتابت صوته غصة جعلت كلامه غير مسموع بل مختنقاً.

"ووقعت الطائرة التي تقلهما بعد عشر دقائق من إقلاعها، انفجرت، ولم ينج أحد من ركابها".

ونظر إليها ثانية. كان سكونها يضغط عليه ضغطا، كانت تلف ذراعيها حول جسدها كأنها تعاني برودة الجو وكما لو كانت تريد أن تلطخ اللوحة التي رسمها لتوه. وأيقن "لوك" في هذه اللحظة أنها بالفعل أحبت "كريس". هبطت هذه الفكرة فوق كم الشكوك المتراكم بداخله، فزادت معاناته. يجب أن يجدوا سبيلاً آخر لتحديد ما يختلفان عليه !!

- "شكرا يا سيد "سومرز" ولكن هل كتب أخوك وصية جديدة بعد ميلاد ولده ؟"

- "لا". وأيقن أن الموت لا يحترم السعادة أبداً.

- "حسنا، وهل يوجد حارس قضائي معين كوصي على "جوردون سومرز" ؟"

- "لا".

- "طبقاً للوصية التي كتبها أخوك بعد زواجه، فلقد ترك كل ما يملك لزوجته، وأوصى في حالة وفاتهما معا أن تكون أنت المستفيد الوحيد بأملاكه، هل هذا صحيح ؟".

- "نعم".

- "وهلا أخطرت المحكمة عن آخر خطواتك التي تعتزمها بشأن ابن أخيك "جوردون سومرز" ؟"

وأخذ "سومرز" يتنحنح. لقد أثيرت هذه المسألة مئات المرات، ومازالت الكلمات اللعينة تحتبس في حلقه.

- "لقد قررت أن أهب نصف المزرعة لـ "جوردون" كمنحة : نصف "دياموند بار". أيضا أوصيت كتابة أن تؤول كل الأموال التي تركها أخي، في حالة موتي وأنا لا أزال عزبا، أي إذا لم أكن متزوجاً بعد، إلى "جوردون".

ولكم كره "لوك" الطريقة التي قال بها هذا الكلام. لم يكن أبدا يحاول اصطناع القداسة. ولكنه كان مضطرا إلى أن يقوله بالطريقة التي فعلها الآن.

ولكن "ميرنا" لم تنته بعد :

- "سيد "سومرز" وماذا فعلت بعد وقوع هذه المأساة ؟"

- "أخذت شهراً إجازة من عملي".

- "لماذا ياسيد "سومرز" ؟"

- "لكي أكون بجوار الطفل".

هل القاضية لديها أبناء ؟ هل تعرف كم قد يفتقد الأبناء الدفء والحنان والآباء المحبين ؟ لقد ذبل "جوردي"، وفقد الكثير من وزنه، كان دائم البكاء دون سبب واضح. كانت عينا الطفل دائما تنظر تجاه الباب إذا أتى أحد من الخارج، باحثاً عن أبويه، عن دفء وحنان يجدهما بجواره.

- "وما الذي دعاك أن تأخذ على عاتقك رعاية الطفل ؟"

وأخبرته عينا "ميرنا" أنه يؤديه على أكمل وجه. ومن الغريب أنه لم يلاحظ من قبل كم هي جامدة هذه العيون وكم يمكن أن تكون متحجرة.

- "بالتأكيد كان من الممكن أن يقوم أحد آخر - عاملة المنزل مثلا - برعاية الطفل ؟"

- "عندنا عاملة بالمنزل تساعدني - "حنا رودريجز"، أنا فقط كنت أريد أن أكون بجوار "جوردي".

- "والآن، انقضى الشهر، هل تنوي العودة مرة أخرى إلى العمل ؟"

كانت "ميرنا" من الحدة بحيث يخشى عليها أن تمزق نفسها بنفسها.

- "لا، أنا أنوي أن أقوم بشؤون المزرعة، فمن حسن الحظ أني أستطيع

تأدية عملي من المزرعة " .

- "هل صحيح أن ما تعتزمه قد يؤثر على فرصك للترقي ؟ حيث إنك على وشك أن تصبح نائبا للمدير ؟ "

- " نعم " .

إنها حقيقة تعرف كيف تشق طريقها .

- " وهل صحيح أن رئيسك قد وافق على ما اعتزمته على أساس أن يخفض راتبك ؟ "

اللعنة ، إنها تحاول أن تظهره بطلاً . ليس هناك حاجة إلى كل هذا !!

- "نعم" .

- " إذن لم تفعل كل هذا ؟ "

ثقة بالنفس تغلف كل كلمة تنطق بها .

- "لأني أريد وقتا أطول أقضيه مع "جوردي" ."

كانت ابتسامة "ميرنا" دليل حي على ا لانتصار .

- " ليس لدي أسئلة أخرى أيتها القاضية المبجلة " .

واقترب منه محامي الخصم . سأله إن كان متزوجا . وإن كان يخطط للزواج في المستقبل القريب . ولم يحدث أي من أسئلته ربع ما أحدثته أسئلة "ميرنا " .

وأدرك "لوك" أن الرجل بلا فاعلية أكثر مما تصوره من قبل . ثم نودي على "راشيل كارستيرز" إلى المنصة . وقطب" لوك "حاجبيه . كان يستطيع أن يقسم أنها تترنح . هذه المجنونة الضئيلة . هل هي واقعة تحت تأثير الشراب ؟ أم نوع من المخدرات ؟ وسرعان ما تماسكت، ولم يستطع أن يجزم أن أحداً غيره لاحظ ذلك . وأخذ "ديان جنكز" يستجوبها :

- " آنسة "كارستيرز" ، هلا أطلعت المحكمة على مكان وجودك عندما بلغك نبأ وفاة ابنة عمك وزوجها ؟ "

- "بنجلاديش" . محاولة أن يكون صوتها واضحاً .

- "ومتي علمت بالنبأ ؟ "

- " يوم ٣٠ من سبتمبر (أيلول) ."

- "ولماذا استغرق الأمر حوالي تسعة أسابيع حتى وصلك النبأ ؟ "

- " الخطابات دائما ما تصل متأخرة في هذه البلاد . و هذا الخطاب بالذات زاد تأخيره لأن المنطقة التي كنا بها كانت تعاني الفيضانات في ذلك الوقت . "

- " وماذا كان رد الفعل الأول من جهتك ؟ "

- "أن أعود فورا ، لكي أقوم برعاية الطفل " .

- " ولكنك لم تستطيعي العودة في الحال ؟ "

- " نعم ، لقد كنا في منطقة منكوبة . ولقد استغرق الأمر مني حوالي خمسة إلى ستة أسابيع أخرى بعد علمي بالنبأ المفجع ، حتى جاء من يحل محلي ، وغادرت عائدة بمجرد تمكني من ذلك . "

وشعر " جنكز " أنه أكمل الصعود إلى قمة "إفرست" .

- " لا أسئلة أخرى للدفاع في الوقت الحالي ياسيادة القاضية المبجلة " .

هذا المغفل الساذج ، إنه حتى لم يخدش السطح الخارجي للموضوع ! وشبك "لوك" يديه بينما انتصبت "ميرنا" واقفة . وشابتها حمرة كمن يستعد للانقضاض على فريسته :

- " آنسة "كارستيرز" ، هل كان ما بينك وبين ابنة عمك علاقة متصلة ؟ "

بعد فترة صمت

- " لا ! "

- "متى كانت آخر مرة تلاقيتما فيها ؟ "

- "عندما كنت في الثانية عشرة من عمري " .

- "إذن أنت لم تكوني حاضرة حفل زفافها ؟ "

- " نعم " .

- " آنسة "كارستيرز" ، هلا أطلعت المحكمة على طبيعة عملك ؟ "

- "أنا أعمل مساعدة طبية في منظمة "م . ر . أ " التي تعنى بتقديم المساعدة في مناطق الكوارث والنكبات بجميع أنحاء العالم . "

- "ومتى التحقت بالعمل في الـ "م . ر . أ ؟ "

- "منذ أربع سنوات " .

-" ومنذ ذلك الحين لم تعودي أبداً إلى "الولايات المتحدة"، حتى في الإجازات، أليس كذلك ؟"

-" بلى."

-"ويتحتم عليك البحث عن وظيفة هنا، أليس كذلك ؟".

-"نعم".

-" أخبريني يا آنسة "كارستيرز"، هل لديك أية ممتلكات في "الولايات المتحدة"؟ شقة، غرفة، أو أي مكان يمكن أن يطلق عليه : محل سكن ؟"

-" لا."

-" آنسة "كارستيرز"، هل سبق لك أن قمت بالعناية بطفل، في غير ما قد يكون عملك اضطرك إليه ؟"

-" لا."

وتحرك "لوك" بصعوبة في مقعده. كل سؤال كان بمثابة مسمار في نعشها. كان لعاب "مارينا" يسيل عسلا وهي زاحفة إلى القتل :

-" إذن كيف تخططين للعناية بابن بنت عمك " ؟

-"أستطيع أن أتعلم".

كان هذا الرد كالقشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير.

-" ما الذي تتوقعينه بالنسبة للعمل يا آنسة "كارستيرز" ؟ ما الذي سترتكزين عليه في المعيشة أنت والطفل حتى تحصلي على القدر الكافي من التدريب والتعلم ؟ مع من سيعيش الطفل أثناء ذهابك إلى المدرسة أو إلى العمل؟ هل تعتقدين أن باستطاعتك تأجير مكان يؤويك أنت والطفل، أم هل تنوين الاعتماد على طلب المعونات الاجتماعية ؟"

-" أستطيع التصرف في حدود المتاح".

-"هل استقلت من الـ"م . ر . أ" يا آنسة "كارستيرز" ؟"

-"لا، لم أفكر إلى الحد الذي ...".

-" تماما، "قاطعتها "ميرنا" بانتصار، " إنك لم تفكري بما فيه الكفاية في أي شيء. لا أسئلة أخرى يا سيادة القاضية المبجلة."

وتوقع "لوك" أن يرى الغضب أو محاولة الدفاع والتبرير. لم يكن يتوقع هذه البلادة والجمود. لم يكن هناك أي تعبير على وجه "راشيل كارستيرز" وهي تهبط من المنصة. وأخذ "لوك" يسأل نفسه : " ترى ما الذي أكسبها هذه القدرة على السيطرة على نفسها ؟"

وقدم كل من المحاميين مذكرته الكتابية. وأعلنت القاضية رفع الجلسة لمدة ربع الساعة ثم تعود للانعقاد للنطق بالحكم.

سمع محاميها عندما سألها إن كانت ترغب في الخروج من القاعة كي تشرب بعضا من القهوة. " لا، أشكرك". ضايقه صوتها. لم يكن متمشياً مع بقية هيئتها، كان ضعيفاً، يائساً، بائساً. وفي لحظات قليلة أصبحت تسري في دمائه، معذبة محطمة، تخيلها كفتاة راقية من مجتمع الخمسينات في الغرب الأمريكي !!

ضايقه الحال التي هي عليها. كانت تبدو أمامه ممزقة أشلاء.

لم تنظر مرة واحدة إلى ما يدور من حولها بالقاعة، لم تبد أي اهتمام لما يحيط بها. أخذ يشعر بشغف إليها. اللعنة، لماذا لا تشعر هي الأخرى بنفس الشعور؟

كان قرار القاضية واضحا لا يبعث على أي شك :

-"آنسة "كارستيرز" إني أخشى أن الرغبة في طفل لا تعني القدرة على القيام بالواجبات اللازمة له في أيامنا هذه. إن أسلوب حياتك لا يلائم طفلا. لقد أخذت المحكمة في اعتبارها ظروف كل منكما، السيد "سومرز" سيكون الأصلح لرعاية الطفل. إنه سيكون كريما. والمحكمة على ثقة من ذلك. إلى الحد الذي يسمح لك بالحق في زيارة الطفل".

شيء ما في "راشيل كارستيرز" خفف من صرامة صوت القاضية، فرق

صوتها بعض الشيء .

"أنا على ثقة أنك تشاركينني الرأي في أن ما يحتاج إليه "جوردي" هو محل سكن آمن . فلتنظري إلى الموضوع من هذه الزاوية . وبدلا من أن يرعاه شخص واحد أصبح لدى "جوردي" الآن شخصان يهتمان به وبحياته ومصلحته . وإذا ما استطعتما أنتما الاثنان أن توحدا ما بقلبيكما من حب لهذا الطفل ، فسيربح الجميع ."

إن نظرة الانتصار على وجه "ميرنا" والقبلة التي طبعتها على فمه قد أصابت "لوك" بشيء من الدوار . وبعد برهة من الوقت بدأ يبتعد بمجلسه عنها ، فلقد بدأت القاعة تخلو من الناس حولهما . خرج من المكان مسرعا ، كان الممر الخارجي خالياً لا ينبئ عن مكان وجودها ، وعلى درجات سلم المحكمة لمح "ديان جنكز" زائغ النظرات يلوح لسيارة أجرة بدت على مرمى البصر . وربت "لوك" على كتف الرجل .

-" نعم ؟ ".

-" الآنسة "كارستيرز" ، أريد الحصول على عنوانها ".

لم يكن "ديان جنكز" يتحلى بالروح الرياضية عند الهزيمة :

-"هذه معلومات سرية ". قالها باعتزاز .

-" لدي أشياء تخص ابنة عمها الراحلة ، قد ترغب في رؤيتها . تذكارات عائلية وما إلى ذلك . أعطني العنوان " .

أخذ "لوك" يشرح الأمر ، وكان على وشك أن يبدأ بالتوسل .

وزاد تردد وتشكك "ديان" . ولكن "لوك سومرز" لم يكن من النوع الذي يقبل "لا" كإجابة على طلباته . وبدأ صبره ينفد ، ظهر ذلك جليا في عينيه الزرقاوين وأصبح لا يطيق أن يكظم غيظه أكثر من ذلك .

لم يدفع له أحد كي يصبح بطلاً .

-"هل تعلم أين يقع شارع ستيت ؟ " ...

أدركت "راشيل" أنه لا ينبغي لها أن تتألم كثيرا لفقد شيء لم يكن أبداً ملكاً لها . ولما راجعت نفسها أدركت أن كل ما فعلته كان خطأ في خطأ ، من حيث

ملابسها التي كانت ترتديها ، ومحاميها الذي استعانت به ، فضلا عن مظهرها ، وامتلأت بالندم على كل ما حدث . وبدر عنها شبه ابتسامة عندما أخذت تتذكر كل ما مرت به من أوقات عصيبة في الساعات الثماني والأربعين الأخيرة ، وما توصلت إليه من نتيجة مخيبة للآمال في نهاية المطاف . لقد مرت بأشياء كثيرة ، وخسرت الرهان . ولقد اعتادت دائما على الخسارة ، ولكم واجهتها في هذه الحياة .

استرخت على المقعد الأسود بالسيارة ، وأخذت "راشيل" تسترجع ما مر بها في الأسابيع الأخيرة ، إذ ما إن سمعت بالفاجعة التي حدثت حتى أرسلت برقية إلى "لوك" تخبره فيها أنها قادمة للعناية بالطفل . فوالدة "كريس" قد ماتت قبل ذلك بعامين . وكان أبوها يرقد بالدار يعاني من مرضه الأخير . إذن فهي تعتبر القريبة الوحيدة التي يمكنها رعاية الطفل . لم يشاركها "لوك سومرز" الرأي . ورد عليها ببرقية واضحة كل الوضوح :

"لا حاجة إلى عودتك ، "جوردي" الآن مسؤول مني ، خير له أن ينمو وينشأ في "دياموند بار" . اعتزم القيام بتبنيه رسميا ، شكرا على عرضك اللطيف ."

لكن لماذا أرادت "جوردي" بكل هذه القوة ؟ إن نبأ المأساة قد ألقى بها في هوة مظلمة ، الإنسانة الوحيدة التي أبدت اهتماماً بها قد فقدت من الوجود تماماً . وانبلج شعاع من النور كأنما يخرج من غيابة قبرها ، أضاء لها طريقها ، فإنها برعاية ابن "كريس" تستطيع أن ترد الجميل لهذا الجزء الوحيد المضيء في حياتها : صداقة وحب ابنة عمها . "جوردي" إذن سيحصل على كل هذا الحب ا المختزن بداخلها طويلا ، أخيرا سوف يكون لها إنسان من نفس دمها لتعيش معه . تغلبت الابتسامة التي مرت على شفتيها على غلالة الحزن التي تلفها . كان قرار القاضية "و ينتوورث" كإعادة لشريط حياتها بالكامل . طردها القدر مرة أخرى كما فعل بها دائما مع كل باب من أبواب الحب ، واحدا تلو الآخر . لقد اعتادت على ذلك دائما وأصبح لا يؤلمها . ولكنه هذه المرة يؤلم !

كان عليها أن تعترف بالصورة التي صورتها عليها محامية "لوك سومرز" :

امرأة غبية مملوءة بالأنانية . إنها لم تكن جاهلة تماما بحاجات الأطفال . فعملها في تطبيب الأطفال قد أعطاها فرصة واسعة لمعرفة كيفية ا لتعامل معهم.

فلقد ترك من قبل طفل معها كان مريضا وكان يجب أن يبقى بصحبتها لبضعة أيام ، وكانت "راشيل" تلعب دور الأم حينذاك . ثم إنها ليست أبدا بالصورة المعدمة التي صورت عليها . فلقد ترك لها أبوها بعض المال، كان سيكفي بأي حال لإيجاد مأوى لها وللطفل ، ولكي يعيشا . لكنها لم تكن لتفقد "جوردي" هباء.

لقد اختارت له ما هو أفضل على أي حا ل . ولكن متى كان التفكير في الأمور بواقعية منقذا للمرء من الإحساس بالقهر وخيبة الأمل ؟ لقد ترك مشهد المحكمة في حلقها طعما مراً كالعلقم ، وشعوراً هائلاً بالظلم ، وكلما أسرعت بالعودة لعملها كان ذلك أفضل .

أحست "راشيل" أنها بفقدانها للوصاية على الطفل قد فقدت الفرصة ا لوحيدة لكي يكون لها إنسان تحبه . إنسان ينتمي إليها، ما الذي قالته لها "كريس" مرة في أحد خطاباتها بعد ولادة ابنها ؟ " إني أريد أن تصبحي الأم الروحية لـ" جوردي" ، إنك الوحيدة التي يمكن أن تقوم بهذا الدور . سوف نجعل هذا رسميا بمجرد عودتك إلى الديار ." الآن هي لا تستطيع إلى ذلك سبيلا .

كان صوت المسجل في سيارة الأجرة يعلو بالموسيقى الصاخبة . أحدث صيحة في الموسيقى .

كان السائق يتحفز في سيره لأية فرجة بين السيارات لينسل منها . كانت حركات الرجل تسرّي عنها ، رغم أن السيارة لا تتقدم كثيرا على كل حال . وكلما كانت "راشيل" تنظر خارجا إلى شوارع "سانت باربرا" ، كانت المشاهد تتتابع أمامها.

أصر ذهنها على تتبع ما مر بها من أحداث هذا اليوم .

عندما أطلعت دكتور "توم أتويل" – قائد المجموعة التي تعمل ضمنها – على البرقية التي وصلتها ، أخبرها أنها بحاجة إلى محام جيد . وبعد أن أجرى

مكالمة هاتفية لأمريكا كان "ديان جنكز" هو الاسم الذي رشحه له أحد الأصدقاء . فاتفقت معه على أن يبدأ إجراءات تبني الطفل ابن "كريستينا" . ولم يكن الاتفاق مع محام من مكان بعيد بالحل الأمثل ، ولكنه كان الخيار الوحيد المتاح أمامها ولقد اختار صديق الدكتور "أتويل" هذا المحامي بالذات لأنه ابن أخيه في واقع الأمر، ولم يشر أحد إلى أنه كان لا يزال مبتدئا .

إن إلقاء اللوم عليه لن يفيد بأية حال ، فلقد وقعت الخسارة عليها هي وحدها . ولكنها كانت أشبه بالفأر المسكين ، كان عقلها يرفض أن يدع الشعور بالإحباط جانباً . كل هذه الحوادث كانت تأكيداً جديداً لها على أن المرء يمكن أن يصبح وحيداً كالجزيرة . وأخذت "راشيل" تتساءل . ترى كم يلزمها من الوقت كي تعي الدرس وتتوقف عن محاولاتها المستمرة للعثور على شخص تنتمي إليه .

كانت حياتها مليئة بالذكريات ، إن كانت لا تزال بحاجة إليها . لم تكن أمها ترغب فيها ورحلت عندما كانت "راشيل" في العاشرة . ولم يكن أبوها أبدا ذا نفع لها . في البداية حاولت أن تجعل منه صورة تطابقها . ثم أدركت أن هذا مستحيل ، ورضيت بالمستحيل . لاشك في ذلك . لقد كانت دائما تبوء بالفشل في علاقاتها الشخصية .

كان أفضل ما تستطيع القيام به ، هو تقديم المساعدة لمن لا علاقة لها بهم ولا ينتمون إليها بالمرة . وأطلقت "راشيل" لذاكرتها العنان ، أخذت تسترجع السنين الأخيرة . في آخر سنة لها بالجامعة أتى أحد المتطوعين بالـ " م. ر.أ " إلى جامعة "ولسون هاي" . فأخذ يستعرض شرائح مصورة ، وأخذ يشرح بصوت لن تنسى قوة تأثيره : " هناك من يحتاج بإلحاح إلى الرعاية الطبية في مناطق أخرى من العالم ". ولقد أخذت "راشيل" بهذه المحاضرة .

بدأت تتكون مجموعات الرعاية الطبية لمناطق العالم التي تفتقر إليها في بداية السبعينات ، بمجموعة من الأطباء من أمريكا وهبوا أنفسهم للإنسانية المعذبة. ومن تلك النواة التي تتكون من عشرة أشخاص نمت المنظمة حتى أصبح عدد أعضائها خمسة آلاف فرد . كانت تتألف من المتطوعين . وكانوا أثناء العمل يحصلون على نفقات معيشتهم ، وعند العودة يحصل كل منهم على ألف دولار

عن كل سنة قضاها بالخارج ، هذا بالإضافة إلى نفقات الانتقال . وكانت المعاهد تقدم منحاً خاصة للمتطوعين الراغبين في استكمال دراستهم . لم يكن لهذا العمل أي نوع من الجاذبية التي قد تشد الإنسان إليه . لقد أخذ دكتور "ستيف هانكس" يؤكد على نوع المعيشة التي سيواجهونها في قرى غير متحضرة ، وظروف صحية سيئة وظروف عمل صعبة . وهو ما يسمى بالالتزام الشخصي ، كما قال.

اتصلت "راشيل" به في الأسبوع التالي ، وفي المقابلة الأولى كان الانطباع عنها أنها ما زالت صغيرة على القيام بمثل هذا العمل ، ولكن "راشيل" دافعت بشدة . ولقد ساعدها حضورها لدورة المساعدة الطبية التي أكملتها أثناء الدراسة ، و لذلك قامت مدرستها السيدة "أوبريان" بإقناع دكتور "هانكس" أن "راشيل" لديها النضج الكافي للقيام بمثل هذه الأعمال . ثم اجتازت اختباراً طبيا ومن ثم بدأت دورة في الإجراءات الطبية الأساسية . ولم يعارض أبوها في ذهابها . وبذلك في اليوم التالي لتخرجها في الجامعة كانت "راشيل" في طريقها إلى "بنجلاديش" – كانت هذه الصلابة وهذا التحجر واللاعطف من أبيها جزيرة باردة في ركن من أركان ذاكرتها .

بدأ العمل يشغل جزءاً كبيراً في حياتها ويشغل حيزا فارغا كانت تعانيه .

بدأت نظرة الرضا والامتنان تطل من عينيها ، وبدأت تشعر أنها قد حصلت أخيرا على بغيتها . بدأت تنغمس في العمل والناس والأسلوب الجديد لحياتها ، بدأت تقر أنها حصلت أخيرا على ما كانت تريد . ونادراً ما كان يجول بخاطرها أن هناك أشياء أخرى بالحياة غير العناية بالآخرين . وعبر الأعوام ظلت هي ودكتور "أتويل" العضوين المتبقين دائما بالفريق . كان المتطوعون دائما ما يمكثون اثني عشر شهراً . وفي حين كان الآخرون دائما ما يتحدثون عن الديار وخطط المستقبل ، كانت "راشيل" دائما تلوذ بالصمت . كانت كل عام تقدم طلباً للبقاء فترة أخرى ، وكانت تجاب إلى طلبها دائماً . كانت تقضي إجازاتها المتراكمة في رحلات بالبلاد المجاورة مثل "نيبال" أو شمال الهند مستخدمة الباصات أو التذاكر المخفضة للقطارات .

ولقد أخذت البرقية التي تحمل نبأ موت "كريس" و "روب" أسابيع عديدة حتى وصلت إليها . تأثرت المجموعة كلها لرؤية الحزن في مقلتيها بعد هذا النبأ المروع . كان هناك الكثير مما يتوجب عمله ، و لكن بالنسبة لـ "راشيل" كان هذا هو الوقت الذي يتحتم عليها فيه العودة إلى الديار .

ولقد اتصل "توم" باثنين من الأطباء في "لوس أنجيلوس" ، و لقد وافق كلاهما على مساعدتها . الآن لا حاجة لها إلى الاتصال بهما ، فالمال المتبقي معها يكفيها حتى تعود على الرحلة التالية إلى "بنجلاديش" ، كي تعود إلى الحياة الوحيدة التي تعرفها .

كانت في حالة يرثى لها ، لم تنم منذ زمن ، لم تأكل ، لم تسترح . وهذا هو ما صور إليها فقدان "جوردي" على أنه النهاية ، بمجرد أن تحصل على قسط من النوم سوف تعود إلى حالتها الجيدة . القاضية كانت على حق . إنها لم تكن بالقطع أفضل الحلول بالنسبة للطفل ، "لوك" أفضل قطعاً . أخذت تحاول أن تتذكر كيف كان يبدو صلبا قويا غنيا ، وبالتأكيد واثقا جداً من نفسه . في نظرته تلك التي أذابتها ذوباناً . أحست أن القوة والقدر قد بدأ يعودان إليها . وكانت حاجتها إلى كليهما قوية للغاية .

كان الشيء الذي يدعو إلى الدهشة حقاً هو تلك القدرة التي تملكها ، قدرة أن يكون انطباعها الأول صحيحا في كل الأحوال . إنها لو ارتكنت إلى قوته فستجد الملجأ الذي طالما بحثت عنه طوال حياتها ...

الفصل الثاني

- "أمي ؟"

وانتفضت "راشيل" من غفوتها . أخذ سائق السيارة الأجرة يحملق فيها بدهشة ، كانوا قد وصلوا أمام الموتيل ، الذي حجز لها فيه "ديان" مقدما . أخذت تقتلع الطلاء من على أظفارها طبقة طبقة ، وأخذت تستمع إلى صوت القرقعة التي يحدثها ذلك ، أحست أن ذلك يسعدها ويناسب مزاجها . رخيص ، رخيص رخيص. هذا المحامي قد حقق شيئا على أية حال . في الغد يجب أن تذهب إلى إدارة "م. ر. ا" بـ "لوس أنجيلوس" حيث ستجد مكانا تبيت فيه في أحد النزل التابعة لهم . أما الليلة فهذا سيؤدي الغرض .

اتجهت إلى الداخل ، كان - لا يزال - عليها أن تدون بياناتها وأن تملأ الاستمارة الخاصة لتستطيع المبيت . لقد استدارت الدنيا كلها ٤٥ درجة . لكنها تمالكت نفسها وحاولت أن تصل إلى الباب ، عليها أيضا أن تأكل شيئاً .

- "هل أنت بخير يا سيدتي ؟" سألها السائق بقلق .

- "أنا بخير" . ودفعت له الأجرة وأعطته إكراميته بسخاء ، فبدا عليه السرور . لم تكن النقود تعني لها شيئا ذا أهمية كبيرة أبداً . فحيث هي ذاهبة لن تحتاج إلى النقود بأية حال .

- "عيد ميلاد مجيد ياسيدتي" . أعياد الميلاد . نعم هذا صحيح . لم يبق سوى أربعة أسابيع على قدوم الأعياد . "عيد ميلاد مجيد" . عالم خلا من المعاني . حياة خلت من المعاني .

وجد موظف الاستقبال مفتاح الغرفة الخاصة بها . نعم ، كانت غرفتها في مكان جيد . نعم ، سوف لايزعجونها إن جاءتها أية مكالمات تليفونية . كانت تسير إلى غرفتها وهي شبه غائبة عن الوعي ؟ ألن ينتهي هذا الممر الطويل اللانهائي ، وهذه الروائح الكريهة ؟ دار المفتاح بسهولة ، هذا أول شيء يسير بلا مشاكل اليوم ، كانت تفكر بشبه هيستيريا . يجب أن يسجل أحد هذا . الدموع اهتزت ، ترجرجت ، تنتظر عذرا كي تسيل . لن تسمح لها أن تسيل

فلقد مضى زمن البكاء . سيفيدها أن تأخذ حماما، منذ زمن لم تفعل ذلك . أفكارها المتنافرة مع ما تكابده من تعب صورت كل شيء كقطع ممزقة من ألغاز عديدة . لم يكن معها أية ملابس أخرى . الملابس التي كانت ترتديها منذ كانت بـ " هونج كونج " تركت في غرفة خلع الملابس بأحد المتاجر . ورق الحائط هذا بشع المنظر . كرهت هذا اللون البني السائل الجامد، وهذا الأخضر الذي يشبه ما بالأمعاء وهذا الأصفر المقزز .

ابن "كريس" سوف يكون بخير . إن هذا الرجل يشبه الأوقات السعيدة التي خلت.

إنه يشبه النشيد الوطني ، مجسماً في شخص واحد . أخذت تتخيل هذه الألوان الكريهة تلون أوراق الكرنب ... لو لم يكن بها كل هذا الإرهاق لأصيبت بالأرق من رؤية تلك الألوان . كل ما معها الآن هو حقيبة يدها التي حولت ما بها من شيكات سياحية وهذا الكيس الحقير . لا شيء آخر . حمداً لله أنها تملك تذكرة العودة .

حاجتها إلى النوم طغت على حاجتها إلى النظافة . غيرت "راشيل" اتجاهها . إنها تستطيع أن تنام أسبوعاً كاملاً . ظنت أن الطرق الذي تسمعه على الباب نوع من المداعبة.لن ترد .

- " أنسة "كارستيرز" . افتحي الباب . يجب أن أ تحدث معك " .

إن هذا هو اسمها . فقط "ديان جينكز" هو الذي يعلم بمكانها ، لم يكن ليأتي إليها إلا إذا كان الأمر هاماً .

- "نعم ، من بالباب ؟ " أدارت رأسها تجاه الباب . لا يوجد مخلوق يبالغ في الكرم إلى هذا الحد بعد ٣٦ ساعة بلا نوم ! لن يدخل أحد إلا إذا كان لديه أسباب وجيهة للغاية . حتى ولو كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

- " أنا "لوك سومرز" . يجب أن أتحدث معك" . وانفتح الباب من فوره كما لو كان هذا سحرا . دخل ، استدار ، ثم انتظر . وضعت "راشيل" يدها خلف ظهرها محاولة الاستناد على الكنبة التي وراءها . لا ، لو استندت سرعان ما ستغفو . فاعتدلت في وقفتها . يتحتم عليها أن تفكر بصورة جيدة ، ثم إنها

لطالما اعتادت على التعب من قبل . ولطالما اشتغلت ساعات وساعات طويلة في الأماكن التي كانت تعمل بها . طوابير لا تنتهي من الناس كانت تتشكل منذ ظهور خيوط الفجر الأولى . مرض ، معاناة ، يأس . كان الفريق يعمل حتى حلول الليل أو حتى الانتهاء من آخر مريض ، أيهما أقرب . "راشيل" استعادت الآن مثل هذه القدرة . قد تكون هذه هي فرصتها الأخيرة للفوز بـ "جوردي" . ربما أنصت إليها هذا الرجل ، ربما استطاعت أن تشرح له ماذا يعني لها الطفل .

أخذت "راشيل" تنظر إليه . شيء غريب حقاً . ليس له وجه على الإطلاق . فقط موجات من الإشعاع . لقد سرق أحدهم وجهه . يجب أن تحيطه علماً فقد يتخذ إجراء ما . فقط منعها التصاق لسانها بسقف حلقها . نظرت ثانية . الآن هذا وجهه ، إنه مثل قطعة ملساء من الفضة . كصفحة طوفان "بنجلاديش" . المياه الفاضبة التي تعكس أشعة الشمس . غثيان ، مياه تسيل ، امتثال للأقدار . تراخت جفونها .

- " اللعنة ! " أمسك بها قبل أن تقع ، لحقها في آخر لحظة . ترى ما هو الخطأ؟ هل كانت شكوكه المبكرة في محلها ؟ مال "لوك" عليها وأخذ يشم رائحة أنفاسها . لا أثر للكحوليات . إنها خفيفة للغاية كمولود عمره يوم واحد . أدخلها إلى فراشها . غطاها . هذه المجنونة الصغيرة كان يجب أن تخطر أحداً ما بهذا الإنهاك الذي تعانيه . ماذا لو لم يقرر أن يأتي ليتحدث معها الآن ؟ كان من الممكن أن ترقد هنا إلى الأبد .

وفي ظرف نصف ساعة كان قد استدعى "لإسعاف من أقرب مستشفى . لو طلب منهم أي شيء لنفذوه في الحال وإلا قام بتهديدهم بكل شيء بدءاً من كتابة ا لشكاوى حتى التشهير بهم في الصحافة . أراد منهم كل الحذر ، طلب منهم كامل الحيطة في الحال . لا ، لن يترك المريضة ، ولن ينتظر بالخارج ، اللعنة ، أخيراً سوف يعيشون حقيقتهم بلا ادعاءات . لو كان أسداً هائجاً لكان أسلس ترويضا منه الآن .

ثمة دكتور "أندروز" ، أخيراً أتى حاملاً نتائج بعض التحاليل ، واقترب منه

حذرا .

"راشيل كارستيرز" تعاني شيئاً واحداً فقط ، الإرهاق الشديد .

هذا يجمع أجزاء الصورة معاً ، يحل اللغز . النظرة الخالية من أي تعبير ، الغثيان .

- "إنها غير فاقدة الوعي ، إنها فقط نائمة . ربما كان هذا أفضل علاج لها . إنها تبدو كمن قام بالعدو أياماً بلا توقف أو كلل . وواضح أنها لم تأكل طوال الساعات الأربعة والعشرين الماضية . سوف نبدأ تغذيتها عن طريق الوريد إلى الصباح ."

أخذ الطبيب يتفحص الانفعالات البادية على صفحة وجه هذا الرجل ، متسائلا عن نوع علاقته بالمريضة الآنسة "كارستيرز" ، مؤكداً أنها امرأة محظوظة، "لوك سومرز" يراقب ما يجري لها كما لو كان أما تراقب ابنتها .

أي خطأ صغير قد ارتكبناه حتى يمطرنا بتلك النظرات المنذرة المهددة التي يتطاير الشرر منها كأنما يقول : سوف أهدم هذا المكان هدماً فوق رؤوسكم .

كان الوقت متأخراً . وقد كان على "لوك" أن يعود إلى المزرعة . أن يتعرف على ما يهمه من أخبارها . أن يحتضن هذا الابن الذي حصل أخيراً وبصورة رسمية على وصايته . أن يستعد لأعمال اليوم التالي .

أخذ ينظر إلى هذا الوجه الشاحب الراقد على الفراش . كان القرار قد اتخذ : ليس هناك ما يمكن فعله لها الآن . إنه يكره المستشفيات . لم يكن ليستسلم لها كلية وفي دفعة واحدة .

- " هل تحتاج إلى شيء من التمريض ؟ "

- " في الحقيقة لا . لقد ساعدتها الممرضة على شرب بعض العصائر .لقد شربت بسهولة ، وستكون بخير طالما انتظم إمدادها بالسوائل . حرارتها لم ترتفع ولم يظهر أي نوع من التدهور في حالتها . هذه البطاقة الصحية التي تجدها مع جواز سفرها مدون بها أنها قد أخذت كل جرعات التطعيم الضرورية . إنني اؤكد أنها لا تحتاج إلى شيء سوى الراحة . إذا كان لديها مكان تذهب إليه ، أو شخص يهتم بها يمكننا الإفراج عنها في الحال . وإلا

فمن المحتم أن أبقي عليها هنا" .

أخيراً أقر "لوك" : " أنا أتحمل مسؤوليتها ، إني أمت لها بصلة القرابة " .

فليعنه الله .

لم يكن استيقاظها من النوم مريعاً . لقد اعتادت أن تصحو من نومها لتجد نفسها في أماكن غريبة ... حامل خشبي ، خيمة ، أرضية فناء إحدى المدارس. غالبا ما تصحو من جراء اصطدام حواسها بأشياء كصراخ أطفال ، أو صياح صائح ، أو جلبة أناس اعتادوا الكلام في صوت واحد . ما أثار انتباه "راشيل" هذه المرة هو أنها لم تكن بمكان غريب قذر ، نتن الرائحة ذي جلبة ، لا يليق بآدمي . أو بمكان غريب ، نظيف ، هواؤه متجدد ، مرتب ، تتوفربه الأبهة .

أماكن من هذا النوع أو ذلك ، كتلك التي كانت تعرض لها في الأعوام القليلة الماضية .

كانت في فراش أنيق واسع ، فخم ، مهيب . ستائر بيضاء تحجب سماء برتقالية اللون . أهو الشروق ؟ أم الغروب ؟

نضرة وورود على أرضية خضراء تغطي الجدران ، كأنما استمدت ألوانها من الوادي . ألوان السجاد تتمشى بتناسق مع ألوان ورق الحائط .

ثمة تسريحة خشبية أنيقة تلمع مرآتها بجوار أحد حوائط الحجرة و ثمة صوت بالخارج ، إنه يتحدث بالإسبانية . وصوت امرأة تضحك . نشط هذا الصوت ذاكرة "راشيل" . لا يمكن أن تكون هذه حجرتها بالموتيل ، لقد تفحصتها تماما.

أدارت رأسها ، رأت وجها ينظر إليها متطلعاً : "لقد أفاقت ، أسرع بالحضور ، لقد أفاقت ... "

وقامت الفتاة التي كانت جالسة على المقعد بأحد أركان الحجرة ، كانت قوية البنية ، وقامت تجري إلى خارج الحجرة . تجمدت "راشيل" . لم يكن قيامها من نومها أبدا بالذي يثير كل هذه السعادة . هل هذا خيال ؟

سمعت صوت أقدام تدق على الأرضية الخشبية خارج الحجرة مسرعة ، وانفتح الباب . وبرز منه فجأة رجل طويل . عريض . كأنه يحيط بالعالم كله . زالت

منها الرهبة عندما دنا منها متلهفا كما لو كانت شيئا ثمينا . الانفعالات الجياشة التي طافت بها جعلتها تظن أن كل ذلك مجرد حلم .

- " كيف تشعرين الآن ؟ "

جال بخاطرها لأول مرة أن تفكر بحالها . أخذت تتفحص نفسها من تحت الأغطية . يبدو أن كل شيء على ما يرام . هذا واقع ، وليس حلماً .

- " بخير " .

اقترب منها . فجأة أخذت تتذكر كل شيء . البرقية . رحلة العودة إلى الديار . مشهد المحكمة .

هذا ليس بكابوس . هذه هي نفسها . لقد فقدت "جوردي" . لم تحصل عليه أبداً . واغمضت "راشيل" عينيها .. امتدت يده إلى زر أعلى الفراش فأضاء الحجرة .

- " هل تشعرين بألم " ؟ . ثمة يد أخذت تتحسسها . دافئة ، تشعرها بالراحة بالحماية . الفائز يحصل على كل شيء. آخر مرة رأته فيها كان يختال بصحبة امرأة أسكرتها نشوة الانتصار . محاميته ، مؤكد أنها امرأة متعددة المواهب .

- " أين أنا ؟ " أخذت تتذكر ما دار بينهما في قاعة المحكمة . ما جرى منه وما فعله معها . في هذا الموقف لم تعر ما حدث اهتماماً حقيقياً . ولكنها لا تستطيع أن تتجاهل ما يحدث الآن . اليد التي تتحسسها تهدئ كل عصب في جسدها .

- " في "دياموند بار" . " اعتدلت "راشيل" في الفراش . أحست أن رأسها يسبح . أغمضت عينيها ، وأحست أن حالتها أفضل مما مضى . كان ضعفها شاقاً .

- " مزرعتك ؟ كيف أتيت إلى هنا ؟ " - " أنا نقلتك إلى هنا " .

كيف تنقلني ؟ هل أنا كيس ورقي ؟ الأسوأ أن السكينة لم تدخل قلبها تماما بعد .

- " كيف ؟ " كست الدهشة صوتها : " أعني كيف ؟ من دقيقة واحدة أنام في

حجرة بالموتيل ، وفي الدقيقة التالية أجدني أفيق هنا ... " لم تكن لتتملى بالثورة بسهولة . امتلأت بالتطلع مما جعلها تجهد نفسها بالتركيز فيما يحدث . أخذت "راشيل" تتمنى أن يكون ما بها من حمى الملاريا جعلها تهذي . لا يمكن أن يكون هو هذا الرجل . لا يجب .

- " يجب أن أتحدث معك " ، قالها "لوك" بهدوء . أحس أنها غير راضية - عما قام به .

- " لقد تتبعتك عند خروجك من المحكمة حتى وصولك إلى الموتيل ، أصابك الإغماء . وفي المستشفى قال الطبيب إنه يتحتم عليك إما البقاء أو الذهاب إلى مكان يتوافر به من يقوم على رعايتك . فأتيت بك إلى هنا . "

لم يخطئه ما شاهده من مسحة حزن في عينيها . دخلت إلى أعماق قلبه . لا ينبغي أن يبقى أحد وحيداً كل هذه الوحدة .

لقد أصبح هذا أمرا واقعا ، هذا ما أخذت "راشيل" تقنع نفسها به ، لا يجب أن يؤلمها ما حدث لكنها لا تستطيع أن تنكر ما أحس به قلبها من سعادة من دخل الجنة ، مما سمعته منه لتوها . الغلاف الخارجي لم يكن بالقوة والصلابة التي تخيلتها .

- " منذ متى وأنا نائمة ؟ "

- " أكثر قليلاً من أربع وعشرين ساعة . إنها الخامسة مساء الآن . طبيب المستشفى التي نقلتك منها قال إن ما بك هو من تأثير إرهاق زائد عن الحد. "

- " كان يجب أن تتركني هناك " ، ثم قالت منكرة " لماذا لم تتركني حيث كنت؟ " وفضحته العيون الزرقاء . وأدرك "لوك" أنه لا ينبغي له أن يطلعها على الحقيقة، ليس الآن . لم تكن لتحتمل المزيد من المعاناة . كما كان يتحتم عليه أن يتأكد من حقيقة مشاعره أولاً . ثم جنح "لوك" إلى شيء من الدبلوماسية :

- " لقد رأيت أنك ربما تفضلين قضاء بعض الوقت مع "جوردي" ، لكي تتعرفي عليه عن قرب " .

أفقدها سماع الاسم رباطة جأشها . لا . لا تريد أن تتعرف على الطفل عن

قرب وليس الآن تتعرف عليه ، ثم يتحتم عليها أن تتركه وتذهب ، هذا سوف يحطمها حتماً . لا يمكنها المخاطرة بذلك . فالقلب لا يستطيع تحمل آلام أكثر مما تحمله . وحدة موحشة وقاسية . ربما علاقة عن بعد ، كما كان بينها وبين "كريس" . شيكات ، خطابات ، هدايا من بلاد بعيدة . عدم احتكاك شخصي أقل ألماً ، أسهل . هذا النوع من العلاقات الذي اعتادته "راشيل كارستيرز" وباقتدار . وأعادها صوت فتح الباب إلى الواقع فجأة . دخلت امرأة متقدمة في السن . لابد أنها خادمة المنزل التي ذكرها "لوك" في المحكمة بالأمس .

- "هانتذي مستيقظة أخيراً !"

ونظرت إليها بوجه ملائكي ذهبي دافئ ودود ، محاط بشعر بني مطعم بهالات من البياض . نظرت إليها بعيون عسلية تنطق بالبشر . تعيش الدعة وتتمتع براحة البال . مرتدية زيا منزليا بسيطا عليه مريلة بها خطوط بيضاء وزرقاء . لهجتها ذكرت "راشيل" بتلك المتطوعة الأوروبية التي التقت بها في العام الماضي.

- "مرحبا بك في "دياموندبار" . هل تعلمين أنك قد نمت أربعا وعشرين ساعة متصلة . هل أخبرك "لوك" أننا الآن قد أصبحنا يوم السبت مساء ؟ الفتاة التي كانت جالسة بجوارك هي "أنجيلا" ابنة زوجي . إنها فتاة طيبة ، انتهت لتوها من فترة مراهقتها حيث المبالغة في العواطف سمة للتعامل في كل شيء . أرجو ألا تكون أزعجتك" . غمرها من حديث "حنا رود ريجز" ذلك الشعور بالأمان والطمأنينة. إنك بأمان الآن . سوف نعتني بك ونرعاك جيداً .

- "لقد أتى "لوك" بك إلى المنزل لأن الطبيب أخبره أن أهم ما تحتاجين إليه هو الراحة التامة.لا أحد يحتمل تلك المستشفيات اللعينة ... ولا إزعاجهم المتوالي للمرضى للتأكد من سلامتهم والكشف عليهم . لقد طلب الطبيب إلينا التأكد من إمدادك بالسوائل باستمرار ، وهذا هو ما قمنا به دون إبطاء أوتهاون.

أظن أن الوقت قد حان لكي تتناولي طعامك . أتيك بشيء خفيف الآن . وسيكون العشاء بعد ساعتين من الآن" .

- "هذه هي "حنا" التي تعنى بكل أمورنا هنا في "دياموند بار" ." قالها

"لوك" معرفاً تلك المرأة التي نادته لتوها "هي التي ساعدتني على وضعك بالفراش مساء أمس" .

أخذت "راشيل" تتحسس نفسها . كانت ترتدي شيئا سميكا يدفئها جيدا ويغطي حتى رقبتها تماماً . أمان . شعرها مصفف . أخبرتها أصابعها عندما مررتها عليه أن ثمة شخصا قد صففه لها يجب أن تعثر على شيء تعقص به شعرها في جديلة واحدة كما اعتادت . هل يمكن أن تعيش هذه الحياة ؟ رفعت يدها عن شعرها واستدارت تجاه "حنا" :

- "شكراً جزيلاً ، إني أعتذر عن الإزعاج الذي سببته" .

- "لا إزعاج مطلقاً يا طفلتي العزيزة" وربتت على يد "راشيل" التي شعرت بالراحة والتفاهم بلا حدود ." إنه لمن دواعي السرور أن نستقبل ابنة عم "كريستينا" هنا . لقد أخبرتني بكل شيء عنك. . أخبرتني كم كانت تتوق إلى أن تقومي بزيارتنا . والآن لا تتعبي نفسك بالحديث . كلي واستريحي وإلا سينحيني "لوك" عن هذه الحجرة ويمنعني من دخولها . إنه يسميني الثرثارة بلا حدود . سوف أعود إليك لأعينك على أخذ حمام دافئ . ثم نعتني بكل شيء ولكن فيما بعد" .

وابتسمت "حنا" ولملمت ملابسها ثم خرجت من الحجرة . تمددت "راشيل" مرة أخرى . كانت تكتم دموعها أن تسيل فبدا ذلك عليها :

- "آسفة لما سببته لكم من إزعاج" .

- "لا إزعاج مطلقاً ،"حنا"تحب أن تحاط بالآخرين" .

ولم تحرك ساكناً . أنزلت "راشيل" ساقيها من على الفراش الوثير ، " أريد أن أستعمل ..."

ولم تكمل جملتها أبداً . ساعدتها ذراعاه القويتان على النهوض ، والاتكاء عليه، أوصلها إلى باب الحجرة ، واصطحبها عبر الممر الخارجي حتى وصلت إلى الحمام ، فأدخلها وظل واقفا . ظل يحيطها بذراعه حتى تمالكت توازنها تماماً.

- "كل شيء قد تحتاجين إليه ستجدينه في هذا الدرج العلوي" . وداعبت أنفاسه خصلات شعرها ." سأنتظر خارج الباب ." وبعد خمس دقائق كان

يكرر معها الرحلة عبر الممر إلى الغرفة . وساءلت "راشيل" نفسها – دهشة – هل هناك قواعد معينة عند التجول في هذا المنزل ؟ ربما قد غسلوا السجاجيد لتوهم ولا يريدون أن تتسخ مرة أخرى . لكن خطوات "لوك" التي تدق على الأرض دقاً جعلتها تتراجع في ظنونها . فقد كانت أرضية الممرات من الخشب. ما إن دخلت "راشيل" إلى حجرتها حتى أغمضت عينيها . إنها الطريقة الوحيدة التي تتخلص بها منه . ذلك الذقن الصارم ، وذلك الأنف الحاد ، تلاشى تأثيرهما من دفء نظرته الطويلة إليها واستولت على لبها . كان يبدو كالحجر الصلد في ملابس أنيقة ونظافة بالغة . كان كاندفاع الماء على فراش من الرمال . سمعت شيئاً عن أوامر الطبيب بضرورة الراحة التامة .

– " يمكنني الرحيل . " قالتها "راشيل" كالمقرة بحقيقة لا ينبغي الفكاك منها ، أنكرت نفسها ، أين اعتدادها بنفسها واستقلالها ؟ أين كل ما اعتادته في السنين الأخيرة ؟ لقد تعاملت مع رجال من كل الأنواع والأعمار . ليس هناك من سبب لكي يؤثر هذا الرجل عليها بهذا القدر .

حاولت مرة أخرى : "إنني بخير حال" .

– " ليس قبل أن يقرر الطبيب ذلك . "

لم يكن لكلماتها أي معنى . " أريد أن أخبرك أنك يجب أن تزوري دكتور "كنتون" غداً ، لإجراء بعض الفحوص . إنه طبيب العائلة . وإلى هذا الحين عليك البقاء هنا " .

وساعدها على دخول الفراش ، وأخذ يساوي خصلات شعرها . أخذ يتأكد من تغطيتها كما لو كانت طفلته الصغيرة ، ثم أتى لها بصينية الطعام .

– " تناولي طعامك " .

ونظرت "راشيل" إلى الصينية . ثلاث شطائر ساخنة خرجت لتوها من الفرن ، زبدة طازجة ، ثلاثة أنواع من المربى ، وبالإناء المغطى ثلاث بيضات مطهوة . وكوب من العصير الطازج يفتن نظرها . إن كانت هذه هي الوجبة الخفيفة فليصبرني الله عندما يحين وقت العشاء .

تناولت العصير . بمجرد خروجه من الحجرة تعود بالصينية مرة أخرى إلى

المطبخ فتشرح لـ "حنا" أنها لا تستطيع أن تتناول كل هذا الطعام . لكن "لوك" كان لا يعتزم الانصراف على ما يبدو . لقد جر مقعداً بجوار الفراش ، وجلس عليه . بعد برهة أخذ كوب العصير من يدها وكرر : "تناولي طعامك ." لم يكن تبدو عليه نية الذهاب ليباشر أيا من شؤونه . فأخذت قطعة من الشطائر وقضمت منها قضمة وأخذت تلوكها . وبدأ لعابها يسيل في فمها ، وأخذت شهيتها تزداد . أخذ "لوك" ينظر إليها . تبدو كأنها تلوك قطعة من الجلد في فمها . والتقط شطيرة فغطاها بالزبد ثم غمسها في مربي الخوخ وجيلي التين وقدمها إليها . فاتسعت عيناها ، لكنها تناولتها منه . أحس "لوك" عندما لمست يده أصابعها ، أنها تكاد تتجمد من البرودة . ثبتت عينا "لوك" على شحوب لونها . أراد أن يرفع المقعد . فليلقه من النافذة .

ما هو الخطأ في هذه المرأة ؟ لايمكن أن يكون لمخلوق هذه القدرة على السيطرة على نفسه . توقع أسئلة ، جدالا ، استسلاما – على أقل القليل . لم تبدر منها أية بادرة . ما الذي يجعل "راشيل كارستيرز" بهذه القدرة على ألا يهتز لها جفن ؟ كانت الإجابة على هذا السؤال هي – حتما – بداية الطريق لكي يفهمها .

لم تكمل سوى نصف الشطيرة التي قدمها لها . لم يواصل الضغط عليها :

– " هل تريدين شيئاً آخر ؟ "

– "هل أستطيع أن أشرب شيئاً من القهوة ؟ "

– "آسف . الطبيب منع عنك الكافيين تماماً ." لم يفعل الطبيب ذلك ، ولم يصرح به، لكن "لوك" ظن أن عدم شرب القهوة أفضل لها حتماً .

– " هل أتي لك ببعض شراب الأعشاب ؟ إن "حنا" تحتسيه دوما ."

– " لا ، أشكرك ."

فرفع الصينية ومددت "راشيل" رأسها ثانية على الوسادة وأغلقت عينيها . كان هذا أفضل هروب يمكنها القيام به .

وتحت ستار جفونها المسدلة أخذت أفكارها تتداعى . لماذا – أتى بها "لوك سومرز" إلى هنا ؟ كلما أسرعت بمغادرة هذا الفراش والعودة إلى "لوس

أنجيلوس "، كلما كان ذلك أفضل.

عندما دخل المطبخ حاملاً الصينية، بادرته "حنا" متسائلة:

-" وكيف تحصل على قوتها؟ إن القطط التي تتضور من الجوع تبدو أفضل حالا منها."

كانت "حنا" في الواقع، تعلم عن "راشيل" أكثر مما يعلم هو نفسه. وفي الحقيقة، هي التي حدثته عنها وأعطته كل التفاصيل عن ابنة عم "كريس" تلك قبل القضية، فمن الواضح أن زوجة أخيه تحدثت عن "راشيل" إلى باقي أفراد العائلة.

-" كانت الرحلة طويلة وشاقة من "بنجلاديش"." فسر "لوك" الامر محاولاً الدفاع عنها على غير العادة. لقد تحدثت مع "جنكز" - محاميها هذا الصباح، وطبقاً لروايته فلقد أتت إلى المحكمة من المطار مباشرة. إنها منذ أن غادرت القرية التي تعمل بها هناك وحتى وصولها إلى مطار "لوس أنجيلوس" الدولي قضت سبعين ساعة متصلة من السفر. ولقد أخر الرحلة في "هونج كونج" حدوث عطل في أحد المحركات، دام لمدة اثنتي عشرة ساعة. كانت واقعة تحت ضغط رهيب، فهي كانت تعلم أنه يتحتم وصولها في الموعد المحدد للمحاكمة. فإذا أضفنا متاعب الرحلة إلى هذا الضغط العصبي، فإنها تحتاج إلى فترة من الزمن حتى تعود إلى حالتها الطبيعية."

ساءلت "حنا" نفسها:

ترى لماذا هي تريد "جوردي"؟ إن كانت تسعى وراء المال أكون أنا خليفة "مارلين مونرو"، مرت فترة من الصمت وهي تشاهد "لوك" وهو يأكل كل البيض المطهو.

-" هل طلبت رؤية "جوردي"؟"

-" إنها لا تزال متعبة." لماذا يدافع عنها؟ لقد تعجب هو نفسه أنها لم تبد أي اهتمام بخصوص الطفل. و همهمت "حنا" فهي ليست بالغبية الخرقاء:

-" هناك شيء ما خطأ، يا سيد "لوك سومرز". وإن قلت إنني على خطأ فسوف يصيبني الجنون إلى الحد الذي يجعلني أطهو لكم جزراً مسلوقاً كوجبة

للعشاء". لكن "لوك" لم يحر جواباً عليها. إنه يطير سعادة وهو يرى "جوردي" يلهو ويلعب، عندما يستمع إلى صوته وضحكاته، عندما ينظر إلى طفولته وبراءته، عندما يجلسه على كتفيه. لا يهمه إن كانت "راشيل كارستيرز" لا تبدي اهتماماً بمعرفة "جوردي". سيظل الطفل دائما غارقاً في حب "دياموندبار". نصف أهالي المزرعة كانوا يهللون لدى عودته بالأمس. كان نبأ انتظاره قد طار إليهم. بعض من هؤلاء نشئوا معه هو و "روب" منذ الصغر. كانوا يشاركونه حب "جوردي". لكن اصطحابه لغريمته فاجأهم جميعاً. بدا عليهم الاهتمام البالغ وهم يرونه يحملها إلى داخل المنزل. لكنهم كانوا يعلمون عنه جيداً بما يكفي لعدم سؤاله عما يفعل. كانت "حنا" آتية بشيء من ملابس النوم الخاصة بها إلى حجرة الضيوف حين كان "جوردي" قد بدأ في البكاء. نام "لوك" بجواره حتى يطمئن عليه، وحتى يتأكد أن ضيفته غير المتوقعة على خير حال في نومها، كان قرار النوم في غرفتها أمرا لا بدمنه. طوال النهار تنشغل "حنا" برعاية الطفل. ولم يمكنه أن يطلب منها أن تعمل الليل أيضاً. كما لم يمكنه ترك "راشيل كارستيرز" وحيدة في جناح الضيوف. قد تصحو من نومها فتصاب بالذعر مثلا. لذلك قرر أن يأخذ الطفل للحجرة المجاورة. فإذا بدأ "جوردي" البكاء سارع إلى حجرته قبل أن يمتد بكاؤه ويعلو صوته. كانت تعاني الإعياء أكثر مما تبدو نائمة. كانت تتقلب على الفراش بصورة مستمرة أطاحت بالوسائد والأغطية على الأرض، مرتين. نامت على بطنها، أخذت تهمهم بلغة غريبة فأثارت انتباهه. فكان يطمئن عليها ثم يعود للنوم على فراشه الأرضي. ثم بعدها بدقائق معدودة سمع صرخة قصيرة فوقف على قدميه مذعورا، أخذ برهة من الوقت حتى تمالك نفسه فتوجه إليها ليطمئن.

-" "توم" أرجوك أسرع. المرأة. إني لا أستطيع تحمل المزيد. "توم"." كانت تهذي كالمجنونة، وفجأة فتحت عينيها المغمضتين واتسعت حدقتاهما، وامتدت يداها لتمسك بشيء لاوجود له. راعه اليأس في نظراتها. فجذبها إلى أحضانه.

- "صه" وأخذ يطمئنها : " إنك في منزلك الآن ، لا تخشي شيئاً ." ثم اعتدلت بسرعة بعد أن ظن أنها عادت إلى نومها. لكنها لم تنم :

- " بيتي ؟ " كانت عيناها مثبتتين عليه الآن .

" هل أنا في بيتي ؟ " وبلغ به الانفعال أوجه. كان هناك الكثير من الحزن الرقيق في هاتين العينين القريبتين الآن منه. الكثير من عدم التصديق. كانت رغبة "لوك" في تغيير هذه النظرة تهزه هزا .

- "نعم" . فاقتربت منه أكثر. كانت جفونها مسدلة، لكن صوتها كان نقياً كل النقاء :

- " لا تتركني أذهب أبداً ." أخذت تدع يديها تتلمس تفاصيل جسده، يديه، كتفيه، ثم لأعلى: خديه ثم خلال شعره. ثم أدنت رأسه إليها ، كانت لاتزال تحاول أن تتأكد أنه سينفذ وعده الذي قطعه على نفسه . اقتربت عيناها منه في محاولة للإبقاء على الصاعقة. لن ينسى تلك القبلة التي ذاقها . وأحدث هذا التقابل المفاجئ تغييراً سريعاً في كل شيء . فجأة لاح عليها أنها عادت تبحث عن إثبات . عاد "لوك" يقبلها كما لو كان طفلا صغيراً ، محاولاً مستميتاً أن يمنحها الأمان الذي تحتاج إليه بشدة . ولم يكن واثقاً من شيء عندما عاد إليه وعيه ، إلا من أنه كان هائماً وأنها كانت تحاول أن تجذبه أكثر وأكثر إليها .

- " أرجوك ، " آخذة في التوسل بهذا الصوت الذي لن ينساه" أرجوك احتضني قطع صوتها حبل الرجاء الذي تعلق به ، نضح صوتها بالمرض . "راشيل كارستيرز" مريضة . إنها لاتدري ماذا تقول أو ماذا تفعل . إن هذا بعيد كل البعد حتى عما قد تذهب إليه أحلامها .

- "هس " آمراً إياها مرة أخرى بالصمت . لفحته أنفاسها الحارة وهو يريح رأسها على خده "فقط ، حاولي أن تعودي مرة أخرى إلى النوم" .أخذ يهزها كما يهز طفلة صغيرة ، منتظراً أن يعود إليها هدوؤها . وعندما أراح رأسها مرة أخرى على الوسادة ، كانت الابتسامة قد عادت ثانية إلى صفحة وجهها . ولأول مرة منذ رآها ، كان وجه "راشيل كارستيرز" يبدو عليه السلام والأمان ، أخيراً .

وانتابه خوف رهيب . قوي ، حصين . حاول أن يتخلص منه . كانت انفعالاته أكثر من أن يحتملها .

أراد أن يتأكد أنها ليست محمومة ، فمر بيده على صفحة وجهها ، وقربه منه مرة أخرى ، وحدث كل شيء لا إرادياً . ثم عاد إلى فراشه الأرضي ، ولكن ليس لينام .

أخذ "لوك" ينظر إلى "جوردي" متطلعاً . استطاع ابن أخيه أن يصل إلى قدميه، وأن يمسك بالمقعد . أخذت عيناه الزرقاوان تبحثان عن شيء أكثر إثارة من اللعب المتناثرة حوله . أعطاه "لوك" كرة ، كانت ملقاة في أحد الأركان .

إن "راشيل كارستيرز" لغامضة كل الغموض . لم يكن ليستريح حتى يعرف لماذا أرادت "جوردي" ، ولماذا لا تريد رؤيته الآن . وشعر "لوك" أن الإجابة لن تكون سهلة المنال . إنها لن تساعده . ذهب يطمئن عليها حينما حان موعد العشاء ، لكنها كانت سرعان ما عادت تغط في نومها . أخذ يرتب الأغطية من حولها ، ووضع يده على خدها . كان أملس ناعماً . أخذ يتذكر عندما ذكرت "كريس" أن ابنة عمها سوف تنضم إلى الـ "م. ر.ا" بمجرد انتهائها من دراستها الجامعية . أخذ "لوك" يتساءل عما دفع "راشيل" إلى أن تعزل نفسها تماما عن كل شيء يربطها بعائلتها وبأهلها ومعارفها .

الفصل الثالث

أفاقت "راشيل" قبل الفجر . كان يلزمها بعض الوقت كي ترتب الأفكار التي تعتمل بداخلها . لقد أتى بها "لوك" إلى هنا يوم الجمعة مساءً .ثم التقت بـ"حنا" يوم السبت مساء، وكان يوم الأحد كله إغراقا في مزيد من الراحة ، والاغتسال، وتغيير الملابس لها ، وأن يصفف شعرها برقة . وكلما فتحت عينيها كان يتوسل إليها أن تأكل أو أن تشرب شيئاً . في إحدى المرات أفاقت لتجد "لوك" واقفا بالنافذة ، كان يدير ظهره إليها . كانت تتقلب طوال اليوم ما بين نوم وصحو ، ربما كانت تفعل ذلك دفاعاً عن نفسها .

ثمة منبه قد وضع على الرف الموجود بجانبها . كانت عقاربه المضيئة تشير إلى الساعة الرابعة .الضوء بالخارج أنبأها أن الفجر ليس ببعيد . اليوم هو الاثنين ، صباح الاثنين كان الجو بارداً . شديد البرودة . كانت تحتاج إلى أن تذهب إلى الحمام . وتسللت بهدوء كنسمة صيف ، إلى خارج الحجرة . مرت بناظريها على ورق الحائط البديع ، وحوض الاغتسال الرخامي ، والمرآة المصقولة ، والبانيو الضخم الجاثم هناك ، وتلك النباتات الجميلة التي تتدلى في كل مكان حتى على ماسورة الدش . والنباتات الموجودة على الأرض ، ذلك الأصيص الذي كان يبدو كالواحة في وسط الصحراء . شيء لا يقاوم .

وبنظرة سريعة أدركت أنه لا توجد أبواب أخرى مغلقة في الممر . لولا صرير الصنبور وهي تغلقه لما كان من الممكن أن تزعج مخلوقا . أحست براحة عميقة عندما تمددت في الماء الساخن . ارتعشت عضلاتها عندما لامست الماء ثم استرخت بفعل دفئه . واختلاط عبق اللافندر بهذا البخار المتصاعد ، كانت تتمنى ألا يشعر أحد باستعمالها لهذه المستحضرات وعطور الحمام ، وأخذت تتوغل أكثر وأكثر في الماء اللذيذ فزاد شعورها بالراحة . قطعاً إن الجنة بها مثل هذا النعيم .

انتظر "لوك" قليلا . بعد خمس دقائق لم يطق فراشه أكثر من ذلك ، هذا الفراش الذي كان ينام عليه يوميا على الأرض بجوار فراشها . ماذا لو

أصابها شيء وهي بالداخل ؟ دكتور "أندروز" كان واضحاً جداً في وصفه لحالتها . قام من فراشه ووقف على قدميه . وطرق على باب الحمام . مرة ، مرتين ، ولكن ما من مجيب .

- "راشيل ؟" سمع حركة مفاجئة فأدرك أنه قد أزعجها . سمعها تطفئ المذياع الذي كانت تنبعث منه تلك الموسيقى الريفية بصوت ضعيف من داخل الحمام . وفتح "لوك" فمه كي يعتذر ويفسر موقفه .

- "نعم ؟" كان صوتها المنبعث من وراء الباب يملؤه الخوف . تساءل "لوك" كيف كان يمكن أن يفعل إزاء موقف كهذا ؟ - أيتصرف بمثل هذا الهدوء بسبب ما دار بينهما في الليلة الأولى لها هنا ؟ هل هذا هو سبب إحساسه بالارتباك لوجودها إلى جواره ؟

- "فقط كنت أريد أن أطمئن عليك . ظننت أن التعب قد أدركك مرة أخرى" .

اختلط الإحساس بالذنب بصوتها :

- "إني أعتذر إن كنت قد أزعجتك ، لم يكن هناك أبواب أخرى . لقد ظننت أنه من المناسب ..." .

- "لا تمكثي في الحمام طويلاً" ، كان صوت "لوك" يأمرها بنعومة ، "فقد تصابين بالبرد" .

قاوم رغبة شديدة في أن يرفعها من على الأرض ويحملها على ذراعيه كما لو كانت في عمر "جوردي" ليعود بها إلى الحجرة ما إن تخرج من الحمام .

- "لقد انتهيت تقريباً" . وأنبأتها خطواته المنسحبة أنه عائد إلى فراشه مصاباً بعدوى الإحساس بالذنب . أخذت تجفف نفسها ، واستخدمت قطعة من القماش لتنظيف الدش .

شيء ما يستولي عليها . هذا هو ما يحدث . إنه يفعل الأعاجيب بالناس . المؤكد أنه هو السبب في سعادتها كلما شعرت بـ "لوك" إلى جوارها .

ونشرت قطعة القماش على رف كي تجف . ثم أخذت تبحث عن ردائها . أثارت صورتها المنعكسة في مرآة الحمام انتباهها . أخذت تزيل آثار البخار ، وراحت تنظر إلى جسدها بشيء من الفضول . آخر مرة رأت نفسها عارية

كانت تسبح في أحد الأنهار . كان خفوت الضوء يريحها . بعكس هذه المرآة . أخذت تلاحظ نحول رقبتها ، وأخذت تتفحص جسدها العاري . وترددت بعض لحظات ثم أخذت تبحث عن بودرة التلك . فلم إذن لا تكمل ما بدأته . فحيثما هي ذاهبة لن يكون يسيراً أن تستمتع بكل هذه النظافة والإنعاش . أصابتها الدهشة عندما وقفت بباب الحجرة . كان المصباح الموجود فوق فراشها يلقي بضوئه الذهبي على الفراش الأرضي الموجود على الأرض ، وعلى الرجل الممدد فوقه . أخذت "راشيل" تتأمل الصورة الماثلة أمامها . شعر منكوش ، عيون يغشاها النوم . كان "لوك سومرز" يبدو كمن يعزف إحدى مقطوعات "فلورنسا" الليلية .

- "لست مضطرا إلى أن تنام هنا" .

قالتها بشيء من الصعوبة ، "أنا بخير" . لابد أنه لا يشعر بالراحة عندما ينام هكذا مرتديا البنطلون الجينز .

هذه الارتعاشات التي تحسها ، لابد أنها الملاريا . لم تكن فكرة جيدة أن تستحم في وقت متأخر كهذا . أخذت تتفحص "لوك" ، وهذا الشعر الكثيف الذي يغطي أجزاء من جسده .

- "إني بخير هكذا" ،

الطريقة التي تحدث بها ذكرتها بأحداث المحاكمة ، لقد قلل من شأن أي شيء فعله من أجل "جوردي" ، بنفس هذا الأسلوب .

- "إنني بخير حال الآن ، لذا فإنه لا عليك أن تقلق نفسك بالنوم هنا مرة أخرى" . لقد شاهدت أثناء عملها أجساد الرجال شبه العارية مراراً ، من كل حجم وجنس ولون . لكنها أبداً لم تكن لديها تلك الرغبة في أن تشاهد وتراقب مثل هذه المشاهد كما هي الآن .

- "إنها الرابعة والنصف الآن" .

كانت له أسبابه الوجيهة في أن يخفض من صوته :

- "إن نوم "حنا" من النوع الخفيف جداً . لذا فإن عودتي إلى حجرتي سوف توقظها حتما . وهي لن تستطيع العودة للاستغراق في النوم ثانية" .

www.elromancia.com

لم يكن هناك المزيد لكي يقال . وعادت "راشيل" إلى فراشها ، فدخلته بهدوء ، فلربما يكون نومه خفيفاً مثل "حنا" .

- "هل تريدين بعضا من الحليب الساخن ؟"

استقرت عيناها على الصينية الموضوعة على الحامل . كوب كبير وقطعتان من الشطائر المغطاة بقماش أبيض أنيق .

- "من فضلك" ، كانت تقاوم دموعها بصعوبة. "إنك غير ملزم أن تفعل كل هذا."

لم يفعل لها مخلوق مثل هذا أبداً - كان قلبها الجائع الوحيد يكاد يتمزق من كل هذا .

-"جربي شيئاً من الحليب . سيساعدك على النوم" . لم يكن عليها أن تتكلم أو تعترض من الأصل . لقد اقتحمها بأسلوبه هذا مرة أخرى . لكن "راشيل" حاولت النفاذ إليه :

-"إنني بخير ، صحتي مائة في المائة . غداً عندما ننزل إلى المدينة سأستقل الأتوبيس عائدة إلى" لوس أنجيلوس" . يجب أن أخطر "م . ر . أ." بمكان وجودي" .

هل هذا ما سيكون ؟ هل سوف تقوم هكذا وتغادر بلا أية مقدمات ؟ وجمدته الصدمة ، جعلته يفكر بصوت مسموع .

-" وماذا عن "جوردي" ؟ " ولبثت هادئة برهة من الزمن حتى ظن أنها لم تسمعه لكنها كانت قد سمعته . وعندما بدأت تجيبه لم يكن صوتها بنفس الهدوء . كانت نبرتها قد أخذت الشكل الحاد الذي سمعه منها من قبل :

-" أنا واثقة أنك والـ" دياموندبار" الأفضل له ."

-" ألم تجدي الرغبة في رؤيته أبداً ؟ "

أخذت "راشيل" تقاوم نفسها . كانت الإجابة بالنفي على وشك الخروج من شفتيها ، لكنها منعتها . دائما تلك الحساسية تجاه العواطف ، إنها تستطيع الآن أن تلمس بيدها غليان الغضب الذي يعتمل داخل "لوك" . له كل الحق في امتعاضه . لقد جرته أولا إلى المحكمة من أجل الصبي ، ثم ها هي تتصرف

وكأنها لا ترغب حتى في رؤية ابن "كريس" . وتحركت شفتا "راشيل" أخيراً :

-"سوف أراه في الصباح" .

هناك شيء لا يستقيم . سأل "لوك" نفسه لماذا لم تعد " راشيل كارستيرز" تهتم برؤية "جوردي" ؟ إن هذا التغير المفاجئ غير منطقي بالمرة . وأخذ نفساً عميقاً من الهواء ثم أخرجه بهدوء . كانت محاولته أن يفهمها تبدو له شيئاً مستحيلاً . وعندما وقفت بعد ذلك واستدارت تجاه الباب ، تذكر مشهد الصبي وهو يلهو . وصلت رائحة عطر اللافندر إلى خياشيمه ، والتقى بعينيها وتلك النظرة العميقة لكأنما ينظر إلى بئر مظلم . لم ينس بعد طعم تلك الشفاه ، ولا طريقة انحنائها عليه وهو بالفراش الأرضي. كانت ملابس "حنا" واسعة جداً عليها ، هذا لم يكن بالمستغرب ، فالخادمة وزنها يزيد عنها بمائة أوقية على أقل تقدير . ذكرته نظرات عينيها اللامعة بهذا الملاك الصغير الذي رآه في أحد عروض التليفزيون . وتلك الهالة التي كانت تحيط به .

- "ألا ترغبين في قضاء بعض الوقت هنا ، حتى تتعرفي على "جوردي" بصورة أعمق ؟"

جال بخاطره أحاديث "حنا" له هو وأخيه "روب" عندما كانا صغيرين . الرجل المهذب لا يضايق امرأة ولا يحرجها . فقط ، هو ليس على استعداد في هذه الحالة أن يقوم بدور الرجل المهذب. هناك شيء غامض في "راشيل كارستيرز" ، شيء لمس جزءا ما فيه ، جزءا ليس من تلك الأجزاء المتحضرة ، جزءا بدائيا لم يلمس أو يثر من قبل .

- "لا" ، كان الرد مباغتاً ، كانت آثار اللبن لا تزال حول فمها .

- "ولم لا ؟" . كان عليها أن تقول له شيئاً يخرسه ، حتى لا ينطق بهذا الموضوع ثانية وخرجت الحقيقة من فيها :

-"هكذا سيكون الحال أيسر" .

إذن هذه هي الحقيقة .. "راشيل كارستيرز" لا تريد أن تجازف بأن تنمي علاقة متصلة مع "جوردي" . ولكن لماذا ؟ لقد حررها قرار القاضية من أن تواصل ما كانت تعتزمه ، كما منحها الحق في زيارة "جوردي" من حين لآخر كما تريد .

إلا إذا ... وتساءل "لوك سومرز" :

- " إلا إذا كانت أنصاف الحلول لا تتوافق معها . إن لم تحصل على كل شيء فهي لا تريد شيئاً مطلقاً . " ثم تراجع . لا ، إنه لايظن أن تلك هي الحقيقة . اختلطت تلك النبرة الغريبة بصوتها مرة ثانية ، هذا الصوت الذي بدأ يرى أنه علامة على الضغوط التي تعانيها . التفسير الوحيد الآخر هو أن "راشيل" كانت خائفة من الا نغماس في علاقة مع الطفل الآن . خائفة من الحب .

وضعت كوب اللبن على الصينية ، ومسحت بظهر يدها آثار اللبن المتبقية حول فمها ، ثم تمددت ثانية على فراشها وأطفأت المصباح . وتمدد "لوك" على فراشه، وفرد أصابع كفيه تحت رأسه . في غضون نصف الساعة ستعود الحياة لتدب في المنزل ، فـ "جوردي" دائما يستيقظ في السادسة . صياحه غالبا هو ما يبدأ به "لوك" يومه . وبعد احتساء وجبة اللبن الأولى يصبح "جوردي" في أحسن حالة . لو أخبره أحد - من ستة أشهر مضت - أن صياح الطفل يمكن أن يصنع هذا الفرق ، لما صدقه . الآن ، أصبحت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يبدأ بها يومه . لاشيء في الوجود يحتل أهمية لديه أكثر من هذا الطفل الذي سيتبناه قريباً . إن هذا الطفل يمثل أحلام أخي وأماله . إنه شيء نفيس مقدس . أي شيء في الوجود يأتي بعده في المنزلة . إن المزرعة هي أفضل مكان لينشأ الصبي بين ربوعه . الطفل يحتاج إلى الهواء الطلق المتجدد ، وإلى هذا ا المكان المفتوح المترامي من حوله . فلا مجال للندم ولا داعي للتراجع .

لقد كان اتخاذ القرارات دوماً شيئاً سهلاً بالنسبة له . حتى الآن . حتى ظهور "راشيل كارستيرز" . يمكنه أن يدعها ترحل طالما هذا هو ما ترغب وتود . لكن ما بداخله في أعمق أعماقه ، تلك الرغبة القوية الحميمة التي تدعوه ألا يفعل ، ألا يستسلم .

أخذ "لوك" يحملق فيها ويتأمل . يمكنه أن يتخلص منها بكل سهولة . إنها تبدو كشيء ضئيل مكوم في هذا الفراش العريض الواسع . وكالعادة شعر بالضيق من الفولاذية التي تبدو عليها . تبدو كأنها تشعر أنها بهدوئها هذا سوف تمر

من كل شيء بسهولة وبلا مشاكل . كما كانت تبدو - وفي نفس الوقت - كمن يعاني بشدة . كان ينوي أن يتصرف ، أن يفعل شيئا بهذا الخصوص . "حسنة قليلة يا أهل الإحسان" .

كان يعرف أنها مستيقظة . لاخير في التظاهر ، أخذت "راشيل" تحاول أن تنقي ذهنها . مايجب أن تقوله الآن يحتاج إلى شيء من القدرة على الخداع والتمثيل . ساعدها بزوغ الفجر ، منحها شيئا من التشجيع . إضاءة تظهر الخطوط المحيطة ، لا تظهر التفاصيل أو الملامح . كان وجهها لا يزال جامد الملامح لا يعبر عن شيء .

- "سأترك عنواني حيث يمكنك العثور علي . إذا حدث أي جديد وغيرت رأيك بخصوص "جوردي" يمكنك أن تخطرني بذلك" . كانت فخورا بنبرات صوتها . مستقلا . باردا . متزنا . " غدا ، عندما أكون بالمدينة ، سأقوم بفتح حساب مشترك بأسمائنا جميعاً ، سأودع به أموالي . هي ليست بالشيء الكثير ، لكن أرجوك ألا تتردد في استعمالها للصرف على "جوردي" . ومن حين لآخر سوف أودع المزيد ."

كان يمكنها أن تؤدي الدور الذي أدته لتوها دون هذا الاضطراب الذي بدا على صوتها في نهاية الحديث ، ولكنها على الأقل استطاعت أن تقول ما قالت . هل كان يوجد على الكرة الأرضية امرأة أخرى مثلها ؟ هذا ما يدور بخلد "لوك" في هذه اللحظة . كانت تتحدث كما لو كانت تعلم أنها لن تراهم أبدا مرة أخرى . كما لو كان الأمر برمته لا يهمها في شيء . هل لديها حياتها الخاصة الأكثر أهمية ؟ هل هذا الذي يدعى "توم" ينتظر الآن عودتها إلى هناك ؟ .

- "حدثيني عن عملك ." وشعرت أنه لن يجادلها في قرارها .

- " أنا عضوة في مجموعة من المساعدين الطبيين التي تذهب إلى أي مكان قد يحتاج إلينا" .

-كم عدد أعضاء هذا الفريق ؟ "

-"طبيبان وممرضتان ومساعدان ."

-"وفي كم بلد عملت حتى الآن ؟"

-" لقد قضيت معظم الوقت في "بنجلاديش" في قرى مختلفة منها ."

-" وما هو نوع العمل الذي تقومين به هناك ؟"

-" لدينا عيادة عمومية تفتح طوال الأربع والعشرين ساعة ، أو أقل قليلاً ، بالإضافة إلى ذلك ، نحاول تعليم الأهالي بعض المبادئ المبسطة عن العناية بالصحة والنظافة العامة ."

ولم تخبره أنهم أحياناً يتحولون جميعاً إلى أطباء رغما عنهم . "راشيل" عالجت من قبل آلاماً ، رتقت جروحاً وتمزقات ، بل قامت بخلع الضروس والأسنان في بعض الأحيان . عندما يكون الجميع هناك بين الحياة والمعاناة والخوف من الموت ، تفعل أي شيء ، وكل شيء .

-" لابد أنك تحبين عملك ، إنك تعملين لدى " م . ر . أ " منذ خمس سنوات حتى الآن . كم يبقى الآخرون عادة ؟ - في الغالب يبقون لمدة عامين - أليس كذلك ؟"

-" بل عام واحد فقط . أما أنا فقد عملت لمدة أربعة أعوام ونصف فقط ، وليس خمسة . دكتور "توم أتويل" ، رئيسي بالعمل ، يعمل بالـ "م . ر . أ" منذ أوائل السبعينات ."

رئيسها بالعمل . وليس حبيبها .هل تنبئه نبرات صوتها بهذا حقاً ؟

- "ألم تفكري في العودة إلى الديار ، مطلقاً ؟"

الديار ؟ لم تجد أبداً مكاناً يمكن أن يوصف بهذه التسمية . لم يحدث هذا أبداً في حياتها كلها . طوال حياتها المليئة بالوحدة والخواء منذ أن بلغت العاشرة وحتى الثامنة عشرة لم تصادف إلا لحظة مضيئة لا غير . كان هذا عندما قضت الصيف مع عمتها في "ويسكونسن" : "ماري جينيجز" ، التي أرادت أن تتبناها لكن والدها رفض ذلك غاضباً .

خلال هذا الصيف فقط - ومن دون حياة "راشيل" كلها - عرفت الحب . أما ابنة عمتها هذه " كريستينا "، التي تكبرها بعام واحد ، فقد أعطتها هذا الإحساس بالصداقة والحب معاً ، حيث أخذ نهم "راشيل" الجائع يغترف كل

هذا ويختزنه ليعينها طوال كل تلك السنين التي حرمت فيها من أي حب . كانت "كريستينا" في غاية الكرم . أشركتها معها في كل شيء : أبويها ، حيواناتها الأليفة ، ملابسها ودون أي تحفظات . كانت طبيعتها السهلة السمحة هي الشمس التي تفتحت أزهار "راشيل" على ضوئها ، تعلمت أن تضحك ، حتى أن وزنها قد زاد في هذه الفترة . أقسمتا على أن تظلا أختين إلى الأبد . ولم تتقابلا أبداً بعد ذلك . كانت الرسائل هي الرابطة الوحيدة بينهما .

أما والد "راشيل" فقد مات عندما بلغت التاسعة عشرة ، بعد احتفالها بإتمام السنة الأولى لها في "بنجلاديش" مباشرة . بسكتة قلبية مفاجئة ، لقد كتبت "كريستينا" إلى "راشيل" تصف لها ما حدث . اتصل أحد الجيران بالشرطة بعد أن نبهه النباح الثائر لكلبه على أعتاب دار آل "كارستيرز" . عثر عليه البوليس ميتاً ، واتصل بأخته بعد أن وجد اسمها وعنوانها مقيدين في مذكرة التليفونات . بكت "راشيل" عندما بلغها النبأ ، بكت على رجل لم يعرف كيف يكون أباً ، بكت على ما يكون قد حدث له . وانتظرت المزيد من الأنباء ، أن يكون قد ترك لها رسالة ما يشرح لها فيها مالم يستطعه أبداً طوال حياته . يفهمها إن كان حقاً يهتم بها ويأبه لها . لكنها النهايات السعيدة كالعادة ، اضطرت "راشيل" مرة أخرى إلى أن تعرف الإغراق في الخيالات . لقد كتبت إليها العمة "ماري" تخبرها أنه قد تم التخلص من الحاجات الخاصة به . لم يكن بها ما يستحق الاحتفاظ به . لم تفكر حينئذ في أية أموال قد يكون والدها المتوفى قد تركها لها . لم يكن أي من هذا يعوضها ما افتقدته من حب .

داومت "كريس" على الاتصال بها . كانت رسائلها تصل مرتين أو أكثر قليلاً في العام إلى "راشيل" ، رسائل مطولة تحدثها فيها "كريس" عن دروسها في فصول السكرتارية ، وعن الرجال في حياتها . انتقلت إلى "كاليفورنيا" بعد موت أمها حيث حصلت على وظيفة بجامعة " كاليفورنيا "، في "سانت باربرا". ومن وقت لآخر كانت تسأل "راشيل" أن تعود إلى الديار . يمكنهما أن يقتسما الشقة التي تسكنها . حيث يمكن لـ "راشيل" أن تلتحق بالدراسة مرة أخرى أو حتى قد تحصل على وظيفة بالجامعة . وكانت دائما ما تنتهي الرسائل بنفس

النهايات . الحب والقبلات. حب لا يمكن وصفه .

لم تكن "راشيل" بقادرة على أن تترجم أفكارها إلى كلمات . كانت البطاقات البريدية المختصرة هي وسيلتها الوحيدة للإبقاء على أبواب الاتصال مفتوحة ، لكن الباب إلى مشاعرها الحقيقية كان مغلقاً دوماً . كانت تخاف المخاطرة بأن تفشل في علاقاتها بأي شخص ما مرة أخرى . ثم التقت "كريس" بـ "روب سومرز" . لقد جاء إلى الجامعة لينهي بعض أوراق ابنة صديق له . وكان الحب من أول لقاء . بعد زواجها ، أصبحت رسائلها أكثر إلحاحاً . كانت تريد من "راشيل" أن تأتي لتقضي الإجازة بالمزرعة ، لتتعرف على عائلتها الجديدة . كانوا أناساً رائعين . "راشيل" سوف تحبهم بالتأكيد . لكن "راشيل" اختارت ألا تجرب ، اختارت ألا تحاول .

غرقت في أفكارها ونسيت أن "لوك" كان قد ألقى عليها سؤالاً . ما الذي كان يسأل عنه ، ما هو هذا السؤال الذي أعادها إلى قوقعتها هذه مرة أخرى ؟ إن "حنا" وكذلك الطبيب كانا على حق . إنها كتلة من الأعصاب المحترقة .

- "راشيل؟" أخذ "لوك" يسائل نفسه : "هل غفت مرة أخرى ؟"

- "إني آسفة . ماذا كنت تقول ؟"

- "ألا تنوين العودة إلى الديار نهائياً ؟"

- "ليس لي شيء هنا الآن" .

كانت إجابتها كالطعنة القاتلة له . كانت الأسئلة تعتمل برأسه لكنه ما كان ليسمح لها بالخروج . التعرف إلى حقيقة "راشيل كارستيرز" أن يسبر غورها - لم يكن أبداً ليتم في حديث واحد . الأمر يحتاج إلى أكثر من مجرد فارس يرتدي درعه اللامع ليحل هذا اللغز . كان الأمر بالنسبة إليه على درجة من الأهمية بحيث يتحتم عليه أن يفعل شيئاً بأسرع ما يمكن . تمدد "لوك" ثانية فارداً أصابع كفيه تحت رأسه ، أي حملة ناجحة يلزمها تخطيط مسبق.

انتهى "جوردي" من رضعة اللبن الأولى لهذا اليوم بشهية مفتوحة . ولما تم تغيير ملابسه وتنظيفه ، بدت ابتسامته كالمطر الذي يغسل الورود . كانت بشرته كالحرير . كان يثبت عينيه الداكنتين - اللتين تشبهان عيني "لوك" - على وجه

عمه . ومن حين لآخر كانت تمتد يده لتهدهده مرة أو بعض مرة . كان متعجلاً أن يتم هذا الأمر ، يجب أن ينتهي منه اليوم .

- "مهلاً يابطلي الصغير ، مهلاً" ، ملاطفا إياه . "يضرك احتساؤه مرة واحدة".

وبعد بضع دقائق حمل "جوردي" على كتفه، وأخذ يربت عليه حتى تجشأ مرتين ثم تنبه إلى صوت من جهة المطبخ ، فتذكر وجود "راشيل" . كانت ترتدي الجيب الأحمر مع بلوزة شفافة . كانت تبدو كالمتجمدة . كانت الشمس تسطع في السماء ، لكن الترمومتر كان يشير إلى أن الجو قارس البرودة . فغالبا ما يكون بارداً صباحاً في شهر ديسمبر . ارتسمت على محيا "راشيل" ابتسامة واسعة عندما وقعت عيناها على "جوردي" في البداية . ومض إشعاع من الإثارة أعماها للحظات . ثم عاد القناع مرة أخرى إلى مكانه .

- "جوردي" ، وأدار "لوك" وجه الطفل تجاه وجهها "هذه هي خالتك" .

لقد قرر استخدام تأثير "جوردي" عليها . "راشيل" تحتاج إلى الانتماء . ابن بنت العمة - على كل حال - قريبة من بعيد ، أما مناداتها بخالته فهذا يجعلها حتماً تشعر أنها فرد من العائلة وأخذ "جوردي" يتطلع إليها عدة لحظات ، ثم دفن رأسه على رقبة "لوك" . لقد بدأ الطفل يتعرف على الوجوه .

- "إنه جميل للغاية" . وأشاحت "راشيل" بوجهها بعيداً . ربما هي تفكر الآن في الطقس . لكن تلك الرنة في صوتها كانت تعريها تماماً .

ودخلت "حنا" عليهم فاستدارت إليها "راشيل" تحييها بحرارة . نعم إنها تشعر أنها بأحسن حال الآن ، شكراً لك . لا ، لن تستطيع البقاء بالفراش أكثر من ذلك .

- "هل يمكنني تقديم المساعدة في تجهيز الفطور ؟"

وأدركت المرأة العجوز ما كانت تعانيه "راشيل" من برهة عندما ركزت النظر في وجهها . لقد فهمت تلك الرنة الغريبة فيما وراء كلماتها . إن رعاية طفلين قد جعلت لديها "رادار" تجاه العواطف المختلفة . ومن فوق خصلات شعر الطفل الحمراء ، أصدرت "حنا" رسالة صامتة إلى "لوك" : "لا تتعجلها" .

- "بالتأكيد" ، قالتها بحرارة . "جهزي المائدة معي ، من فضلك يا "راشيل"

ستجدين الأطباق في هذا الرف الذي يعلو غسالة الأطباق ، أما الفضيات فهي في هذا الدرج ."

كان الفطور يشبه الوليمة في "دياموند بار" هذه . كورن فليكس مطهو على البخار ، زبد ، كيك ، كريمة ، عصائر ، طبق عريض مغطى به البيض والمقانق وأخذت راشيل ترشف من العصير ، لم تبد ما يشير إلى أنها ستأكل من الطعام . لقد ساورها الاعتقاد أنها أصبحت من القوة بحيث يمكنها الابتعاد عن ابن "كريس" . لكن لواعج الحب التي أصابت قلبها لدى وقوع بصرها عليه أخبرتها أنها لم تقترب – بعد – من النجاح .

– "حنا" ، أشكرك على كل شيء ." نفضت "راشيل" ما يعلق بذهنها ، وأحست أن عيني "لوك" الداكنتين تنظران إليها ." إني آسفة ، لقد زدت حمل العمل عليك ." كانت نظرات "حنا" كلها تساؤلات .

– "راشيل" تود العودة إلى "لوس أنجيلوس" اليوم ." فسر "لوك" دون تعليق .

– "أين أعواد الثقاب ؟" كانت السعادة بادية على "حنا" بلا أدنى شك . للحظات بدت عليها ابتسامة سعيدة ، ولمعت أسئلة كثيرة في عينيها .

– "لقد وصلت هنا لتوك . ولا يبدو عليك التحسن الكبير بالدرجة التي تسمح لك بالعودة مرة أخرى لتلك العوادم التي تنبعث من السيارات الكثيرة ."

– "راشيل" عليها أن تطلع أحداً في الـ "م. ر. أ" بمكان وجودها . وهي ربما تغادر إلى "بنجلاديش" غدا ." نقل إليها "لوك" الخبر برفق وهدوء . لمعت نظراته بتحذير من نوع خاص إليها ، وفهمت "حنا" تماماً ما يرمي إليه .

– "هل ستبعثين إلينا ببطاقات بريدية ؟"

ولم يبد على "لوك" الرضا عما يحدث . إن هذا هو ما تريد . أليس كذلك ؟ أدركت "راشيل" أنه كلما أسرعت بالعودة إلى عملها ، استطاعت العودة إلى حالتها الطبيعية . إنها لا تنتمي إلى هنا . من الغباء أن تفكر في البقاء هنا ، أن تدع نفسها تعتقد أنها أي شيء. غير زائرة.. راحلة لا محالة – شيء خطير .

– "تناولي طعامك." قالها "لوك" بلهجة آمرة .

– "لا أشعر بالجوع .." حتى العصير لم تستطع الانتهاء منه .

" في الواقع ، أنني لو استطعت اللحاق بأحد الأتوبيسات المبكرة إلى "لوس أنجيلوس" ، لأمكنني زيارة أحد الأطباء هناك فأوفر لك شيئاً من الوقت ."

أخذ "لوك" يفكر في كومة الورق التي تنتظره ، وفي الرسالة العاجلة التي تلقاها على الكومبيوتر الخاص به تخبره بضرورة الاتصال السريع بالمكتب الرئيسي ، و .. بتلك العيون الرمادية التي تعاني الألم .

– "ليس لدي ما يشغلني اليوم . لن تغادري حتى يراك دكتور "كنتون" . والآن هيا تناولي طعامك ." ووضع شيئاً من الكورن فليكس في أحد الأطباق ، وقربه أمامها . وتناولت "راشيل" ملعقتها . كان الطبق مملوءا بالزبيب والمكسرات التي تختفي هنا وهناك . عندما وضعت الملعقة بالطبق أحدثت دوياً عاليا . كان "لوك" يهمس بشيء إلى "حنا" واتجهت عينا "راشيل" إلى "جوردي" . كان مشغولا بتلك الخرزات التي تنزلق على حامل لتعليم الحساب والعد . ثم أحدث دويا عالياً عندما صرخ منتصراً . فقد أفلح في الإمساك بإحدى تلك الخرزات البلاستيكية ، وأعقب تلك الصرخة الكثير من الثرثرة . ورق قلب "راشيل" . إنه لعزيز ، عزيز إلى قلبها حقاً .

– "لم يكن سيئاً للغاية ، أليس كذلك ؟" كان صوت "لوك" يشبه صوته عندما كان بالمحكمة . ونظرت إلى طبقها . كان فارغاً تماماً . وأخذ "لوك" يعمل في تقطيع الكيك في هدوء . لقد رأى تلك النظرة التي تلقيها على "جوردي" . كان العطف باديا . لماذا تخفي "راشيل" شعورها نحو الطفل ؟ لن يسمح لها بالرحيل قبل أن يعرف ما تخفيه في طيات نفسها .

– "حنا" ، هلا اصطحبت "راشيل" في جولة لكي ترى المكان بالخارج ، فلدي مكالمة هاتفية أقوم بها قبل أن نذهب إلى "سانت باربرا" . سوف آتي بمعطف لها كي ترتديه ."

وعاد بعد دقيقة بمعطف أزرق .

– "أنجيلا" دائما تحتفظ بمعطف إضافي هنا ، هذا سيناسبك أكثر من معاطفي ." وتجاهل يدها الممتدة لتأخذ المعطف منه . وأخذ يلبسها إياه ثم دار

حولها وأخذ يربط أزراره بنفسه ، ودب الدفء في أوصال "راشيل" ، بادياً على محياها .

- "أستطيع أن أقوم أنا بذلك ."

إذا بقيت هنا مدة أطول فسوف تصبح أكثر المخلوقات في قلة الحيلة - كما يظن هو عنها .

- "أعلم." وعادت إليه تلك النظرات القوية المهيمنة .أخذت "راشيل" تفكر كيف كان حكمها عليه خاطئاً . ووصل إلى الزر الأخير فأحكم إغلاقه . أخذ ينظر إليها ، ثم أزاح خصلة من الشعر كانت تسقط على وجهها ، كان كمن لا يستطيع أن يسيطر على نفسه .

شرفة فسيحة وثلاث درجات من السلالم ، كانت تفصل ما بين الدار وتلك المساحة الواسعة من الخضرة التي تحيط بالمكان . والتلال الخضراء تطل من الأفق ، من جميع الجهات . استطاعت "راشيل" أن تلمح عليها هنا وهناك قطعاناً من الماشية ترعى .

- "مؤكد أن "كريس" قد أخبرتك أننا كنا نعيش منعزلين في "سانتا إيز" تلك المرتفعات التي تقع خلف هذا التل ..." - وأشارت "حنا" إلى منطقة غابات تظهر على الجانب الآخر من الدار - "... هي القرية . بجوارها تقع أطراف المزرعة وبعض المزارع الخاصة الصغيرة . وبالجانب الآخر ، يوجد ما نطلق عليه هنا مساكن المساعدين ، منتشرة هنا وهناك حول المزرعة . هذا القريب إلينا هو منزل مدير المزرعة "جوان رودريجز" ، المدير ، وهو أخو زوجي . أما "تيريزا" ، التي رأيتها بالأمس ، فهي زوجته و "أنجيلا" هي ابنتهم و"ميري" ، التي تساعد معنا بالدار ، فهي ابنة عمي . أنا تزوجت أخا "جوان" الأكبر، "كارلوس" ، عندما كان عمري ثمانية عشر عاماً . ولقد توفي "كارلوس" من خمسة أعوا م عندما سقط من على حصان كان يركبه . ومنذ ذلك الحين عشت في إحدى تلك المزارع الصغيرة ، شبه متقاعدة ، حتى حادثة يوليو "تموز" ا لماضي ."

لم تكن "راشيل" بحاجة لمن يخبرها أن "حنا" قد تركت تقاعدها متطوعة .

فهي لم تكن بالتي تتخاذل في تحمل مسؤولية رعاية ابن "روب" أكثر من أي شخص آخر.

- "وهل لك زمن طويل هنا بهذه البلاد ؟"

- "نعم . لقد أتيت من "الدنمارك" عندما كانت سني خمسة عشر عاماً ، كي أعيش مع أختي المتزوجة في "صولفنج" . بعد ذلك بعامين رأيت إعلانا عن وظيفة شاغرة لطاهية في "دياموند بار" ، كان ذلك بالصحيفة الأهلية ، وتقدمت للوظيفة ، لم أكن أعرف شيئاً البتة عن طرق الطبخ الأمريكية ، ولكني تعلمت . وسرعان ما التقيت بـ "كارلوس" . لم ينغص علينا حياتنا معا طوال الأعوام الاثنين والخمسين التي تزوجنا فيها سوى أننا لم نرزق بأولاد ، و كان "روب" و"لوك" كأنهما وجدا ليخففا عني هذه المشكلة ."

وبدأت الدموع تبلل عيني "حنا" بعد أن وصل بها الحديث إلى هذا الحد ، ثم أكملت حديثها :

- "أما والد "لوك" فهو يعيش حالياً في ولاية "أريزونا" ، ولقد زار ابنه أربع مرات منذ وقوع الحادث، وعرض عليه أن ينتقل ليعيش هنا إن كان انتقاله سيساعد ابنه ، "لكن "لوك" لم يدعه يفعل شيئا من ذلك .كان حزنه يزيد كلما جاء إلى هنا حيث ذكريات ابنه الراحل . لقد أقنعه "لوك" أن كل شيء هنا يسير على خير حال . وقام بإلحاق "أنجيلا" و "ماري" بالعمل للمساعدة في أعمال الدار ، وهكذا أصبح كل وقتي الآن مكرسا من أجل "جوردي" . مع أني مازلت أحن دائما للقيام بأعمال الطبخ ."

وسرحت "راشيل" بناظريها مع التلال وتلك الهالات من الشبورة المائية التي تغطي المكان بغلالتها . ما أعجب هذا القانون الذي جعل من الرجل أباً رائعاً هكذا ، والأب الآخر كان يمثل فشلاً ذريعاً ؟ أخذت تتأمل الطريقة التي كان "لوك" يحمل الطفل بها ، يحتضنه ، يلبي له حاجاته وطلباته . لامراء في ذلك، أحضانه وقبلاته كانت كلها تصريحا عن إحساسه الحقيقي تجاه ابن أخيه . هناك شيء مؤكد لاشك فيه - إن "جوردي" لن يفتقر إلى الحب أبداً هنا . أما حقيقة أنها لا تستطيع أن ترى ابن "كريس" مرة أخرى ، فهذا لا يهم .

-" هل أنت جاهزة ؟ "

واقتحمت عينا "لوك" وجه " راشيل "، التي أخذت تخفي الاحمرار البادي عليه الدموع ، لقد أتى بهدوء ، فلم تحس بوجوده إلى جانبها . إنها جاهزة الآن تماماً أكثر من أي وقت مضى . كان "لوك" يحمل حقيبة يدها والحقيبة الأخرى الخفيفة التي كانت معها . كانت قد نسيت تماماً كل شيء عن هذه الحقائب . ما الذي تعلمته من قبل بخصوص الحقائب و الوزن الزائد ، عندما كانت تستعمل القطارات في الهند ؟ حقائب أقل ، راحة أكثر . إن السفر في حد ذاته لمتعة بالتأكيد ، إنها مؤهلة تماماً أن تكون شيئاً ما كالفال الحسن ! لا وزن زائد.لاحمولة إضافية . مادية أو معنوية .

-" أنا بحاجة إلى ..." هذا هو العذر الوحيد لديها كي تدخل إلى الدار مرة أخرى .

وغمغم "لوك" :

-" ساكون منتظرا هنا " .

كان "جوردي" يلعب في حجرته . عند رجوعها من الحمام ، رمقته لجزء من الثانية . كانت "حنا" تقف خلفها . وانحنت "راشيل" على الطفل ، وطبعت قبلة على خده . هذه هي إحدى الذكريات التي لن تنساها . وتمتم "جوردي" "جاجا" وهمست راشيل "أحبك" . عند رحيل "راشيل" ، لم يلاحظ "لوك" هذا الاضطراب الذي كانت تعانيه عندما ابتعد بهم عن المزرعة في شاحنته الزرقاء. أخذ يتحدث عن المزرعة ، وكيف أن جده قد نزح إلى هنا – إلى الغرب في أحد قطارات البضاعة أيام البحث عن الذهب .

-" لم يعثر على الذهب ، لكن الأرض والطقس أبقيا عليه هنا . حصل على ألف دونم من الأرض . رفض أن يزرع الكروم . وفضل تربية قطعان الماشية والخيول ."

كانت "راشيل" سارحة ببصرها من خلال النافذة منذ أن تركوا المزرعة . عادت إليها تلك النظرة المتحجرة . شعر "لوك" بشيء من الرضا ، إذن فراقها لـ " جوردي " يحزني نفسها . كان يريد أن يتأكد من ذلك .

-" جدي الأكبر – "جاسبر" – رزق بابن واحد : "روبرت" "، ثم أكمل بهدوء :

-" جدي " روب " كان لديه ثلاثة أبناء ، ابنتان وولد واحد – أبي "جوردن". كل من عمتي رجعتا للشرق للدراسة بالجامعة . إحداهما تزوجت بأحد المزارعين في " فرجينيا " والأخرى ذهبت إلى "أستراليا" . أما أمي فقد كانت ابنة أحد أصحاب المزارع التي تجاورنا . كانت تقول إنها قررت الزواج بأبي منذ كانت تبلغ العاشرة من عمرها . ومرت عشر سنوات أخرى حتى تقدم إليها أبي طالباً الزواج منها . كانت أمي مولعة بنقاء السلالات . فبمجرد زواجها بأبي تقدما بعرض إلى جدي لتحويل " دياموند بار " إلى مزرعة للتربية والتدريب ، تقدما إليه بهذا العرض وهما يرتجفان . ألقى جدي بنظرة واحدة على العرض وأخبرهما أنه إذا كتب أحد منهما تقريراً وافياً عن هذا الموضوع فمن يعلم ؟ قد يخرج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ . ولقد مد الله في عمر جدي حتى رأى "دياموند بار " تتحول إلى واحدة من أرفع مزارع تربية السلالات النقية للخيول مستوى في الولاية كلها ."

كانت عيادة دكتور "كنتون" تقع بمدخل المدينة . انتحت الممرضة بـ "راشيل" جانباً لإجراء بعض الفحوص اللازمة . ثم قام دكتور "كنتون" بالكشف عليها. بعد ذلك دخلت إلى مكتبه ، حيث كان يتجانب أطراف الحديث مع "لوك" .

-" آنسة "كارستيرز"، حالتك ليست سيئة". كان الرجل المسن يخفي ابتسامته . كان بشعره الأبيض وبشرته المشوبة بالسمرة أشبه بالمزارعين أكثر من أن يكون طبيباً . " لكنها ليست جيدة كذلك ."

-" مم أعاني ؟ " كانت دائما تهتم بحالتها الصحية .

-" هل أصبت بأي نوع من المرض حديثاً ؟ " فكرت راشيل قليلاً :

-" لقد أصبت بالدوسنتاريافي الصيف . و لكني شفيت منها سريعاً ." وأخذ دكتور "كنتون" يتصفح التقارير التي أمامه

-"حسناً ، لكنه من الواضح أن جسدك لم يبرأ تماماً ، إذ إن نسبة الهيموجلوبين لديك تعتبر منخفضة . ولا أعتقد أن حالتك تسمح لك الآن بالعودة إلى "بنجلاديش"."

- " حالتي لا تسمح الآن ... " وأخذت "راشيل" تحملق في الرجل غير مصدقة ، "لابد أن هناك خطأ ما .. أخشى أن ثمة خطأ هناك."

- " إنك تحتاجين إلى الراحة ، والاسترخاء والمزيد من الراحة . سأقوم بكتابة نوع من الفيتامينات وبعض الأملاح المقوية التي تلزمك . وإذا ظهر شيء جديد بعد التحليلات المعملية ، فسنخطرك به . أما إن لم يظهر شيء آخر فإني أريدك أن تأخذي الأمر بسهولة ، وأن تعودي إلي مرة ثانية أكثر قوة ، ومما علمته عن خلفيتك العلمية والعملية ، فأنا على ثقة أنك سوف تراعين أن يكون طعامك محتوياً على الأملاح التي تلزمك بكثرة . فلتضمني طعامك المزيد من المعادن والأملاح ."

كانوا في طريقهم عائدين إلى المزرعة قبل أن تدرك "راشيل" وجهتهم التي يتجهون إليها . وفهمت مسز "كيلي" تلك الإيماءة الخاصة . التقطتها وهم في طريقهم للخروج من العيادة.

- " لماذا نحن عائدون إلى المزرعة ؟ "

لو كانت ذاكرتها قد أسعفتها جيداً لادركت أن تلك الإيماءة تعني أنهم قد قطعوا نصف الطريق لما يرمون إليه ويبغونه . حسنا ، لأول مرة لا يتصرف "لوك سومرز" بأسلوبه المعهود . كان عليه أن يغير مساره وأن يلف في دوائر - حتى لو استغرق ذلك اليوم بطوله قبل أن يعودوا إلى الدار . لم يتكلم كثيراً منذ خروجهم من العيادة . الآن التفت إليها .

- " لقد سمعت ما قاله الطبيب . إنك بحاجة إلى الاسترخاء والراحة ."

- "أستطيع أن أجد الراحة في "لوس أنجيلوس"."

لقد أدهشها التشخيص ؛ ذلك لأن الـ " م. ر. أ " تهتم دوما بالكشف الدوري المنتظم على موظفيها . وبعد كل ما مر بها خلال الشهرين الماضيين في "بنجلاديش" ، لم يشر " تو م" إليها بشيء عن حالتها الصحية، بل إنه في شهر سبتمبر (أيلول) أخبرها أنها بحالة جيدة .

- " في حجرة بأحد الموتيلات ؟ " انبأتها نبرات "لوك" عن رأيه في مثل هذه الأماكن . أخذت تسترجع هذا اللون الأصفر الكريه على تلك الأرضية التي

يختلط فيها اللونان البني والأخضر ، أدركت "راشيل" أنها هي نفسها غير حريصة على تنفيذ هذه الفكرة .

- " إن رئتيك بحاجة إلى الهواء النقي ، وليس إلى عادم السيارات ."

- " إن الـ " م. ر. أ. " لها دار ضيافة - أستطيع النزول فيها ."

- " حنا" لن تسامحني أبداً إن تركتك ترحلين وأنت على هذه الحالة ."

- " لا أستطيع أن أثقل عليك أكثر من ذلك ."

لم يحر جواباً . وأخذت "راشيل" تفكر في هذا الواجب ، لعله يظن أن من واجبه أن يعود بي مرة أخرى إلى المزرعة .

- " لوك" يجب أن أذهب إلى "لوس أنجيلوس" اليوم ."

كان الرحيل شيئاً ضرورياً وسألها بتعقل :

- "لماذا ؟ إنك لن تغادري البلاد بمجرد نزولك إلى "لوس أنجيلوس"، و"دياموندبار" مكان جيد للإقامة كغيره ."

- " لا أستطيع العودة " .

- " بل تستطيعين ."

إنه لا يعلم شيئاً .إن هذا الرجل الكبير يظن أن الحياة تمضي سهلة مرتبة سعيدة .

- "لا" .

- "بل نعم". مطت "راشيل" شفتيها ، ثم أخذت تنظر من نافذة السيارة بإحباط. إنها لاتريد أن تفقد أعصابها أمامه الآن . إنها تعاني بما فيه الكفاية ، هذا النوع من الرجال الصعب المراس يجب أن يؤخذ بالهوادة .. لا تفلح الشدة معه مطلقاً . هل يوجد على وجه الأرض من يفعل ذلك ؟

- "حسنا ، إنك تخشين المواجهة ".

لم تصدق "راشيل" الكلمات التي سمعتها.

"هذا هو التفسير الوحيد" . ودون أي تفسير ، امتلأت عيناها بالدموع . لقد كان يعلم أنها تحاول الهروب . لم يكن هناك أحد غير "كريستينا" ، يستطيع أن يعلم ما يدور بداخلها . لم يهتم مخلوق من قبل بأن يحاول ذلك . "لوك سومرز

يبسط أمور الحياة . ربما هو على حق . ربما آن الأوان أن تواتيها الشجاعة فتجرب السعي وراء السعادة .إنه جزء دفين من قلب "راشيل" ، جزء ظل لسنوات مغطى بطبقات كثيفة من الرفض ، جزء قد انفتح أخيراً ليمتلئ بالأمل يأخذ طريقه إليه . أخذت تنظر إلى التلال . لقد انقشع الغمام الذي كان يغطي كل شيء . وأشرقت الشمس تحتضن الوادي بأكمله كما لو كانت ملاكه الحارس.

الفصل الرابع

أدركت "راشيل" في اللحظة التالية أنه لا ينبغي أن تترك نفسها لتنخدع بهذه الرقة البادية . إن كل مايقدم إليها، من تعبير عن الحفاوة والترحاب لا يفتح أمامها إلا باباً إلى المشاكل والمعاناة .

- "فقط ليوم أو يومين" . أحياناً يجب على المرء أن يستسلم في إحدى الجولات حتى يحرز النصر النهائي في المعركة.

-"كما تشائين" .

-"ولكني أحتاج إلى بعض الملابس ."

كان رداؤها الأحمر قد تم غسله وكيه فعلا ولكنها لن ترتديه إلى الأبد ، لو كان حوارهم هذا قد تم مبكراً بعض الشيء لكانت قد ابتاعت بعض حاجاتها من المدينة . لكن الأوان قد فات الآن . وأومأ لها" لوك" برأسه إلى مؤخر السيارة . فاستدارت"راشيل " لترى زوجا من الأكياس البلاستيكية بجوار أكياس البقالة الموضوعة بالمؤخرة . كانت الأكياس تحمل اسم أحد متاجر الملابس النسائية المعروفة . لقد ابتاع لها ملابس ، وأحست "راشيل" بشيء من الحرارة يدب في أوصالها على غير المتوقع .

- "لقد ابتعت لك بعض الأشياء" .

لم تكن نبراته تعبر إلا عن جانب أكثر إشراقاً بداخله .

-"تستطيعين أن تختاري بقية ما يلزمك من "الكتالوجات" . عندما تتحسن حالتك سوف نتوجه إلى" لوس أنجيلوس "، كي نقوم بجولة شراء حقيقية " .

واهتزت أنفاس "راشيل" بداخلها . عندما تتحسن حالتك . جولة شراء حقيقية. إن كلماته لأكثر مما يحتمل . استقرار ، دوام ، أبدية . إن هذا لمستحيل . عليها أن تتذكر أن إقامتها في "دياموند بار" شيء مؤقت ، إنه حقاً رجل صعب المراس . إن فكرت في أي شيء آخر يكون هذا ضعفاً منها ، و "راشيل" قد طبعت دائما على ألا تضعف . حتى من قبل أن يولدوا . الحياة تكون أقل تعقيداً هكذا . بضعة أيام أخرى في "دياموند بار" ثم ترحل . كانت "حنا"

سعيدة بموقعها من خلفها .

- " سوف نعتني بك جيدا . " كانت تعدها وابتسامتها تكاد تغلق عينيها تماماً ، "في وقت قليل جداً سوف تصبحين بخير حال ."

بابتسامة ضعيفة رفضت "راشيل" الدعوة إلى فنجان من الشاي وقطعة من الحلوى .

- "بعد إذنك ، سوف أذهب إلى حجرتي لبعض الوقت " .

كانت تحتاج إلى أن ترتب أفكارها ثانية . فردت "حنا" مبادرة:

- " بالتأكيد ، لابد أن الطريق قد أرهقك ."

لقد تقدم "لوك" خطوة نحوها ، بينما تراجعت "راشيل" مسرعة ، خائفة من رعايته لها و اهتمامه بأمرها ، خائفة من رغبته في الاحتفاظ بها معهم . كانت عيناه تنطق بأنه يقرأ ما بداخلها بوضوح :

- "دعيني أريك حجرتك" .

- "إني أعلم أين توجد حجرتي " .

هل أخبره الطبيب بشيء آخر عنها لا تعلمه ؟

- "لا ، هذه حجرة الضيوف ." وقادتها يد "لوك" الدافئة إلى الجهة المقابلة .

"سوف تكونين أكثر راحة في هذه الحجرة ." لم تنتبه لنزولها إلى البهو الرئيسي ولاعند دخولها لهذه الحجرة الكبيرة اللا معة . كل ما كان يدور بخلدها هو هذه الحرارة التي صارت تدب في أوصالها .

- " إنني بخير حال حيثما كنت " .

وأكمل "لوك" حديثه كأنما لم يسمعها:

- " إن "جيسون" يستعمل حجرة الضيوف عندما لا أكون موجوداً بالدار . وأحياناً تقضي "أنجيلا" الليل هنا معنا . أما هذه الحجرة فإن بها تليفونا وتليفزيونا خاصا بك ، و هناك حمام خاص مرفق بها ، كما أنها تطل على منظر رائع."

إن بها أيضا صوانا للملابس في حجم "الجامبو" فردت :

- "شكراً لك ."

وأضاف "لوك" :

- " كوني على راحتك تماما . أي شيء تحتاجين إليه اطلبيه فورا من "حنا" . هناك من يذهب يومياً إلى المدينة . كل ما يلزمك هو أن تكتبي لـ"حنا" قائمة بما تريدينه فيكون عندك في نفس اليوم "

- "شكراً لك " .

وشعرت أنها أصبحت تتمتم بنفس الكلمات ، لكن لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يقال . كان "لوك" مهيمنا لا يمكن مقاومته . كان نوعاً لاقبل لها بمواجهته .

ثم قال لها كالمقترح :

- "اخلدي إلى بعض النوم حتى يحين موعد الغداء . "ماري" سوف تأتيك بالصينية إلى هنا . يوم آخر بالفراش لن يضر ."

وانصرف قبل أن تفتح "راشيل" فمها لتخبره أنها بخير حال . كانت حاجاتها قد وضعت بالفعل في الحجرة ، أتت بها "ماري" . كانت الحقائب البلاستيكية تحتوي على ستة أطقم من الملابس الداخلية ، بنطلونين من الجينز ، بلوزة بياقة وأربع دون ياقة ، فستانين للسهرة ، روب ، زوج من السويترات ، وجاكتة من النوع السميك. ملابس أكثر مما يمكن أن تبتاعه لنفسها في مرة واحدة مطلقاً .

وجربت "راشيل" بنطلوناً من الجينز وأحد السويترات . ثم لاحظت وجود حقيبة أخرى لم تنتبه إليها من قبل ، كان بها زوج من الأحذية الرياضية ، وزوج من الشباشب . ووجدت في قاعها الشبشب الذي كانت "حنا" قد أقرضته لها من قبل . وكأنما أرادت عاملة المنزل أن تضيف بعض الطرافة بأن تذكرها أن الشيء الوحيد الذي يتشابهان فيه هو مقاس أقدامهما . إذن فقد كان "لوك" متأكدا تماماً أنها ستعود معهم ، وإلا لما أخذوا شبشب "حنا" ليبتاعوا لها واحدا من نفس مقاسه . ولابد أن "لوك" قد ابتاع هذه الملابس حتى قبل أن تكمل الاختبارات وتحصل على النتيجة من دكتور "كنتون" .إذن كيف يحتمل أن يعلم ما سيقوله لها الطبيب ؟ إلا إذا ... ؟

وهزت "راشيل" رأسها . لا . إنها لا تشكل مثل هذه الأهمية لدى "لوك" حتى

يلجأ للحيلة كي تبقى معهم . ولا يمكن أن يخادع دكتور "كنتون" في تشخيصه للحالة .

- "هل أرتب لك هذه الأشياء ؟"

وأخذت "راشيل" تحملق في "ماري" التي أتت حاملة كوباً من العصير.

- "لا،أشكرك" .

ثم قالت كمن تخشى أن تبقى "ماري" أكثر من ذلك :

" سأقوم أنا بهذا العمل فليس لدي ما أقوم به على أية حال ." وتركز بصر "راشيل" على زوج الشباشب الجديد بينما تركت "ماري" كوب العصير على مائدة من طراز الملكة " أن " ، ثم تركت الحجرة . ناعم وجميل الشكل ، زوج الشباشب هذا يناسب تماماً ثوبها الأحمر ، أخذت تتأمل تلك الخطوط الزرقاء التي تزركشه . لم يبتع "لوك" أول شيء وجده ، لقد أخذ وقتا حتى ينتقي لها أشياء تتسم بالجمال والأنوثة . كما لو كان يعلم أنها في أعماقها تتمنى اقتناء مثل هذه الملابس . كما لو كان يعلم أنها لم تقتن أبداً مثل هذه الأشياء الجميلة. وبلمحة سريعة ألقت "راشيل" ببصرها على الحجرة و على ورق الحائط ذي الزهور الوردية على تلك الخلفية بلون الكريم ، هذا الغطاء الساتان الذي يغطي فراشها ، الأثاث الفخم ذي الألوان الداكنة ، إن كل هذا يلائم أثوابها الجديدة ، ويجعلها أكثر تخوفاً من ذي قبل . يبدو أن صاحب "دياموند بار" قد عمل حسابه على أنها ستبقى هنا بصفة دائمة . أخذت "راشيل" تفتح دفتر شيكاتها وتدور بالحجرة . إنها إن دفعت ثمن تلك الأشياء إلى "لوك" في الحال يكون ذلك الخطوة الأولى لها لإثبات استقلاليتها .

وأجاب "لوك" على النقرات الخفيفة على الباب من فوره . رد بسعادة :

- "تفضلي يا "راشيل" ."

فدفعت الباب داخلة ، نظر "جوردي" إليها وقام يمشي بخطوات متعثرة ، مستندا على عمه ، و ابتسامته تعكس براءته المحببة وتغلغل الألم داخل "راشيل" ، يهزها هزاً ، هذا آخر ما كانت تتوقعه ، ومدت يدها إلى الطفل . أبقت نظراتها على وجه "لوك" وقالت :

- " أشكرك على الملابس ، هلا أخبرتني كم تكلف شراؤها ، حتى أحرر لك شيكاً بالمبلغ ."

كان الجينز والسويتر الأحمر اللذان اشتراهما لها ضيقين بعض الشيء عليها، بدا المقاس لا يناسبها . أثار الرباط الأبيض على رقبة السويتر انتباه "لوك" إلى رقبتها الطويلة . كانت تلصق دفتر الشيكات على صدرها كما لو كان درعاً يحميها ، وجعله مشهدها يبتسم . كانت أشبه بإحدى الجواري الحسان تواجه سيدها . حركة واحدة وتكون عرضة للافتراس .

- "هل ناسبتك المقاسات يا "راش" ؟"

شهقت شهقة مفاجئة . "راش" ؟

إنه يريد زيادة التقرب ، إنه يبغي ما تتفاداه هي بأي ثمن .

- " نعم تناسبني تماماً ."

ووضعت يدها في خصرها واستدارت يمنةً ويسرة كموديل تستعرض زياً ترتديه. أدرك "لوك" أنه لو انتظر أن تقول أي تعليق آخر ، فلسوف ينتظر بقية حياته . إن اسم التدليل هذا - راش - يناسبها تماماً . يوماً ما سوف يخبرها أن معنى تلك الكلمة في الانجليزية العتيقة هو الجارية الحسناء ، و إنها تذكره بإحداهن .

- " تعالي ، سأريك أين أقوم بعملي ."

ودخلت إلى حجرة فسيحة ، حيث كان هناك مكتب بجوار النافذة قد امتلأ بالأجهزة . بدا جهاز الكومبيوتر الخاص بـ "لوك" بالغ التعقيد ، إذا ما قارنته بصور أجهزة الكومبيوتر التي تشاهدها في المجلات التي تصل إلى موظفي الـ "م. ر. أ" بالخارج . أكوام من الأوراق كانت موضوعة بأحد أركان المكتب ، أما آلة الطباعة الخاصة بالكمبيوتر فقد كانت تقوم بطبع بعض الرسومات البيانية . بالجانب الآخر من الحجرة كان هناك مكتب آخر ضخم ، كان خلفه كرسي جلدي يضم كلا من "لوك" و "جوردي" .

والتقط "لوك" إحدى زجاجات العصير مناولاً إياها لـ "جوردي" . إن نظرة الحنان الدافئة التي كانت في عيني "لوك" وهو يشاهد الطفل يشرب عصيره ،

قد جعلت الدموع تنساب من عيني "راشيل" . فابتعدت عنهما لتخفيها ، واستدارت للجهة الأخرى تجاه الحائط المقابل . كان مغطى بالشهادات المعلقة عليه . "هارفارد" . حصل "لوكاس جاسبر سومرز" على درجة الماجستير في علوم الكمبيوتر من هناك . شهادة أخرى في إدارة الأعمال . إنها لا تتذكر حتى أين وضعت شهادتها الجامعية . على الجدار الآخر علق "لوك" لوحة زيتية وحيدة . لمحارب هندي يمتطي صهوة جواده .

- " لقد كنا نأتي إلى هنا في صغرنا لنجلس على ركبتي جدنا "روبرت" ." كان "لوك" يتكلم من الخلف ،

- "يوما ما أخذ "روب" ينظر إلى هذه اللوحة قائلاً ، جدي إني أريد هذه الصورة، ورد عليه جد "روبرت" : يابني ، إنها إحدى معالم "دياموند بار" ، ويوما ما ستصبح لك . كان هذا غريباً ."

ثم ساعد "لوك" "جوردي" على التجشؤ ، وأخذ ينظف حول فمه ، وأجلسه على السجادة . أخذ الطفل يلهو ببعض اللعب المتناثرة في أحد الأركان .

- " في ذلك الحين كان "روب" هو الذي يريد إدارة شؤون "دياموند بار" . كنت أستطيع القيام بهذه الأعمال ، فقد تعلمت أنا أيضاً كل شيء عن أصول التربية والتدريب والاحتفاظ بنقاء السلالات. لكني في هذه الفترة كنت مشغولا أيضا بدروسي في الرياضيات وعلوم الكومبيوتر ."

- "وهل كان والداك يمانعان في ذلك ؟ "

- "لا . لقد كانا يشجعانني بنفس مقدار تشجيعهما لـ "روب" . إني أتذكر كيف كانا يقضيان الساعات في مساعدتي في دروس الرياضيات بالمدرسة ، إنهما حتى قد أرسلاني إلى أحد المعسكرات الصيفية للدراسة . كان اهتمامهما بحل مسائل الرياضة معي ، بنفس مقدار اهتمامهما بالحديث عن أصول التربية مع "روب" . لم أكن أشعر أبداً إن كان اهتمامهما بأعمال "روب" يفوق اهتمامهما بما أميل إليه ؟ وإلى الآن يتصل بي والدي فيقول : كيف أحوال عملك ، يابني ؟ ثم يتحدث معي بعد ذلك عن شؤون المزرعة ."

أخذت "راشيل" تبتلع ريقها . إن "لوك" لمحظوظ أن يعيش كل هذا الحب

والتفاهم . استطاعت الآن أن تفهم تصرفاته التي قام بها . فمن جانبه كان ما يفعله شيئا طبيعيا وليس تضحية يقوم بها . فطبقاً للظروف التي عاشها تكون تصرفاته تلك شيئاً عادياً جداً .

- " ولم اتجهت إلى علوم الكومبيوتر ؟ "

- " إنني لم أبدأ بالاهتمام بالحاسبات الآلية إلا في آخر سنة لي في الجامعة . بدأت أستخدم تلك الحاسبات في الرياضيات ، ولكن مع الوقت أصبحت بالنسبة إلي متعة أن أتعرف إلى القدرات الأخرى التي يمكن الاستفادة بها عند استخدام هذه الحاسبات . فاشترى لي والدي حاسبا منزليا ، وهكذا التصقت بها إلى الأبد . إن هذا المجال مشحون بالتحدي والإثارة ، ولا حدود فيه للابتكار والتجديد ."

شيء ما أخبر "راشيل" أن "لوك سومرز" رجل مفتون بالتحدي والإثارة ."

- " وماذا كان نوع عملك قبل الحادث ؟ "

- " الشركة التي أعمل بها هي الـ" ل . ج . م "التي تنتج برامج الكمبيوتر . في منصبي السابق كنت أجوب أنحاء الولايات. يوم في كل بلد، حيث ألقي محاضرات عن استخدامات الحاسبات الآلية الشخصية وتطبيقاتها على الإدارة المالية باستخدام البرامج التي نقوم بإعدادها ."

- " والآن ؟ "

كان يمتلك كل مواصفات المحاضر الناجح : الصبر ، التفهم ، الدفء - بالإضافة إلى الشخصية الديناميكية .

- "إنني الآن أقوم بأية تعديلات على برامج الشركة وفقاً لمتطلبات الشركات التي تستخدم هذه البرامج ."

- "وهل كان من الصعب عليك التخلي عن منصبك السابق مع ما كان يصاحبه من أسلوب خاص في المعيشة ، والانتقال إلى هنا ؟ "

لقد سمعته يجيب عن سؤال كهذا أثناء المحاكمة ، لكن شيئاً ما حث "راشيل" على طرح هذا التساؤل مجدداً.

- "لا ." قالها كأنه يواجه اتهاماً . وتسللت نظراته إلى ابن أخيه ، الذي ألقى

بإحدى لعبه بعيداً وأخذ يحاول إمساك أخرى .

"لقد كنت أعيش في" لوس أنجيلوس" لأن عملي يتطلب ذلك . كان علي أن أقوم بالسفر لمرات عديدة ، لذلك كان من المناسب أن أسكن بالقرب من مطار "لوس أنجيلوس" . وطالما أني أستطيع أن أواصل العمل الذي أفضله ، فإني أفضل المعيشة في "دياموند بار" على أي مكان آخر بالعالم ".

لم يذكر لها كم كان متعبا أن يظل في سفر وترحال طوال الوقت ، وكيف أن حجرات الفنادق المنعزلة تشعر المرء بوحدته ، وكم تصبح أمسيات عشاء العمل المتكررة مبعث ضجر وسأم ، إنه الآن يريد حياة مختلفة عن كل هذا . دار ثابتة ، امرأة يشاركه فيها ، "جوردي" ، وربما المزيد من الأطفال .

-"لقد ذكرت محاميتك أنك قد تخليت عن ترقيتك لمنصب نائب المدير لتبقى بجوار "جوردي" . هل شعرت بالندم بعد ذلك ؟"

وزمت "راشيل" شفتيها ، كانت تبدو الآن كإحدى مذيعات التليفزيون تقيم حواراً مع مسؤول .

وفرد "لوك" أصابع كفيه وتراجع متكئا على كرسيه .

-" لقد فكرت جيداً في القرار قبل اتخاذه ، أخذت أقيم كل ما قد يترتب عليه من نتائج ، ونحيت جانبا أي مؤثرات جانبية . وما إن ا تخذت قراري ، حتى نفذته ، ولم أنظر أبداً إلى الوراء لأراجعه مرة أخرى ."

أما أنه كان قوياً صلباً ، فهذا ما كانت قد علمته عنه بالفعل . وأما أنه كان لايشبه أيا من الرجال الذين كانت قد التقت بهم من قبل ، فهذا ما قد بدأت تكتشفه الآن . ولكن هناك شيئاً آخر يجب أن تقوله . الأفضل أن تطرق هذا الموضوع فوراً .

-" إني ... إني جد آسفة أن استدعيتك في المحكمة للحصول على وصاية "جوردي ." التفت رأسه إليها بسرعة . ونظرت إليه "راشيل" ، نظرت إلى عينيه مباشرة رغم دقات قلبها التي علت : "إنك أنت و" دياموندبار" الأفضل له بالقطع ."

-" ولم فعلت ذلك يا "راش" ؟" فرفعت إحدى كتفيها :

-" لقد ظننت أنني بذلك أسدد لـ "كريس" ما أعطته لي من رقة وعطف ، بتربية طفلها ." ومطت شفتيها ،

"أيضا فعلت ذلك من أجل نفسي ."

ولم يفقد صوتها نبرة المقاومة . لكن ما إن جلس "لوك" حتى تحولت عيناها إلى بحر من الدموع ، مظلم ، غامض ، حزين .

-"من أجل ...؟"

ودق جرس التليفون فقطع حديثه . ثم التقط السماعة ، حانقاً من هذه المقاطعة. لم تكن لتأتي في وقت أسوأ من هذا . سمعته "راشيل" يحادث "جون" عندما تسللت راجعة إلى حجرتها . ما الذي يحدث لها ؟

من دقيقة واحدة كانت على وشك أن تقول ما لم تقله لمخلوق آخر طوال حياتها وهزت "راشيل" رأسها . هذه المكالمة أنقذتها قبل أن ترتكب تلك الحماقة . "لوك سومرز" ليس بحاجة إلى الانغماس في مشاكلها الشخصية . فلديه العديد من مشاكله الخاصة . اجتاحها الفكر ، "راش" . الطريقة التي اختصر بها اسمها تعتصرها ، تصفدها بالأغلال . بقيد أبدي ، إثارة ، حياة .

إنها تشك أن تكون قد أثبتت له أي شيء عندما كانت في حجرة العمل الخاصة به ، كان محاطاً بأشياء عديدة ثبطت حواسها ، دعتها إلى أن تخلع درعها ، أن تنسى المعارك التي كانت تعتزمها . وهزت "راشيل" رأسها ثانية ، لقد أضاء الضوء الأحمر في عقلها . ماهذه الزيارة إلا علامة عارضة في حياتها ، استراحة قصيرة قبل أن تعود مرة أخرى إلى عملها . يجب أن تكون أكثر حرصاً من ذي قبل حتى لا ترتكب المزيد من الحماقات في الأيام التالية . ولم يمر زمن طويل حتى تذكرت "راشيل" أنها لم تدفع له ثمن الملابس بعد . سوف تحرر شيكاً على بياض ، وستسأل "ماري" أن تضعه على المكتب في حجرة عمله .

إن عودتها إليه في هذه الحجرة سيكون ضاراً بصحتها !

استيقظت من نومها بفعل أشعة الشمس التي أخذت تملأ الغرفة من حولها ، وتذكرت "راشيل" أنها لم تحكم إغلاق الستائر قبل أن تخلد إلى النوم . كانت

تريد حينذاك أن تراقب النجوم التي بالسماء وهي مستلقية في فراشها . كان منظر السماء يبدو بديعا من خلال النافذتين المواجهتين لها .

استدارت لتنام على ظهرها ، وأخذت "راشيل" تفرد أصابع كفها تحت رأسها تاركة لأفكارها العنان . لقد مر يومان على رحلتها إلى" سانت باربرا" بصحبة "لوك" . بالأمس أصرت "حنا" أن تبقى بالفراش يوماً آخر . ومن الغريب ، أن شيئاً من الضعف قد أصابها بالفعل فأخذت بالنصيحة وبقيت بالفراش طوال هذا الصباح . بعد الظهر ، قامت "راشيل" وقد أصابتها الدهشة من كل هذا النوم ، فأخذت حماما وتوجهت بأسرع ما يمكن إلى حجرة المعيشة قبل ظهور الآخرين . ثم اختارت أحد الكراسي الوثيرة ذات المساند كي تجلس عليها ، لفت أرجلها بإحدى الملاءات ، ووضعت دليل برامج التليفزيون والريموت كنترول بجوارها ، وكومة من المجلات وكوباً من عصير البرتقال الطازج أمامها . وجلست "تيريزا" تتحدث معها كي لا تشعر بالملل .

-" إنني على ما يرام ." شارحة لـ "حنا" عندما اقترحت عليها الأخيرة أن تنام مبكراً لليلة أخرى .

-" القليل من الراحة والطعام الجيد لن يضرك ."

-" قالتها عاملة المنزل بنعومة . وشعرت "راشيل" أن ذلك القسط من الراحة قد أفادها بالفعل . فأغلقت عينيها مستمتعة بذلك الاسترخاء اللذيذ . إنها تشعر اليوم أنها أقرب ماتكون إلى سابق حالها في الأيام الخوالي .

لقد طافت بها "أنجيلا" بالأمس – بعد عودتها من المدرسة بكافة أرجاء المنزل. كان منزل "لوك" يبدو كما لو أن مصممه أحد رواد فن المعمار . كان من الواضح أن بناء تلك الدار لم يصرف فيه بنس واحد هباء . إنه ليس فقط مكانا جميلا . إنها دار دافئة ، حية ، مليئة بالحب والسعادة . أجيال من أبناء زوجة "سومرز" تشهد بذلك . إن" راشيل " ترى "كريس" في كل شيء هنا ، ، واضحة ، تتكلم ، تضحك ، تحب . رأت أن الشخصيات التي تعيش في هذا المكان ، أفضل وصف لهم هو تشبيه كل منهم بلون من الألوان المختلفة . عندما تتذكر ابنة عمها ، تفكر "راشيل" في اللون الأصفر ، أصفر بلون الكريمة كلون زهرة تنشر

البهجة في المكان لمجرد وجودها فيه ." حنا" .. اللون الأخضر ، فهي أم لهذه الأرض وصديقة لها . "جوردي".. اللون السماوي الصافي ، براءة وحب . "لوك" وأخذت أنفاس "راشيل" تتهدج بداخلها . أي لون يكون "لوك" ؟ القرمزي النادر يتبادر إلى الذهن . لون غني بالقداسة والأبهة . رجل يحقق الانتصار دوما ويضحي من أجل الآخرين دائما .

وكأنما تذكرت "راشيل" فجأة . كان يتحتم عليها الذهاب إلى دكتور "كنتون" لمعرفة ماهو السبب في بطء تماثلها للشفاء . فالأمر قد يتجه إلى الأسوأ بدلاً من الأفضل . أخذت "راشيل" تتساءل كيف يمكن أن يكون حالها لو استقرت لتعيش في مكان واحد طوال حياتها ، تشعر بالأمان والحب ، في وسط أسرة تحيط بها ، تشاهد طفلا ينمو ويكبر بين ذويه ويكرر دورة الحياة . لسوف ترى "لوك" في دور "البطريرك" بكل وضوح . سرعان ما سيتزوج ، ويكون أسرة كبيرة.

تستطيع أن تتخيله وقد تحول شعره إلى اللون الرمادي ، المزيد من التجاعيد حول عينيه، وتبدو عليه الرجولة الكاملة كما تبدو عليه الآن . فالزمن لا يستطيع أن يجرؤ على تغيير القوة والقدرة التي يجسدها "لوك".

تنبهت "راشيل" على صوت الباب عندما دخلت "حنا" عليها . قامت ، وذهبت إلى الحمام حيث أخذت حماماً سريعاً . جففت شعرها ، مشطته ثم لمته برباط من المطاط . إنه دائما يجف هكذا . ارتدت البنطلون الجينز واحتارت في أي السويترات ترتديه فوقه . امتدت يدها إلى الأحمر ، وسرعان ما تذكرت نظرة "لوك" عندما رآها ترتديه لأول مرة ، فالتقطت الآخر . أخضر لامعا وسميكا، سوف يدفئها حتماً . لقد اختار لها "لوك" ملابسها بعناية . الصباح في الشتاء هنا قارس البرودة ، مع أن الحرارة قد ترتفع بعد الظهيرة .

-" يجب أن تأخذي الأمور ببساطة " .

قالتها "حنا" مؤكدة عندما دخلت "راشيل" إلى المطبخ . أتاها صوت "راشيل":

-" لاأستطيع البقاء بالفراش أكثر من ذلك . هل أستطيع أن أساعدك هنا ؟ "

ربما لم تكن هذه فكرة جيدة . فالبادي على كل شبر من المطبخ أنه يحمل

بصمات "حنا" فهي تمتلكه تماما . ولم تحمل لها ابتسامة "حنا" أي تعقيب .

-"تناولي فنجاناً من الشاي أولاً ، بعد ذلك يمكنك مساعدتي في تجهيز المائدة."

فجلست "راشيل" إلى المائدة تحتسي الشاي ، وكان ظهرها يواجه النافذة ، فأحست بأشعة الشمس تدفئ أوصالها .

لقد أصبح هذا المطبخ الريفي بستائره الزرقاء ورفوفه ذات اللون اللوزي ، مكانها المفضل بالمنزل . أثناء ارتشافها للشاي أخذت تحلل هذا الإحساس الغريب : أن تتواجد بهذه الدار . أن تنتمي إليها . وهزت رأسها . ربما لم تكن في حالة جيدة كما تظن .

-" هل هناك خطأ ما ؟ "

وكانت "حنا" تنظر إليها بتطلع . ردت "راشيل" مسرعة :

- "لا ، لقد كنت أفكر لتوي في كمية المتاعب التي تسببت لكم فيها ."

-"أنت جزء من العائلة " . قالتها "حنا" ببساطة شديدة ،

-" لو كانت "كريس" لا تزال هنا ، هل كنت ستشعرين بعدم الراحة لإقامتك معنا ؟ "

- "لا ، " قالتها "راشيل" بريبة ، " كان الأمر سيبدو مختلفاً ."

-"إنه لا يزال بيت "كريس" "، قالتها "حنا" لتثبت لها خطأ تفكيرها ، " لقد كانت تريد أن تأتي لتعيشي معنا ، وليس في أحد فنادق "لوس أنجيلوس" . لا تشغلي بالك بهذا الأمر أكثر من هذا . يا طفلتي ."

وأتى "لوك" باحثاً عن زجاجة الرضاعة الصباحية لـ"جوردي" ، حاملاً ابن أخيه على كتفه .

-" صباح الخير . يبدو أننا قد تأخرنا في نومنا أنا و"جوردي" ."

كان شعر "لوك" المنكوش وهيئته توحيان أنه خارج لتوه من معركة . كان يرتدي بدلة بنية من تلك التي تستعمل في الجري والتدريب .تشبث "جوردي" بذراعه ، وأخذ يربت على خده ، لم يكن قد أفاق تماماً بعد . وأشاحت "راشيل" بوجهها بعيداً . كان هناك شيء مميز في مرأى الذكور من عائلة "سومرز" وتصرفاتهم معاً ، يؤثر فيها ، يجعلها تتمنى أن تصبح جزءامن هذا الذي تراه.

جزءا منهم . لم يبد صوتها مسموعاً عندما ردت التحية .

-" هل نمت جيداً ؟ "

كان "لوك" يسلط أشعة إكس مرة أخرى عليها .

" استعمال فراش غريب كان يؤرقك ، أليس كذلك ؟ "

-" لا ... لقد نمت جيداً للغاية ."

احمر وجه "راشيل" وأنزلت فنجانها ، ثم وضعته في غسالة الأطباق . كانت تعمل على إخراج غطاء المائدة لتفرشه عندما أحست بانصرافه هو و"جوردي" . يبدو أنه يأخذ جزءا كبيراً من إحساسها بالضغط والارتباك ، يأخذ كل ذلك معه عند انصرافه . وأخرجت "راشيل" نفساً عميقاً ، ونظرت بجوارها لتجد "حنا" تتأملها .

-" إن الدار جميلة للغاية " . كان هذا هو الشيء الوحيد الذي استطاعت أن تفكر فيه لتقوله . كانت تلك النظرات المرتابة على وجه "حنا" تزيد من عصبيتها.

-"كان البيت الريفي القديم أصغر من هذا بكثير ." واستدارت العاملة تجاه مائدة الإعداد لتجهز الفطور .

-" عندما بارك الجد "روبرت" فكرة "جوردون" و "ميريام" ، كانا يعلمان أن الأمر سيكون شاقاً في البداية ."

- "وماذا بعد ؟ "

قاطعتها "راشيل" ، وهي تراقب "حنا" تعجن دقيقاً في أنية ، تختبره ، وتضيف عليه الزبد واللبن . كانت حاجتها إلى معرفة المزيد عن عائلة "سومرز" لا يمكن تفسيرها ولكنها كانت حاجة ملحة قوية .

-"فاما برهن كل شيء من أجل شراء فرس صغير عمره عامان - " جوبيترز جولد" - كان هذا عام ولادة "روب" . في هذا الوقت كنت قد جئت للعمل لديهم . كانت "ميريام" تقضي كل ساعة مع هذا الحصان ، في تدريبه ، وفي حبه . كان شراؤه مقامرة . كانت تبدو عليه تلك العلامات التي تنم عن الأصالة والقوة ، لكن لا شيء يذكر في عالم سباق الخيول ، أمه لم تدخل أية سباقات أبدا . "جوبتر" لم يكن الأفضل ، كان فقط كل ما يمكن شراؤه بما كانوا يملكون ، لكن

العمل المتواصل والحب ، كل هذا أتى بثماره . لقد فاز بالتاج الثلاثي في ذلك العام الذي أقيم فيه سباق المتعة للجميع ." وبالجائزة استطاع كل من "ميريام" و" جوردون " شراء ثلاثة أخرى عمرها عام واحد ، للتدريب والسباق . كانت "ميريام" متفوقة في مجال الخيول ، وكان عقل "جوردون" خارقاً في مجال الاستفادة من نجاح تلك الخيول وإدارته لها . ولقد ولد "لوك" بعد "روب" بثمانية عشر شهراً ، واستأجروا فتاة لتساعدني في أعمال المنزل ، فاستطعت أن أخصص كل وقتي من أجل الصبيين . بلغ "لوك" الثالثة عندما فكروا في بناء هذه الدار الجديدة بدلا من تجديد الدار الريفية القديمة ." ووضعت "حنا" البسكويت الذي تصنعه في الفرن ، وأخذت تسوي الكورن فليكس في إناء ، ورفعته عن النار ، ثم أضافت :

" ونمت "دياموند بار" سريعاً ، واكتسبت شهرة واسعة في تربية وتدريب الخيول التي تفوز دائماً . كان "جوبترز جولد" هو أول منتج لنا ، هو الأب للسلالة وللأجيال التي تلته . بلغ الابنان سني الثالثة والخامسة عندما قرر الأبوان التوقف عن التدريب ، وتركيز جهودهما كلية في التربية لإنتاج السلالات النقية الأصيلة . كان الابنان يكبران بسرعة ، وكانت حلبة السباق تأخذ جل وقت والديهما . رأت "ميريام" أنها يجب ألا تعاود الإنجاب لمزيد من الأطفال ، وقد كان هذا أيضا قراراً حكيماً منها . كانا يريدان إسعاد الصبيين اللذين رزقا بهما بالفعل ." ووضعت "حنا" آنية الكورن فليكس على المائدة ، وبعضا من الفاكهة الطازجة ، البسكويت والزبد ، ثم أخذت تراجع ما أعدته عندما عاد "لوك" مصطحبا ابن أخيه . وخفق قلب "راشيل" لمرأى الطفل وقد أخذ حمامه ودهن جسده بالبودرة الناعمة . تصفيفة شعره على جانب واحد أعطته مرأى طاهراً ، جيد التربية ، أخذ بلبها لعدة دقائق ، خداه لامعان ، أسنانه تبرق نظافة ، إن ابن "كريس" لصورة للصحة وحسن الاعتناء به . وضع "لوك" "جوردي" على المقعد ذي العدادات والخرزات البلاستيكية ، وجلس هو إلى مقعده بعد لنفسه طبقاً من الكورن فليكس الساخن .

-"هل تركبين الخيول يا "راشيل" ؟"

-" لقد قمت بامتطاء الخيول مرة واحدة في القرية مع "كريس" ، من سنوات عديدة ." خيول أصيلة تفهم إن كان فارسها عصبيا حاد المزاج . " إنها تشبه ركوب الدراجة ... لا ينساها المرء ." وصب "لوك" لنفسه شيئاً من الحليب .

-" لدينا عدد من الخيول الجيدة نبقيها للركوب فقط . اختاري إحداها من الإسطبل اليوم ، وبلغي المكتب بالوقت الذي ترغبين فيه ذلك ، "جوان" ستقوم بإحضاره إلى الدار. لن يكلفك الأمر أية إجراءات أخرى ."

إجراءات ؟ لم يكن بنية "راشيل" امتطاء الخيول ، لكن تلك الكلمة أثارت انتباهها كثيراً . هذه الأيام القليلة أكدت لها فكرة واحدة ، إن "لوك" لا يخالف قواعده أو إجراءاته أبداً . إنه يحافظ عليها ، والجميع يحتذون به في ذلك . أما أن يفعل ذلك الآن ، فلابد أن له سبباً وجيهاً .

- "لا تركبي الخيل ، وحيدة ، أبداً ."

ولم تفتها تلك النظرة ذات المغزى التي ألقت بها "حنا" إلى "لوك" قبل أن تستدير للجهة الأخرى. وأخذت " راشيل" تتناول طبقها وهي تفكر. هل يخشى عليها أن تضل الطريق ولا تستطيع العودة فتتسبب في مشاكل أخرى غير التي تسببها لهم بالفعل ؟ من غير المستحسن أن تذكرهم أنها لن تبقى معهم من الوقت ما يكفيها أن تمتطي الخيل أيضاً . إنها لا تريد أن تحسن من مهاراتها في ركوب الخيل ، لأنها حيثما ستذهب لن تكون بحاجة إلى أي من ذلك . وانشغلت "راشيل" مع البسكويت ، دهشة من هذا الغضب الذي استولى عليها . بعد فترة أصبح هذا الغضب متعمقا بداخلها على كل شيء ، وأي شيء . أصبح إقناع "لوك" أن إقامتها لن تكون دائمة في " دياموند بار " يحتل أهمية كبرى لديها فجأة ، لكنها لن تناقشه في هذا في وجود " حنا" . سوف تتحدث معه فيما بعد .

مع مرور كل يوم كان يجدّ شيء جديد يربطها إلى هذا المكان . "جوردي" ، الترحاب بلا حدود ، حصان خاص بها . حقيقة ، كان كل هذا قيوداً من الحرير، لكنها لم تكن تنذر بشيء . إن أبق على هذا الوضع ، فلن تستطيع أبداً أن ترحل . تساءلت "راشيل" : كم ستستغرق من الزمن حتى تسبر غور

هذا الرجل ؟

إنه يتصرف كأن لم يكن لها حياة أخرى ، كأنها في دارها حيث تنتمي .

- " هل ستتجول مع "راشيل" خلال المزرعة هذا الصباح ؟ " سألت "حنا" .

- " بكل سرور " . منهمكا في انتقاء تفاحة لتناولها .

- " هكذا سيزيد شعورها أنها في دارها ."

يزيد شعوري أن هذه داري ؟ أرادت "راشيل" أن تقول شيئاً واضحاً ، موضحاً للأمر، مفسراً له . لكن الكلمات احتبست بداخلها ، وبقيت هناك .

- " فلتستعدي ، سنغادر خلال نصف ساعة ."

لم يكن في نبرته ما يشير إلى أن اصطحابها للفرجة على المكان ليست أكثر من إحدى صور الترحاب . ربما هي تتخيل ذلك بفعل سوء حالتها الصحية الراهنة. وغمغمت "راشيل" بكلام غير مفهوم ، وقامت محمرة الوجنتين تساعد "حنا" في تنظيف المائدة . أخذ الطريق حوالي عشر دقائق لتعبر بهما الشاحنة المنطقة الجبلية حتى وصلا إلى المزرعة . وما إن عبرا البوابة بحوالي مائتي ياردة ، حتى استدارت "راشيل" نحو "لوك" دهشة :

- " انظر " . تابعت حركة رأسه ملتفتا حيث أشارت . ترامى أمامهما الوادي الفسيح. مكتسيا بالخضرة ، تحيطه التلال فتبدو كالجواهر ترصع التاج . الجبال الحمراء تقف شامخة من كل جانب حولهما .دام صمت "راشيل" ، نظرت مشدوهة . كان ذلك يبدو لها كعبور بوابة مسحورة إلى عالم آخر . بدا المكان لها متحفاً ريفياً يعج بالحياة . كان هناك أناس وخيول في كل مكان . ومبان كبيرة تحيط بالجهة الشمالية الشرقية . في منتصف تلك البنايات الضخمة مبنى صغير أحمر الطلاء ، بدا كأنه دار أو منزل ، بقية المكان كان يعج بحظائر خشبية بداخلها الخيول . كانت المشاهد والأصوات كأنما تخط - من أول نظرة ألقتها على المزرعة - مكاناً لها ، حفر في ذاكرتها . إن هذا لأكبر من أي شيء تخيلته من قبل .

- " مرحبا بك في "دياموند بار" ، يا "راش" . " شعرت بأنفاس "لوك" المعطرة بعبق المكان ، ولم تكن واثقة من رد فعلها ، أو كيف سوف تتصرف ، أو تفعل .

- " من الصعب التصديق أن كل هذا هو مجرد أحد الأركان المحيطة التي نراها من الدار ." قالت "هذا ثم شعرت أن المشهد البادي أمامها يجعلها لا تستطيع أن تقول المزيد .

من رسائل "كريس" كونت في ذهنها صورة عن مزرعة صغيرة ، بها القليل من الخيول . إنها حتى من على هذه المسافة - يمكنها أن تقرر أن "دياموند بار" هي عملية تجارية في غاية التوسع والضخامة .

- "لقد خطط أبي وأمي المكان على الشكل الذي ترينه ". وتحرك "لوك" بالشاحنة، وواصلا تقدمهما .

"لقد أرادا لحياتهما الخاصة أن تكون بمثل هذه الخصوصية البادية أمامك . كانا يحبان عملهما حباً جماً ولكنهما لم يريدا أن يكون بالقرب من الدار التي يعيشان فيها . هذا الوادي هو أنسب مكان للخيول ."

أشار "لوك" إلى أحد الرجال عند البوابة وتوجه مباشرة إلى المبنى الأحمر . كانت كلمة "المكتب" قد نقشت عليه باللون الأبيض . مر رجل بهما ، ورفع يديه محيياً إياهما . كان يجر حصاناً كبيراً بلون أسود داكن .

أخذت "راشيل" خطوة إلى الخلف ، مأخوذة بحجم هذا الجواد . رأت الرجل يدخله إلى ما يشبه الإسطبل الكبير .

وبنظرة حولها لاحظت وجود ستة مبان كبيرة ، وقد نقش على كل منها رقمه بخط كبير واضح . أشار لها "لوك" إلى جهة بعض قطعان الماشية ترعى على أحد الجبال بجوار مبنى طويل - ذكرها بإحدى ثكنات الجيش التي قد رأتها ذات مرة .

- " مبنى العمال . لدينا هنا مجتمع خاص بالمكان ، وأيضاً مخزن صغير ."

بللت "راشيل" شفتيها . كانت تشعر كما لو كانت تشاهد أحد الأفلام . ربما كانت تشاهد أحد تلك الأحلام التي تصيبها بالسعادة والحبور فتصحو ولا تلبث أن تعود ثانية للنوم . لم تشاهد أحد تلك الأحلام منذ مدة طويلة .

ونظرت إلى "لوك" ، محاولة الابتسام .

- " لقد قمنا بتنشئة جياد تربو على العشرين مليون دولار ثمنا للواحد منها " .

كان "لوك" يحاول أن يجعل نبرته - كمن يقرر أمراً واقعاً - بقدر الإمكان . لكن النظرة التي كانت في عينيها أصابته بشيء من الارتباك . لربما كان من المستحسن إعطاؤها فكرة عن كل هذا قبل أن تراه .

- " أي حصان عمر سنة ، يكلف في أي مكان ما بين نصف إلى مليون دولار . "

- "وهل تشكل الإجراءات الأمنية لحراستها مشكلة ؟ "

وتبادر إلى ذهنها أحد برامج التليفزيون عن تغيرات بسوق الجياد، وتهريبها إلى الخارج .

- "المكان كله مؤمن بالمراقبة بكاميرات الفيديو ، في نفس الوقت لدينا رجال الأمن المخصصون للحراسة . "توم" ، حارس البوابة يعرف كل فرد يعمل هنا . "

لم يطلعها على رجلي الحراسة اللذين يعملان بالمنطقة المحيطة بالدار كنوع من الرقابة الأمنية . أو أن إجراء عدم ركوبها الخيل وحيدة من صميم تأمين سلامتها . أو عن تلك الاتصالات التليفونية التي هي جزء مهم من العمل .

- "وماهي الجياد الأصيلة ؟ "

كانت لا تعلم إلا القليل عن نقاء السلالات . أما حقيقة استثمار ملايين الدولارات في التربية فهي قد بدأت تدركها الآن فقط . وأن حقيقة أنها كانت ترغب في الحصول على "جوردي" - جعلتها تفكر في مدى إمكانها تلبية جميع احتياجاته .

- "إننا نقوم بشراء ذكور الجياد ذات السمعة في السباقات ، والتي يكون لها سجل ، ونصدر أسهما لكل حصان، ونبيع هنا خدمة الإعشار ، "

ثم أخذ لوك يفسر :

- " كل مساهم بنصيب في أحد الجياد التي نربيها لدينا ، تكون له الفرصة في أن نقدم للجواد المساهم فيه إحدى المهرات التي لدينا - وهو ما نسميه بالإعشار - فرصة واحدة سنوياً . إذا كان المساهم لا يمتلك مهرة يدفع نصف مليون دولار ، وهو تقريباً ما يوازي تكلفة تربية إحداها لدى أي مرب آخر من

غير المساهمين لدينا ، حسب أسعار هذه الأيام . "

- "فهمت" . هي في الحقيقة لم تفهم تماماً . لكنها قد أحاطت بالصورة عامة . المال ، والمزيد من المال . إن "لوك" لرجل غني حقاً .غني جداً . وحقيقة كونه لايزال يعمل في إحدى الوظائف العادية كان باختياره وليس للضرورة . كيف كان يمكن أن يكون رد فعله عندما علم أنها تقاضيه من أجل الوصاية على "جوردي" ؟بالأمس ذكرت لها" تيريزا "شيئا بهذا الخصوص ، وإنه لشيء رائع حقاً ذلك التحول الذي حدث .

إن "جوردي" موجود حيث ينتمي ، وهي جزء من هذه العائلة . كان بادياً ، أنهم جميعاً كانوا خائفين لفترة . كانت "راشيل" تقبض يديها كالمؤكدة . هل يعلم من يعيشون هنا شيئاً عن سبب إصرارها على اكتساب تلك الوصاية على "جوردون سومرز" ؟

لابد أنها قد فعلت الكثير والكثير لتكون مصدر كل تلك البهجة والسعادة للآخرين...

الفصل الخامس

كانا يقفان بعتبة الإسطبل الأول . تابعت "راشيل" "لوك" إلى داخله . كان ما تراه يدل على أنه لم يُصرف دولار واحد هباء في هذا المكان . كان المكان في غاية النظافة والنظام ، ، كان بيئة تصلح حقاً لهذه الجياد العظيمة المملوءة بالنشاط والحيوية .

- " إسطبل (أ) هو المخصص لإيواء الخيول الأصيلة التي نملكها ."

كان "لوك" يتحدث أثناء توقفه ليربت على أحد تلك الجياد . وكانت "راشيل" بالتأكيد تقف متراجعة للخلف . لم تكن متأكدة من تصرف تلك الخيول مع الغرباء ، ولم تكن بالتي تغامر لاكتشاف ذلك .

- " كل منها له "حظيرة خاصة ؟ "

- " نعم ، هذه هي أفضل طريقة مع الجياد الأصيلة . فنادراً ما نضع زوجاً منها في حظيرة واحدة . قد تتشاجر ويؤذي بعضها بعضا . وأحيانا يكون مع الجواد فرس أوفرسان في نفس الحظيرة ، لكن غالبيتها تبقى على حدة . بالإضافة إلى رعايتها فإنه يجري امتطاؤها بانتظام حتى تظل على مستوى رفيع ثابت "

ومالت "راشيل" على ذلك الجواد البني اللون الذي كان يدير عينيه نحوها كأنه ينظر إليها ، إنها تحمد الله أنها لم تقم بركوب أحد تلك المخلوقات الفخمة المكلفة .

- " أما ذلك العدد القليل من الجياد الموجودة هنا بالداخل ، فهو محتجز في تلك المنطقة انتظارا للكشف البيطري أو لأن حالتها الصحية ليست على مايرام ".

أخذ "لوك" يفسر وهو يربت على ذلك الجواد البني ،

"إننا لا نحاول المجازفة أبداً بها." وافقت "راشيل" على ما تسمع في صمت : لن يكون هذا وهي تساوي الملايين بالتأكيد . بالتقدير الجزافي المتسرع يكون بهذا الإسطبل حوالي عشرين حظيرة ، نضرب هذا الرقم في عشرين مليون ... وبدأ رأس "راشيل" يدور .

لابد أن من يعمل على تلك الحسابات يضطر إلى العمل وقتا إضافياً . كانت الجياد نفسها بديعة المنظر . إنها تستطيع أن تفهم كيف يجدها الناس شيئا بديعاً مدهشا . هذا التناسق العضلي البديع تحت ذلك الجلد اللامع ، تلك الرقاب الباسقة ، المظهر المعتد البديع ، كل هذا يضعها في طبقة خاصة . كل حركة كانت كمقطوعة أدبية معبرة .

انتبهت "راشيل" فجأة على صوت حوافر وصهيل ، أدارت رأسها واستمعت مصغية . واستدار "لوك" دهشا عندما أمسكت به .

- "هل أنا أسمع شيئاً ما ، أم أن نعجة هنا بالداخل ؟"

بدت على وجهه نصف ابتسامة جعلت حرارتها تعلو ، حتى تغلبت على برد صباح ديسمبر . حاولت أن تسحب يدها لكنه أمسك بها برقة ، كما لو كان هذا هو أكثر الأشياء طبيعية في الوجود ، أبقى يدها في يده وهما يسيران متوغلين إلى حظيرة أخرى . هنا ، بجوار ذلك الجواد الضخم ، وجدت نعجة قد ربطت ، نعجة ذات لونين : أبيض وأسود . تقف مرتبكة من المحيطين بها ، أو تلك المخلوقات التي تزن عشرين ضعف وزنها و تتحرك بجوارها ، كانت النعجة تأكل العلف الموضوع لها . أخذت عينا "راشيل" تدوران في تعجب .

- أقدم لك "قوس قزح" ، قالها "لوك" ببساطة ثم أكمل :

لقد اعتزل "قوس قزح" عندما بلغ الرابعة من عمره بعد أن فاز بحوالي مليونين ونصف من الدولارات في حلبة السباق . عندما اشتراه "روب" وأتى به إلى هنا ، كان من المستحيل أن يستقر بالمكان . أخذ يلقي بنفسه في كل مكان حتى خشينا أن يصيب نفسه بأذى . كان مالكه خارج البلاد ، ولم نستطع العثور على مدربه . أخيراً اقترحت أمي أن نأتي له بـ "نيللي" من الحقول . وكان التغير الذي طرأ على "قوس قزح" درامياً . إنه يفعل أي شيء يطلب منه طالما أن "نيللي" بجواره.

أخذت "راشيل" تتطلع إلى هذا الثنائي العجيب . كان من الغريب التفكير في أن حيواناً بمثل هذه القوة والتكوين البديع وبمثل هذا التأصل ونقاء النسب ، ومع كل ذلك يعتمد على مثل تلك النعجة الضعيفة الرقيقة كي يشعر بالسعادة.

ذكرها هذا بقصة الأسد والفأر ؛ حيث لم تكن للقوة أية حيلة أمام الحجم وتلك العضلات الضئيلة الدؤوب، حيث نحتاج ويحتاج إلينا . ودخل عليهما من يبحث عن "لوك" حاملاً رسالة من "جوان" . ثمة مستر "كالاهان" من "إيرلند" يريد التحدث إليه .

- "لن أتغيب عنك طويلاً . "أخبرها بذلك ، وأخذت "راشيل" تفكر إن كانت نبرة الاعتذار التي أحستها من نسج خيالها . خرجت "راشيل" إلى أقرب حظيرة ، دخلتها ، كان طلاؤها أبيض اللون ، وكانت راشيل مستمتعة بأشعة الشمس التي تسقط على ظهرها ، وتلمع على وجهها . كان هناك حوالي ست أفراس من عمر عام واحد بالداخل ، وكانت حركاتها تذكرها بأطفال تلهو وتلعب .

- "صباح الخير ."

استدارت وابتسمت لـ"جاسون هارنجتون" ، محاسب المزرعة . لقد أتى بالأمس بصحبة "جوان رود ريجز" إلى المنزل ليراها . كان "جاسون" و"لوك" زميلي دراسة . والآن تساءلت "راشيل" إن كان قد أتى ليتأكد من خروجها من المكان . وسرعان ماتداركت خطأها ، لأن تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهه لم تترك مجالا لأي ظنون أو شكوك . وردت "راشيل" :

- "صباح الخير" .

- "هل شاهدت كيف نقوم بعملنا ؟"

- "نعم لقد اصطحبني "لوك" في جولة بالمكان ، لكن جاءته مكالمة هاتفية ، فاستأذن بضع دقائق ليرد عليها."

- "هذا من حسن حظي ." واتسعت ابتسامة "جاسون" ، "هل تريدين أن تلقي بنظرة عن قرب على تلك الخيول ذات العام الواحد ؟" كانا في منتصف الطريق للحظيرة التالية عندما مر بهما رجل يحمل سرجاً وإحدى المعدات الأخرى .

"موجو" هو أحد المساعدين ."

ثم أخذ "جاسون" يفسر لها :

- "إنه ذاهب لقضاء بعض الوقت مع "جاليفر" ، الجواد المفضل عندنا ، والذي يبلغ من العمر عامين . رغم أن هذا الرجل كان يرتدي ملابس تشبه الآخرين ،

إلا أن شعر هذا المساعد الذي كان طويلا منسدلا على كتفيه ، وبناءه الجسدي المتناسق ، كل هذا أخبر "راشيل" أنه لابد أن يكون على الأقل نصف هندي .

-" كيف حال الساق يا "موجو" ؟ "

سأله "جاسون" وهو مار بجواره .

-" ليست بخير يا "جاسون" ، ليست بخير ."

لم تستطع راشيل أن تمنع نفسها من التعليق على العرج الذي كان يعتري مشية الرجل .

-" ما الذي حدث لساقه ؟ " سألت "راشيل" بمجرد أن ابتعدا عن مجال سمع الرجل .

-"لا أعلم " ، رد "جاسون" وهو يركز عينيه على الجواد الذي أشار عليه "موجو."

إنه المفضل لديه منذ مدة الآن . وهو لايريد أن يدع الطبيب يكشف عليه . يقول إنه يعالج نفسه بنفسه، لكن يبدو أن الحالة تسير إلى الأسوأ .

-" لقد كنت أظن أنكم تشترون الخيول الصغيرة من عمر عام واحد فقط ."

وانتابت "راشيل" رجفة عندما رأت الفرس وقد شد إليه سرج . كان يبدو أكبر حجماً من الآخرين بالحظيرة التالية .

-" إن "جاليفر" استثناء . لقد كسرت ساقه في العام الماضي قبل مزاد يناير "كانون الثاني " مباشرة، وأراد "روب" الاحتفاظ به حتى تتحسن حالته . لو كان قد دفع به إلى تدريب مبكر، لكان من الممكن أن يصاب بكسر آخر ، لذا رفض "روب" بيعه . بعد ذلك قام "موجو" برعايته . ولما تماثل للشفاء تماماً بدأ في إعطائه جرعات من التدريبات الأساسية."

-"هل سيباع هذا العام؟ " .

كان الحصان يتمسح برأسه في كتف الرجل ، كانت حركاته تعبر صراحة عن تلك العلاقة التي صارت بينهما .

-" أعتقد ذلك . إننا لم نعد بعد مزرعة تدريب ، هذا الجواد هو نتاج أسس التربية والتغذية التي نتبعها هنا."

أخذ "موجو" يشد لجامه . ولاحظت "راشيل " أنه كان كأنما يحاول أن يبقي الحصان ثابتاً في وقفته . كان بوجهه نفس تلك الألوان والرسوم التي على بقية جسده . اعترته علامات الألم عندما أخذ يتقهقر للخلف .

-" هذا هو الوضع الذي يجب تدريب الخيل عليه باللجام ."

وأخذ "جاسون" يكمل شارحاً :

-"إن التعليم في الصغر يسهل كل شيء بعد ذلك عند بيعها ، عندما يبدأ مدربو الخيل المنتظمون في تدريبها للاحتراف . إن "موجو" يحاول أن يجعل "جاليفر" يقف ثابتاً على أقدامه ، التي يجب أن تأخذ شكل مربع متساوي الأضلاع على الأرض ، وأن يبقي رأسه وذيله مرفوعين عالياً في الهواء ." إن هذا ليتطلب الكثير من الصبر . وبينما أخذ "جاسون" ينظر إلى الحصان ، أخذت "راشيل" تتطلع إلى وجه "موجو" . أخبرتها تلك النظرة الطيبة على وجهه بكل ما أرادت أن تعرفه . قالت بهدوء :

-" إنه يتألم ، يجب أن يذهب لرؤية الطبيب ."

نظر إليها "جاسون" دهشاً :

-" لقد أخبرتك أنه لن يذهب ."

-"هل سيسمح لي أن ألقي نظرة عليه " أخذ "جاسون" يبتلع ريقه . ولم تنتظر "راشيل" حتى تسمع الإجابة فقد بدأت تعتاد على المكان . استدارت ، وتقدمت نحو "موجو" . عن قرب ، لم يبد لها مسنا كما كانت تظن ... إنه يقارب العشرين من عمره ، وكانت نظراته تلك تخفي بالقطع شيئاً ما .

-"ما الذي أصاب ساقك ؟ " بدا الارتباك على وجه "موجو" ، لكن "راشيل" لم تهتم بذلك . همس مرتبكاً :

-"لاشيء ، إنه جرح عادي ." .

-" أين ؟ "

وانتظرت برهة أن يرد عليها الرجل ، فأومأ له "جاسون" كي يفعل ، فأشار الرجل إلى قصبة رجله . أخذت عينا" راشيل "تدور وهي تعري ساق الرجل لتكشف عن الجرح . دم متجمد ، لقد تأكد لها ما كانت ترتاب فيه .

- " إنه ليس مجرد جرح عادي .. يبدو أن الجرح قد تقيح ، وتأثير هذا التقيح هو ما يسبب لك هذا الألم . يجب أن يطهر هذا الجرح جيداً ، وأن يضمد ، ثم بعد ذلك يجب عليك تناول المضادات الحيوية . لن يكون مبعث دهشة بعدما رأيت أن تكون مصابا بالحمى أيضاً ." مالت عليه ، وألصقت يدها على جبهته متجاهلة ذلك الحرج الذي اعتراه . " إن جسمك يغلي ".

فرد غاضباً :

- " ليس بي شيء ."

- "هل تعلم ماذا يمكن أن يصيبك إن لم تعالج هذا الجرح ؟ " كانت نبراتها تلقائية تماما كأنها تناقش الأحوال الجوية مع صديق لها ، " لسوف تصاب ساقك بالغرغرينا . إن تفكيرك العقيم هذا سيؤدي بك لأن تقطع ساقك ، بينما يمكنك التغلب على كل هذا بزيارة للطبيب لن تستغرق أكثر من عشر دقائق ، حيث تشفى من كل هذا ."

كش ملك ، مات . لم يتكلم مخلوق أو يحرك ساكنا لبضع دقائق . أخذ "جاسون" يبتلع ريقه بعصبية . لقد بعث به "لوك" إلى هنا كي يبقى بصحبة "راشيل" ، وليس لتكوين عيادة حقلية عامة . كان فقط يأمل أن يكون تقريره إلى "لوك" مقنعاً كنبرتها تلك .

- " لقد رأيت رجالاً كثيرين مثلك ،" قالتها "راشيل" بنعومة ثم أكملت : " جبناء . رجالا بالغين أقوياء ، لكن يخافون من المرض ، من الدواء الذي قد يكون فيه شفاؤهم." لقد مست بالفعل وتراً حساساً .

زاغت نظرات "موجو" ، وأخذ يلوح بيديه كأنه يرفض كل هذا .

- " إني لست بخائف ."

- "يسعدني أن أسمع ذلك . يجب أن ترى الطبيب في الحال ."

واستدارت إلى "جاسون" :

"هل يمكن أن يصطحبه أحد للكشف على ساقه ؟ يمكنني التغيير على الجرح غداً ." استدار الهندي ولم ينطق بكلمة . تبعه "جاسون" وعيناه تكادان تختفيان تحت شعره . ثم عاد بعد دقائق .

" ألم يكن من الممكن منعه من مواصلة العمل هكذا ؟ "ثم أضافت "راشيل" متفكرة :

"ماهو السبب الآخر ، هل تعلم ؟ "

- "حسنا ،" وأرجع "جاسون" قبعته - التي لا يتخلى عنها أبداً - إلى الوراء وقال: "ربما يكون السبب أنه يعمل باليومية هنا ، فإنه إن لم يعمل ، لا يحصل على راتبه. بالإضافة إلى أن العمال الدائمين يخضعون للرعاية الطبية ، بينما لا ينطبق ذلك على العمال الذين يعملون باليومية ."

- "هذا ليس بعدل ." النظرة التي رمته بها أصابت تلك القواعد السخيفة في مقتل ، أي مخلوق يمكنه أن يلاحظ ما يعانيه هذا الرجل ، يجب أن يكون هناك استثناءات في حالات كهذه ."

- "حالات مثل ماذا ؟ "

ولم يشعر أي منهما بقدوم "لوك" من خلفهما . كانت "راشيل" منهمكة في شرح قضية "موجو" .

- " "لوك" ، ألا يمكنك التغاضي عن الإجراءات في حالات كحالة "موجو" ؟ أي مخلوق في الدنيا يمكنه أن يرى حاجته الملحة إلى الرعاية الطبية ." جاسون " يقول إنه إن أخذ يوم راحة فعليه الذهاب للعمل بمكان آخر . إن هذا ليس بعدل حتى إن كان أحد العمال الذين يعملون بالحد الأدنى من الرواتب ، يجب أن تدفع له مصاريف العلاج " .

لقد تحولت إلى نمرة متوحشة من أجل أحد الغرباء ؟ أخذ "لوك" ينظر إلى عينيها تبرقان ، وصدرها ينتفض ، ويسائل نفسه : يجب دائما أن تكون القضية - قضية شخص آخر - حتى تقيم "راش" الدنيا وتقعدها . ألن تتعلم أبداً أن تهتم بالكفاح للحصول على ما تحتاج إليه في حياتها ؟

- " اتصل بـ"دكتور كنتون" ، وأخبره أن يحمل مصاريف علاج "موجو" على حساب "دياموند بار" ." قال "لوك" موجهاً كلامه إلى "جاسون" ، ثم أكمل :

"بعد ذلك أخبر "موجو" أنه يستطيع الحصول على إجازة مرضية مدفوعة الأجر . وإن وجدت حالات مرضية أخرى ، أخبر الجميع بهذه الإجراءات

الجديدة، طالما يتقدم الواحد منهم بشهادة طبية . ودع "جوان" أيضاً يعرف بهذا ."

- " أشكرك ."

ونظرت "راشيل" بعيداً عن "لوك" ، نظرت إلى الخيول الصغيرة ، لم تكن ترغب أن يرى نظرة الارتياح التي بدت في عينيها. لم تكن واثقة أنه سيرى فيهما مجرد نظرات العرفان .

أخذ يسائل نفسه عن رد فعلها ، إن رفض رغبتها في تغيير الوضع . ربما كانت ستتكفل هي بمصاريف علاج "موجو" في هذه الحالة . لم يصادف "لوك" أبداً من لا يهتم مطلقاً بالمال أو يعيره جل اهتمامه مثلها . إن الشيك الموقع على بياض ، والذي وجده على مكتبه ، لأكبر دليل على ذلك . وراء الدار ، تشكلت دائرة رائعة الخضرة ، ساعدت عاصفة قديمة على اكتمال روعتها ، اقتلعت تلك العاصفة شجرة كبيرة ، فأرقدتها على جانبها . اتجهت "راشيل" إلى تلك الشجرة التي أصبحت بمثابة مقعد في وسط الخضرة ، واستندت إلى جذع شجرة أخرى واقفة هناك. يجب أن تكون هذه البقعة هي أجمل مكان في الوجود . إنها تطل على "بانوراما" رائعة . في الأفق البعيد ، يمكنها أن ترى مياه المحيط الزرقاء . وبالجوار هنا ترقد الدار ، تخفيها عن الأنظار تلك الغابة من الأشجار الإيطالية. اليوم، على أية حال،لم يكن ما يشغل بالها هو تلك المناظر التي تحيط بها . لقد حان الوقت لكي تراجع موقفها . لقد مكثت إلى الآن أسبوعاً كاملاً في "دياموند بار" ، كل يوم منه حطم حجراً في بنائها الدفاعي المتين . إنها تقترب من الإصابة .. بجرح غائر ، لم تصب بمثله طوال حياتها . حان الوقت كي تدرس بعناية ما يحدث لها ، كي توقفه وتمنعه قبل أن يخرج الأمر برمته من تحت سيطرتها .

ما يحدث لها هنا، هو أنها توشك أن تنسى كل درس قاس قد تعلمته من قبل - أن تترك نفسها تتعلق بالأشياء، أن تصدق مرة أخرى ، ليس هذا فقط . فبالنسبة لشخص اعتاد على العمل عشرين ساعة يومياً ، ثم تبدأ في الاعتماد على تدليل "حنا" لها ، وفي العيش وسط هذه الأبهة الفاخرة التي تحيط بها ،

كل هذا سيكون عقبة أمامها كي تعود إلى طبيعتها مرة أخرى . "لوك" .. استمرت "راشيل" في سيرها قدماً ،التقطت بعض الزهور وضمت عليها قبضتها . إنه يعاملها كما لو كانت في سن "جوردي" . لم تجادل . لم تعارض . فقط تنصت ثم تسرع لتفعل بالضبط ما يريد . أدركت "راشيل" الآن شيئاً لم تجربه من قبل طوال حياتها . الرجال الأقوياء اعتادوا كلمة "نعم" .

"حنا" .كانت "راشيل" تود لو تلقي بيديها حولها ، فتحتضن تلك المرأة من أجل كل هذا الحب والدفء اللذين أعطتهما لها . لشخص يعاني كل هذا الخواء بداخله كـ "راشيل" ، مجرد وجودها بجوار عاملة المنزل هذه ، كان كافيا لملء هذا الفراغ الهائل .

"تيريزا رود ريجز" اصطحبتها يوما بعد الظهيرة ، وأخذت تقدمها إلى كل الزوجات في "دياموند بار" . كانت تلقى الترحاب ، بوصفها ابنة عم "كريس" ، كانت تسأل عن طبيعة عملها بالخارج ، كانت تدعى لتعود ولتعاود الزيارة . كان ينتاب "راشيل" إحساس غريب ، من حب هؤلاء الناس لها عندما يعرفون من هي ، ومن تكون .

"جاسون" عرض عليها أن يقوم بتعليمها كيف تمتطي جواداً ، كيف تسيطر عليه ، وكيف تجعله يتراقص إن أرادت . نجح في انتزاع ضحكاتها مراراً ، بنكاته ، وبتعليقاته تلك البسيطة على الحياة وعلى أمورها . أخبرها أنه مساء كل جمعة ، يجتمع عمال المزرعة معاً في الفناء القديم الذي أصبح بمثابة منطقة ترفيه ضخمة خصصت لهم . أي وقت تجد في نفسها الرغبة في الانضمام إليهم سيكون سعيدا باصطحابها إلى هناك . شكرته "راشيل" بأدب ، لكنها رفضت كل تلك العروض . إنها لن تبقى هناك بما يكفي لأن تستفيد من أي من هذه الدروس . بالمنزل ..كان من الواضح أن هناك شبه اتفاق سري بين "لوك" و" حنا" . لم يكن مسموحاً لها أن تقوم بأي من الأعمال المنزلية البسيطة .

بينما كانوا يجاد لونها دائما حتى تأكل ، كانوا يصطحبونها دائما لترى أجزاء المزرعة المختلفة ، كانوا يطلبون منها أن تأخذ قسطاً من الهواء الطلق ليفيد

رتتيها . لم يسألوها أبداً لِم لَم تحاول قط أن تحمل الطفل . كأن لم يفكر أحد منهم أبدا في هذا .

لأول مرة في حياتها فيما عدا ذلك الصيف الذي قضته مع "كريستينا" ، تجد "راشيل" نفسها مرغوباً فيها كما هي ، ودون أية رتوش أو زوائد . هذا الإحساس كان قوياً ، و كان خطراً . قد يعتاد المرء على مثل هذه الأشياء ، وقد يهيئ نفسه على أنها قد تدوم . لكن الحقيقة التي تذكرتها ، هي أنها لا تنتمي إلى هذا المكان ، وأنه كلما أسرعت بالعودة إلى روتينها الطبيعي ، كلما كان ذلك أفضل . لقد اتصلت بالأمس بالدكتور "ويلون سميث" المدير العام لـ "م . ر . أ" في "لوس أنجيلوس" . كان قد تلقى بالفعل مكالمتين هاتفيتين بخصوصها . كانتا مفاجأتين أخريين لها . إحداهما ، كما قال ، كانت من "لوك سومرز" ، أما الأخرى فقد كانت من "دكتور كنتون" في "سانت باربرا" . لم تكن تفكر بالعودة حتى يخطرها "دكتور كنتون" بتمام شفائها . كانت تعتزم أن تطلب أن تكون مهمتها القادمة بعد حلول العام الجديد . إن رغبت ، فإن هناك وظيفة في "لوس أنجيلوس" تستطيع الحصول عليها ، حيث ستقوم بعمل المقابلات وبتدريب المتطوعين للعمل خارج البلاد . كان لابد أن تحدث تلك المكالمة ، كي تكتشف كيف أن "لوك" حريص كل الحرص على أن يبقيها في "دياموند بار" . وأنه يهتم بها اهتماما تراه في كل يوم تقضيه هناك . ما كان يخيفها الآن هو شيء آخر ، لقد بدأ يضمها إلى طبقته تلك التي ينتمي إليها . هل هو الذي اقترح على دكتور "سميث" بوجوب أن تحظى بوظيفة داخل البلاد وليس بخارجها ؟ كانت تلك الفكرة تؤرقها . فهي إن عاشت في "لوس أنجيلوس" يكون باستطاعتها أن ترى "جوردون" كثيراً . وهي تعلم أن "لوك" من الكرم بحيث يرحب دائما بزيارتها . صرخ أحد الطيور ، فقطع حبل أفكارها . هذا هو ما عملت له ألف حساب من قبل . إن انسياقها وراء فكرة البقاء هنا ، كان وراء المزيد من الرفض بداخلها لما يحدث . أي أحمق يستطيع أن يلاحظ أن الطريقة التي أصبحت تتعامل بها مع "لوك" صارت أكثر من رد الفعل الطبيعي للتقرب والترحاب الذي تلقاه . إلى متى سوف تستمتع بهذا ؟ فكلما مر الوقت

أصبحت تريد المزيد ، إن هذا سيكون بداية للمتاعب . إن أعياد الميلاد ستكون في غضون ثلاثة أسابيع . وهي يجب أن ترحل قبل ذلك .

* * *

أخذت "حنا" تتطلع إلى "لوك" :

- "ألم يخبرك دكتور" كنتون" بما تعانيه ؟ إنها لم تحمل الطفل بين يديها أبداً ، إنها تراقبه وقلبها يقفز إلى عينيها ، عندما لا يكون أحد بجوارهما . إني لم أر شيئا كهذا طوال السبعين عاما التي عشتها." رد "لوك" في غضب :

-"امنحيها بعض الوقت ."

كانت "حنا" تدرك أنه ليس غاضباً منها . أو من "راشيل" . إنما غضبه هذا على السبب - أياً ما كان هذا السبب - الذي جعلها على هذه الحال . لابد أنه كان درساً بالغ القسوة ، ذلك الذي جعل "راشيل كارستيرز" تخاف من الحب .

- "ربما وجب علينا أن نجبرها على ذلك ."

واستغرق "لوك" متفكراً . " أن نبعدك عن الطفل ."

-"تعني ، أن تقول إني مريضة مثلا ، وأن نعيد "ماري" إلى بيتها مبكراً ؟ "

همس "لوك" :

- "ظهرك المتعب يمكن أن يشتد ألمه عليك ، أو ربما قد تقعين وينكسر كاحلك."

زاد اقتناعه بالفكرة وأضاف :

"شيئاً ما بحيث تصبح في وضع ، يتوجب عليها فيه حمل "جوردي" ."

ذكرته "حنا" بفوطة المطبخ التي تحتفظ بها دائما معلقة على كتفها .

"عد إلى عملك ، أيها الثعلب العجوز ، قبل أن أبحث عن تلك المغرفة الخشبية التي كنت أستعملها معك ومع "روب" عندما كنتما صغيرين . ستراني في الجبس بعد ذلك." وتغلغلت جذور الفكرة . عادت "راشيل" من جولتها خارج الدار لتجد "حنا" تئن ، وتشكو ، ووجدتها جالسة على مقعد تسند ظهرها ، والألم باد عليها . كان "جوردي" يجلس بقربها ، يستمع إلى تلك الأصوات باهتمام ويحاول أن يقلدها .

- "حنا" ، ماذا بك ؟" كانت "راشيل" جاثية على ركبتيها بجوار المقعد ، "ظهري ،" غمغمت "حنا" ،

" لقد سقطت على ظهري ، لا أعرف كيف ، إنه يحدث صوتاً . أواه ! "

-"سوف أتصل بـ" دكتور كنتون" ." اعتدلت نبرات صوت "راشيل" ، وتحولت إلى هدوء الاحتراف ، ذلك الذي اعتادته طوال السنوات الأربع والنصف الماضية .

-" لقد فعل "لوك" ذلك بالفعل " وبدا صوت "حنا" متهدجاً ، وأخذت "راشيل" تتساءل إن كانت "حنا" تشعر برعشة أو رجفة ، ولاتريد أن تظهر ذلك ." لقد حدث ذلك من قبل . "دكتور كنتون" قال إنه يجب أن أعالجه بتعريضه للسخونة والبرودة ، وأن أتناول أدوية إرخاء العضلات ومسكنات الألم ، وأيضاً النوم على فراش مستقيم ، غير وثير ."

ودخل "لوك" إلى المطبخ .

-" "حنا" ، هل تحسنت حالتك ؟ "

ضمت "حنا" شفتيها وهزت رأسها :

-" لقد ذهب "جاسون" إلى المدينة ، وقد أعطيت "ماري" فترة بعد الظهيرة إجازة حتى تستطيع القيام ببعض المشتريات لأعياد الميلاد ."

-"حسنا ، لا تشغلي بالك بذلك ، الآن دعينا نصطحبك للفراش أولا ."

وتغير صوته كالمتحير في الأمر :

"لقد اتصل "جوان" لتوه . لن تتمكن "تيريزا" من الحضور اليوم ، أيضا . و"دافيد" مصاب بالحمى . "أنجيلا" ستكون قد خارت قواها تماما عندما تعود من المدرسة ." بيتي ماري" ذهبت اليوم للتسوق . ويجب أن أنهي البرنامج الذي أعمل به قبل الغد . لكني لن أستطيع أن أفعل ذلك الآن . سأتصل بالمكتب كي..."

-" لا تفعل ذلك يا "لوك" ،" قاطعته "راشيل" بسرعة ." أستطيع أن أساعد ."

قدرتها على أن تسكته ، أن تتمكن من التصرف ، أن تكون محل ثقة ، كل هذا أعجب "لوك" . اختفت كل لمحة خجل ، أو عدم ثقة . عندما أخذت "راش" في

الحديث ، أجبرته على التركيز فيما تقول :

" دعني أعين "حنا" حتى تصل إلى فراشها ، وسأعود من فوري . لقد كونت فكرة عامة عن روتين "جوردي" ، وأستطيع أن أشغله تماماً طالما هو غير نائم ، ستنجح هذه الطريقة ."

ثم استدارت إلى "حنا" وأكملت :

" ستشفى في غضون يوم أويومين ، سترى بنفسك."

أضافت "حنا" بطريقة ماكرة - بعد أن تلقت من "لوك" إشارة فهمتها :

-"لا، لن أبرأ بهذه السرعة. لقد حدث لي هذا من قبل . إن الأمر يستغرق دائما أسبوعاً على الأقل حتى أشفى تماماً ." أحاطتها "راشيل" بذراعيها وراحت تساعدها على الذهاب إلى حجرتها. ثم عادت بعد فترة قصيرة وقالت بسرعة :

"سأعنى الآن بأمر "جوردي" ."

أطلعها "لوك" على ورقة تحتوي على جدول طعام "جوردي" .

-"لقد أعد له الطعام بالفعل في الثلاجة . أما خلاصة الحبوب فستجدينها على الرف بجوار جهاز تحميص الخبز. إن احتجت إلى أي مساعدة فقط أخبريني ."

واحتضنت عيناه عينيها ، تبحثان في أعماقهما عن علامات العصبية أو الارتباك ، فلم تجدا أياً منها . إن "راشيل كارستيرز" لبارعة عندما تكلف بعمل أو مهمة . لا يوجد نساء كثيرات يستطعن الاضطلاع بما تستطيع هي أخذه على عاتقها . ثم أكمل برفق :

"أعتقد ، من الأفضل أن أعود الآن إلى الكومبيوتر ." بكل هذه البساطة .

بعد ذلك بساعتين ، تسلل "لوك" إلى الشرفة ، فقط حركة الكرسي الهزاز ، هو ما أخبر "لوك" أن "راشيل" تجلس عليه . تسلل إليه ذلك اللحن الجميل . أخذ "لوك" يتطلع إلى صورتها المنعكسة على نافذة باب الشرفة . شاهد انعكاس صورتها وهي تريح رأس "جوردي" على خدها . سرعان ما نام الطفل ، كان من السهل عليه أن يلاحظ أنها لا تعتزم القيام لوضع الطفل جانباً . ابتسم "لوك" ، شعر بألم في داخله . ربما استطاع "جوردي" أن يبلغها الرسالة : إنها

تنتمي إلى هذا المكان . ثم تسلل بعيداً كي يطلع "حنا" على ما حدث .

-" لقد نجحت الخطة ."

أبلغها ذلك وكله سعادة وسرور :

"لقد سمعتها تحادث "جوردي" طوال الوقت وهي تطعمه وجبة الغداء ، سمعتها مرة تقهقه بصوت عال . والآن إنها تغني له ."

وغمرت السعادة "حنا" . إنها لم تر "لوك" مستريحاً هكذا منذ فترة طويلة . ولكيلا تحرج أياً منهما ، غطت على عواطفها بشيء من الخشونة المصطنعة :

-" وإلى متى يجب أن أبقى هاهنا ؟ إن الرقود في الفراش غير محتمل .

"راشيل" رفعت الوسائد بعيداً . إنها تقول : إن هذا أفضل لما في ظهري من آلام . إنني أكاد أتنفس بصعوبة وأنا على هذا الوضع ."

-" هوني عليك ، لن يطول الأمر أكثر من أسبوع واحد . أعدك بذلك ." كانت تراقب مبهورة . "لوك" يصفر بفمه وهو في طريق عودته إلى غرفة عمله . أسبوعاً كاملاً!

ونظرت "حنا" إلى ذلك الباب الذي أغلقه وراءه . إن عدم الحركة هو الموت نفسه، بالنسبة لها . لم تكن غاضبة. في حقيقة الأمر أحضرت الوسائد مرة أخرى من الدولاب ، ووضعتها مكانها على الفراش ، ثم عادت للرقاد وابتسامة رضا ترتسم على وجهها .

-" إن هذا ليشفي الجسد حقاً ، أن أسمعه يصفر ". قالتها لنفسها بصوت مسموع .

كانت "ميريام سومرز" متمكنة في أصول السلالات و نقائها ، كانت تشارك زوجها كل واجبات إدارة "دياموند بار" . وكانت "حنا" هي التي تقوم برعاية الابنين في الأعوام القليلة الأولى من حياتهما ، كونت معهما رابطة لا يمكن أن تنفك عراها أبداً . الآن ، أحد ابنيها قد مات . كانت تريد السعادة للآخر ، لم ترفض له طلباً أبداً حتى يستطيع القيام برعاية ابن أخيه على أكمل وجه . وأحياناً كان يخيفها انغماس "لوك" الكامل مع "جوردي" .

-" أختي "بتي" ترغب في أن أذهب لزيارتها ." أعلنت "حنا" ذلك عندما دخلت

عليها "راشيل" تحمل صينية ، وكانت الساعة الواحدة . بصعوبة ، استطاعت أن تخفي تلك الوسائد من الفراش ، وفي الوقت المناسب .

"هل أخبرتك أنها تعيش على بعد حوالي نصف ساعة من هنا ؟ حسنا ، لقد اتصلت بها ، فأخبرتني أنها تحتاج إلى أن أكون بصحبتها . هذا سيسهل الأمر عليك ، أيضاً ، لن تضطري إلى العناية بي في كل خطوة أخطوها " .

-" لكن هذا لا يزعجني البتة ." قالتها "راشيل" كالمعترفة . أفلت الأمر من يد "راشيل" ، فحاولت محاولة أخيرة باستماتة :

" "حنا" ، لا تحاولي أن ..."

-"ماذا ، ياعزيزتي ؟ "، واستغرقت "حنا" في تناول الحساء متجاهلة النظرة الحزينة على وجه محدثتها . ودون انتظار لإجابتها أسرعت تقول :

"إنه لشيء رائع أن أقوم بصحبة " بتي" الآن بالذات . هل أخبرتك أن زوجها "باد" قد سافر إلى "سان فرانسيسكو" وأنه سيتغيب بها لمدة أسبوع ؟ رحلة عمل ، ولكن لأن الأعياد أصبحت على الأبواب ، لم تستطع أن تصاحبه في هذه الرحلة . إنها مرتبطة بطلبات على المخبوزات التي تقوم بإنتاجها . لقد كنا أنا و"بتي" متقاربتين دوماً ، إنها سعيدة جداً بزيارتي لها ، إني أشعر بتحسن بالفعل ."

-" سوف أكون في غاية الأنانية إن قلت أي شيء ." وضمت "راشيل" شفتيها. سوف تفتقد بشدة تلك الألفة والحرارة اللتين تنالهما من هذه العاملة المنزلية .

-"لقد أعد كل شيء " . وأشاحت "حنا" بوجهها بسعادة ، متظاهرة بأنها لم تلاحظ نظرة اليأس التي تكسو وجه "راشيل" .

" "لوك" يعلم طريقة تجهيز الرضعة لـ "جوردي"، لقد قام بهذا العمل من قبل عدة مرات . "تيريزا" عرضت أن تأتي إلى هنا من الثامنة إلى الواحدة لتكون مع "ماري" . "أنجيلا" غالبا ما تأتي حوالي الساعة الثالثة وتبقى إلى السادسة ثم تعود في الثامنة وتنام هنا طوال فترة غيابي . سوف تكونين بخير . "جوردي" نادراً ما يصحو أثناء الليل ، فلن تضطري إلى القلق من هذه الناحية. وعلى كل حال ، "لوك" عنده شاشة مراقبة لحجرة "جوردي" في حجرته ،

وسيكون بحجرة "جوردي" قبل أن يخرج الطفل نفساً آخر لصيحة ثانية .
"جوان" سوف يقوم بتوصيلي عند أختي - موفراً عليها أن تقوم هي بالرحلة .
تذكري ، يمكنك استدعائي في أي وقت بالتليفون فأكون رهن إشارتك ."
حملت "راشيل" الحقيبة لـ "حنا" . وبعد ذلك بنصف ساعة رحلت العاملة ، وتركت المنزل يبدو شبه خاو . تستطيع أن تتدبر أمرها جيداً ... طالما لا تصيبها نوبة من نوبات الحزن . كما أنها لن ترعب نفسها بتصور أسبوع كامل على هذا الوضع . واختلف الأمر في الساعة التالية مباشرة .هذه هي الطريقة التي اعتادتها دائما عندما تسوء الأوضاع في عملها كمساعدة طبية . تصادف وصول "أنجيلا" مع استيقاظ "جوردي" . كانت الفتاة على دراية تامة بالبرنامج المعد . فانهمكت مع المكنسة ، وانشغلت تماماً . كان "جوردي" يحتاج إلى تغيير ملابسه . حملته "راشيل" إلى حجرته ، فقد قررت أن تغسل له وجهه وأن تغير له الملابس أيضا .
لم يشكل الجزء الأول من المهمة أية مشكلة . ابتسم الطفل عندما بدأت تستعمل ذلك القماش الذي غمسته في الماء الدافئ . كان وضع الحفاض له شيئاً مختلفاً تماماً . فالأطفال الذين تصادف أن عنيت بهم في عملها ، نادراً ما كانوا يستعملون الحفاضات ، غالبيتهم كانوا يلفون بقماش أبيض يربط بدبوس خاص من الأمام . انهمكت "راشيل" - ولسانها بين أسنانها - واستطاعت أن تلفه به . وظنت أنها قد لفته بعناية ، حتى أوقفته فانفك اللاصق المربوط به . لحسن الحظ أن اللاصق يمكن استعماله لعدة مرات . وحاولت "راشيل" مرة ثانية . كم يكون هذا الرباط شديداً على طفل ؟
غمرتها السعادة بإنجازها هذه الخطوة ، ثم أكملت إلباسه بقية ملابسه ثم حملته إلى حجرة المعيشة ، الأمر كله ينحصر في البقاء في سكون ، والاعتياد على القيام بأعمال مختلفة عما اعتادته ، كانت تخبر نفسها بذلك .
أخرجت إحدى زجاجات الرضاعة ووضعتها في جهاز التدفئة . أمسك "جوردي" برقبتها . كان هذا الإحساس بالسعادة الذي غمرها ، كان تقريباً طلقة ألم أصابت "راشيل" ، وابتسمت بحنان :

- "إنك حبيب قلبي . إني أهيم بك حباً ."
"جارية أخرى ؟"
خفق قلب "راشيل" ثم بقيت ساكنة تماماً . ووقف "لوك" بباب الحجرة يرقبها . وتوقف الزمن لدقيقة ، شعرت بانفصالها عن الوجود كله ، لقد كانوا يعيدون نفس المشهد العائلي ، من زمان آخر ، وحياة أخرى .
- "هل أنت بحاجة إلى أية مساعدة ؟" كان قريباً منها لدرجة أنها لم تستطع أن تفكر ، لم تستطع أن تتنفس . الدفء الذي انبعث منه يدعو إلى اللمس . الشعر البادي من فتحة قميصه كان يزعجها ويربكها .
- "لا إنه بخير ." وأشاحت "راشيل" بوجهها للجهة الأخرى ، لتتناول زجاجة الرضاعة . اقترب "جوردي" كعادته من الزجاجة . وعادت الابتسامة تعلو وجه "راشيل" عندما بدأت تواصل هز كرسيها الهزاز ، محتضنة الطفل بين ذراعيها..
كان "جوردي" كمن اعتقد أن وقت التغذية قد أصبح وقتا للألعاب الرياضية. عندما تركز تفكيرها في الطفل يتلاشى كل ما يدور حولها .
توجه "لوك" إلى دولاب المطبخ ، أخذ فنجانين ، ووضع الإناء في السخان .
- "هل ترغبين في بعض الشاي ؟"
أسبوع واحد هنا ، واختفى تل البن الذي كان موجوداً .
- "نعم من فضلك . كيف حال العمل ؟" انحدرت عينا "لوك" إلى شعر الطفل الأسود الفاحم وقد تسلل إلى صدرها .
- "بخير . سأنتهي منه في منتصف الليل تقريباً . غداً يمكنني أن أعينك في رعاية "جوردي." وصب الماء المغلي فوق أكياس الشاي . ولأول مرة تلاحظ "راشيل" تلك الخطوط التي تحيط عينيه .
- "لا تقلق علينا . نحن بخير معاً ."
- "إني أرى ذلك بوضوح." كانت عينا "جوردي" مثبتتين على "راشيل" وهو يشرب رضعته . ونظرت "راشيل" إليه فشعرت أن الرقة الفياضة تلك تضيء كيانها كله. أخذ "لوك" يرشف الشاي مستمتعا بالمشاهدة . كان المشهد كفيلا

بجعل الرجل القوي يجثو على ركبتيه احتراماً لما يرى . أخذ يقاوم الرغبة في أن يضمهما سوياً ويحتضنهما قريباً من قلبه . لقد حدث الأمر سريعاً . "راشيل" تحاول إعادة اكتشاف كل شيء . عن نفسها . عن الحياة . حركة واحدة خطأ من جهته فيسقط كل شيء ، ولا تجد الشجاعة ثانية لتعود لذلك . عليه بالصبر . هذه أول مرة يحدث له ما يحدث ، هذا الانتظار من أجل امرأة ، لكنه كان يريد أكثر من المألوف مع "راشيل" .

- " يمكنك ترك فنجاني على الطاولة ، إذا سمحت . " أعاده صوتها إلى الوقت الحاضر فانصرف آخذا معه فنجانه ، وعاد إلى حجرة عمله .

أخذت "راشيل" تلاعب "جوردي" على أرضية حجرة المعيشة ، لعبة التقاط الأشياء والدمى . بعد فترة وضعته في الكرسي ذي العدادات والخرزات البلاستيكية ، مذكرة نفسها أنه قد يتدحرج أثناء وقوفه على الأرض ، فيصاب بأذى . بالأمس ، أخبرتها "حنا" أنه كان يقف خلف الكنبة في حجرة المعيشة ، وقد أصابها ذلك بشبه سكتة قلبية ، عندما بحثت عنه ولم تجده أمامها . لحسن الحظ أن أجابها بكاؤه .

وجبة العشاء . عندما أخذت تفكر في الأطباق الرائعة التي كانت تضعها "حنا" أمامهم على المائدة ، أصاب ذلك "راشيل" بشيء من العصبية . عندما لم يكن هناك سواها هي وأبيها ، كانت وجبة العشاء المعتادة تتكون من الحساء المعلب والشطائر . من أن لآخر كانت تجرب أن تعد شيئاً في آنية الطبخ ، لكن هذا كان استثناء لمواهبها المحدودة . كما لم تتح لها أبداً الفرصة لتعلم الطبخ بالخارج . " م . ر . أ " . غالباً ما تقوم بتعيين أحد الطباخين المحليين لموظفيها بالموقع . بالتأكيد الأمر ليس بالغ التعقيد . "حنا" تجعله يبدو يسيراً سهلاً . بعد ساعة لم تصبح واثقة من ذلك .وبدأ "جوردي" يشعر بالملل . أخبرها صراخه بذلك . كان المطبخ قد أصبح كله فوضى . أحست "راشيل" أنها قد انتهت لتوها من ألعاب بهلوانية معقدة ، دون أن تسعد أيا من مشاهديها . كانت قد وضعت بالفرن قطعتي ريش من اللحم . إن استجابتا لما بذلته من جهد ، فستكونان وجبة العشاء . وانتهت لتوها من سلطة البطاطس التي

ستصاحبهما . أخذت تنظر هنا وهناك على الموائد والرفوف من حولها . فوضى كبيرة بالنسبة لوجبة واحدة . وبدأ "جوردي" يتعالى بكاؤه ، ستؤجل مؤقتاً فكرة تنظيف المطبخ ، رفعته "راشيل" إليها واحتضنته . كان الطفل يتبول . "أوه يا عزيزي !" دون شك فإن مهاراتها في تغيير وإحكام الحفاضات تماثل مهاراتها في أعمال المطبخ . بدا "جوردي" كالموافق على ذلك . وأشاح برأسه بعيداً . فجأة أتى "لوك" ، جاء ليساعدها على إسكات الطفل . أدخل ذراعه أسفل "جوردي" يتحسسه ، ثم أخذ ينظر إلى معصمه المبتل ، لكن كل ما قاله :

- " سأضع أنا له الحفاض . هلا حركت قدمك قليلاً ؟ "

وذهب به قبل أن تخبره أنها كانت بسبيلها للتغيير لـ "جوردي" . ليس أنها كانت تريد ذلك . تلك الحفاضات بدأت تشعرها أنها لا يمكن أن تحكمها بطريقة صحيحة . بدت الحياة فجأة في غاية الصعوبة . وبدأ الإحساس بالإخفاق يغمر "راشيل" . رائحة احتراق جعلتها تهرع إلى الفرن . أمسكت بقفاز المطبخ ، دون أن تزعج نفسها بأن تدخل يدها فيه ، وأخرجت الصينية . "أواه ! "

لقد مست النار بأعلى الفرن . ألقت الصينية على الطاولة ، وجرت إلى الصنبور ، تركت يدها تحت الماء البارد . من خلفها ، كان هناك قطعتان متفحمتان ترقدان في "الصينية" ، التي أصبحت تحتاج إلى شهر كامل للتنظيف ، حتى تعود إلى درجة النظافة التي تقبلها "حنا" . لابد أنها قد رفعت حرارة الفرن بدرجة كبيرة . فرت دمعتان ، وانحدرتا على وجهها . ألقت بقطعتي الريش مع القمامة ، ووضعت الصينية ، ثم أغلقت "راشيل" باب الفرن بعنف . هل يمكن عمل شطائر من سلطة البطاطس ؟

عاد "لوك" إلى المطبخ بعد أن ارتدى قميصاً نظيفاً ، والطفل تفوح منه رائحة عطرة أعادت إليه ابتساماته . تجاهل متعمداً الرائحة التي يشمها بالمطبخ ، ووجهها المضطرب . وأخرج "برطمانين" من أغذية الطفل ووضعهما في الميكروويف .

- " لقد أحرقت العشاء . " ذكرته نبرتها العالية بأحد الجراء ، يقف محاصراً

من كل جهة ، أخذ في النباح .

- " يوجد بيتزا في الفريزر ، " ثم عاد "لوك" برفق ، "سأقوم بتسخينها بمجرد أن ينتهي "جوردي" من طعامه " . ثم متجاهلاً تلك الفوضى التي تحيط به ، بدأ يطعم "جوردي" شيئاً من البازلاء واللحم ، لم يسمح لنفسه بأن يلقي نظرة على المطبخ ، إلا بعد أن سمع باب حجرة "راشيل" يغلق من خلفها .

وارتسمت نصف ابتسامة على شفتيه ، وأخذ يقول لـ "جوردي" ربما ، من غير المستحسن أن نأتيها بكتاب عن ا لطبخ ، كهدية بمناسبة الأعياد . أليس كذلك يا بطل ؟

الفصل السادس

بعد أن جهز "جوردي" للنوم ، أخذ "لوك" يوقد المدفأة في حجرة المعيشة . لا أثر لـ "راشيل" . أخذ يتساءل إن كانت قررت أخذ حمام طويل كعادتها . حيث أصبح الحمام هو التسلية الوحيدة التي تفضلها . في إحدى الأمسيات التي مضت ، وبعد العشاء مباشرة ، سألتها "حنا" إن كانت ترغب في رؤية أمسية شعبية غنائية معها . ترددت "راشيل" ، ثم قالت :

- "إن لم يكن لديك مانع ، فإني أفضل أن آخذ حماماً ."

إنه ألقى بها اليوم إلى تلك النهاية المظلمة . فقد فاجأته مرة أخرى بقابليتها تلك للمواجهة والمجابهة ، وبحالتها المعنوية الجيدة ... مما أثر فيه . لقد عرف القليل جداً من النساء اللاتي يستطعن أن يخطون مثل هذه الخطوة ، ويتحملن مسؤولية كهذه ، ودون أية مقدمات ، ودون الحاجة إلى الرقص والغناء ، كان هناك القليل من النقاط الصعبة . لانت عواطفه عندما أخذ يتذكر تعبيراتها المحبطة عندما أخرج يديه ، ووجد معصمه مبتلاً ، من تحت "جوردي" .

وهذا العشاء . لم يكن يتصور أنها قد تعتزم القيام بالطبخ أبداً . "حنا" دائماً ما تترك الفريزر مملوءا بالوجبات السابقة الطبخ والتجهيز ، وفي الواقع ، لقد كان يتحتم عليه أن يخبرها بشيء عن هذا الموضوع .

رفع "لوك" بصره ، ليجد موضوع أفكاره وتساؤلاته ، يقف بشحمه ولحمه أمام الباب . ترتدي " جيب" متعدد الألوان ، وبلوزة بيضاء ناعمة برقبة مفتوحة ، تنم عن مفاتنها . شعرها كان معقوصا إلى الخلف في جديلة واحدة ، وخصلات رقيقة من شعرها تلتصق برقبتها ، كدليل على حمام منعش لم تمر عليه لحظات . ونظرة عدم الثقة قد عادت إلى وجهها . كأنما ، لو لم يكن هنا "جوردي" أو "حنا" لتختبئ خلفهما لكانت تضيع تماماً . فلوى "لوك" فمه ثانية . ترى كم من الوقت يلزمها حتى تكتسب ثقتها من جديد ؟ .

- "هل ترغبين في شيء تشربينه . يا "راش" ؟ "

لمعت عيناها عندما وقع بصرها على كأس الشراب الذي بيده .

- " لا ... لا ، شكراً لك . "

- " تفضلي بالجلوس . البيتزا ستكون جاهزة بعد خمس دقائق . لقد اتصلت بـ"حنا" .إنها بخير . "

"إن هذا ليسرني سماعه . "

تقدمت "راشيل" داخل الحجرة ، وجلست على أحد المقاعد ، ثم التقطت إحدى الوسائد الصغيرة المتناثرة ، وضمتها بين أحضانها .

- "كم يبلغ عمر "حنا" ؟ "

-"سبعين عاماً . "

- " إنها تبدو في حوالي الخمسين ، فلديها قدر كبير من الطاقة والنشاط . إنها تجعل كل شيء يبدو سهلاً يسيراً . " و لم تذهب مسحة الحزن من وجه "لوك" .

- " لقد قمت بجهد رائع اليوم . " .

وغمر وجهها لون أحمر ، فأعجبه ذلك . أخذ يفكر ، من المؤكد أنها تعلم ، كم هي جيدة وطيبة . لو كانت الطريقة التي تنجز بها كل شيء مؤشرا لأسلوب عملها لوجب القول لها إنها تساوي وزنها ذهبا ، أخذ يتأملها ، وهي تشبك أصابعها سوياً، ثم قال :

" لقد كنت رائعة مع "جوردي" . أنا مسرور للغاية ، للطريقة التي انجذب بها إليك . لقد بدأ يتعرف على الناس ، ويرهب الأغراب بعد دقائق معدودة ، لكنني في كل مرة كنت أنظر فيها إليكما معاً ، لقد أصبحت مألوفة جداً لديه . لم أكن أتوقع أن أتم كل ما قمت به من عمل اليوم ، أشكرك يا "راش" . "

أدارت وجهها سريعاً ، فرأى انعكاسات نار المدفأة تلمع على حبات دموعها . مال "لوك" إلى الأمام ، آخذاً في التقرب منها . أراد أن يصل إليها . لا يستطيع أن ينكر تلك الراحة التي يريد أن يهبها إياها ، أكثر من ذلك . وفجأة رن جهاز التنبيه بالموقد الذي في المطبخ ، فهبت واقفة :

-"سأجهز المائدة . "

عندما رأى إسراعها بالخروج ، أدرك أن ذلك الجو المشحون بينهما ، يجعلها في حالة ارتباك تام .

-"دعينا نأكل ها هنا . سيكون أفضل هنا بجوار النيران . "منادياً عليها . توقفت " راشيل " ونظرت من فوق كتفها إلى الخلف . سيكون أفضل بالفعل بجوار النيران أفضل كثيرا . وارتفعت نبضات قلبها ، حتى صارت كدقات الطبول . كان "لوك" يبدو مختلفاً هذا المساء . كان بنطلونه الجينز ، وقميصه الأزرق الناعم ، يبدوان كما لو التصقا بجسده . جلست على الأرض ، وامتدت ساقاها الطويلتان أمامه ، في حين بدا هو مسترخياً تماماً . تلمع النيران على وجهه ، تصبغ خطوطه القوية بلون الذهب ، عيناه مثبتتان بتركيز ، نظراتهما تخيفها ، وتثيرها .

لابد أنها تلك النيران ، هي التي تبعث في الجو تلك الإثارة ، تصبغ لون الحجرة بالفتنة والغموض . ذلك اللهيب البرتقالي بلون الأحجار الرمادية ، يحيلها إلى لون ثالث غريب ، فتصطبغ الحجرة كلها بانعكاساته .

عندما وضع "لوك" يده على كتفها ، جعلها ذلك تقفز من مكانها . كان صوته الأمر لها ، به من القوة بقدر ما به من نعومة وحنو :

-" اجلسي . استرخي . سأقوم أنا بالباقي . "

لقد لمسها البعض من قبل . كثيراً . لكن أقل لمسة ، أو احتكاك ، مع هذا الرجل تبعث فيها تياراً كهربائياً ، يتركها غائبة عن الوعي . دفنت "راشيل" رأسها في الوسادة الصغيرة التي كانت تمسك بها ، رفضت أن تنظر إليه عندما عاد يحمل الأكواب ، فوضعها ثم ذهب ثانية لإحضار البيتزا .

جلس "لوك" على الأرض قبالتها ، وتناول قطعة البيتزا التي قدمتها له ، انهمك في الأكل بعد أن تجاهلها تماماً وهي تقوم بالتقطيع لتقدمها له .

-" إنها لذيذة الطعم . "

لكن نبراته التي اصطبغت بالرضا البادي ، لم تحدث أي استجابة منها . تظاهرت "راشيل" بالاستغراق في مراقبة النيران ، بينما كان كل عصب ينبض في جسدها ، يتراقص جذلا ، لاهتمام "لوك" بها . مد يده ليأخذ زجاجة الفلفل الحار ، واحتك ذراعه بها ، متمسحاً ببشرتها .

-" هل تعجبك البيتزا ؟ "

كان "لوك" يتساءل عما حدث الآن . لو كان هذا الصمت طبيعياً ، لنحاه جانباً، وما فكر فيه . لكنه لم يكن كذلك ... يبدو عليها التوتر واضحاً ... غير مريح كشيء خشن يعلق بالبشرة فيضايقها .

-"إني لم أذق البيتزا منذ زمن طويل ، لكن طعمها رائع ."

كانت تلعب بقطعة البيتزا بين يديها ، وانسياب لعابها داخل فمها يعوق كلماتها.

-" إن لم ترق لك ، فقط قولي لي ، يمكنني أن أجهز لك عجة بيض ."

ووضع "لوك" يده على يدها يمنعها أن تقضم من القطعة التي بيدها . لكن صرخة الألم التي انبعثت منها ، آلمته بقدر ما آلمتها .

-" ماذا بك ؟ "

كانت "راشيل" تضع يدها إلى الوراء ، خلف ظهرها . بدت كالأطفال ، تنطق عيناها المستديرتان بالإحساس بالخوف والذنب معاً .

بدا "جوردي" هكذا تماماً ، عندما وجد يعبث - ذات مرة - بما هو غير مسموح له العبث به . برقة ، رفع "لوك" ذراعها ، وأخذ يتطلع إلى يدها . كان صوت أنفاسه يعلو ، ويملأ السكون الذي يحيط بهما . ثلاثة حروق بلون بنفسجي تؤذي تلك البشرة الناعمة لظهر يدها .

-"متى حدث ذلك ؟ "

كانت يدها تبدو كأنما تحاول التملص من يده ، كما لو كانت تحاول أن تقلل الاحتكاك به .

-" اليوم ، مبكراً " ، وبدأت النبرة الحادة تعود إلى صوتها :

-" إنه لا شيء . لم أعر ذلك اهتماما ."

لماذا - بحق السماء - تبدو كالحيوان المذعور ؟

-" إنه الفرن " .

وأصلح لها "لوك" ما قالت :

-" بل وجبة العشاء . هكذا احترقت يداك ، أليس كذلك ؟ "

-"نعم . إنه لا شيء ."

ثم قالت "راشيل" بسرعة :

"إنني ، فقط ، لم أعتد استعمال الفرن .لقد كانت حماقة مني ."

وهو الذي كان يعتقد أنها تستطيع أن تقوم بكل شيء . فأخذ يركز همه في إتمام ما وراءه من أعمال .

-" هل وضعت شيئاً عليها ؟ "

-" لقد أجريت عليها بعض الماء البارد . "

-"لهذا لم ينتفخ مكان الحروق ، على ما أعتقد ، لكنك بحاجة إلى شيء يقلل من الإحساس بالألم ."

واختفى في الحمام ، ثم عاد يحمل أنبوباً . وضع راحتها في يده ، وراح يدهن المرهم على منطقة الحرق . أخذت "راشيل" تنظر إلى يدها . كانت تضيع داخل كف "لوك" العريض . لكن ، مع حجمها الكبير هذا كانت لمساته في غاية الرقة . كانت تقاوم الرغبة في أن تجذب كفه ، وأن تدفن وجهها فيها .

-"دعي "تيريزا" تعد وجبات العشاء بعد ذلك ."

كيف يتركها وحدها تعد وجبة العشاء ؟ كان من واجبه أن يشير إلى وجود هذه البيتزا في وقت مبكر . ولم يشعر "لوك" ، بأن الغضب الذي بدأ يحس به ، قدانعكس على صوته .

-" حسنا . إنني أعتذر عن حماقتي ." نبرة الانكسار التي بدت في صوتها، نبهته ، جعلته يرفع رأسه . كان ذقنها يرتجف ، لكنها حتماً لم تكن قد انتهت مما كانت تريد قوله . ضحكتها ، كانت تعني افتراض أنه يرفض ما فعله ، كانت تؤلم كما يؤلم الكحول عندما يصب على الجرح .

" إني أبدو كالبلهاء في المطبخ . كما أظن أني قد أفسدت أيضا إحدى قدور الطهو . سيكون من الأفضل ألا أحاول بعد ذلك استعراض مهاراتي في المطبخ على حسابك الخاص ."

أخذ "لوك" ينظر إلى رأسها المطأطأ لأسفل . كان الوضع أسهل عليه هكذا ، من أن ترى نظرة الرعب التي تبدو في عينيه .

من ، أو ما الذي جعل "راشيل" بهذا التعقيد الداخلي ؟

لقد كان يجهز لتوه ، أحد الخيول الأصيلة التي لديه ، ليسلمه للشخص المسؤول عن حراستها وأمنها .

-"اللعنة. إني لم أشر مطلقاً إلى حسابي الخاص أو أية مصاريف، أيا كانت ." ثم أكمل مسرعاً ، "إني أهتم فقط بسلامتك ."

ولم يستطع "لوك" أن يخفي نبرة الحزن و الألم في صوته . في لحظة ما ، الآن سيبدأ في اليأس من إقناعها بالكلمات ، سيبدأ في تقبيل تلك الأحاسيس التي بداخلها .

" يمكنك إحراق أي من قدور الطهو بالمطبخ ، إن كان هذا يرضيك ، لكن إن أصابك – بعد ذلك – أي أذى ، أريد أن أعلم في الحال . مفهوم ؟ "

ورفعت يده ذقنها إلى أعلى . كانت عيناها تلمعان ، بدت عينا "راشيل" أمام النيران مستغرقة بعمق ، في كل الاحتمالات في كل ما قد يتفوه به "لوك" . إن حديثه لغريب حقاً ، كما لو كان من حقه أن يقول ما قاله الآن ... كما لو أنه يهتم بها . دمعة وحيدة أفلتت تلقفتها كف "لوك" ، مسحتها . تحركت ذقن "راشيل" لأعلى ، لكنها احتضنت نظراته .

-" أخشى أني لا أصلح لأي شيء ، سوى مساعدة طبية ."

أجاب بسرعة :

-"لا يوجد إنسان كامل ، أراهن أنه لا أحد منا هنا في "ديامونـد بار" ، يستطيع أن يؤدي نوع العمل الذي تعتبرين أنت خبيرة فيه . لطالما رأيت رجالاً أقوياء ، يتهاوون لمرأى الدماء ."

وابتسمت وبدا في عينيها أنه لم يكن من حقه أن يقول ما قاله . بدأت تشعر أنه قد بدأ يصبح لطيفاً معها ، هل يمكن هذا ؟ ولأول مرة في حياته ، شعر "لوك" بالمعنى الحقيقي لأن يكون المرء منهكا .

لفهما الصمت ، وبدأت "راشيل" تشعر أن الزمن قد توقف ، كما لو كان ينتظر شيئاً مهما .

ترى هل سيحاضرها "لوك" عن مسؤولياتها تجاه نفسها ؟ إن الرجل لديه الكثير من الأعمال ، غير رعايتها والاهتمام بها .

لقد أرتها "حنا" مكان رف الأدوية والإسعافات الأولية . كان من واجبها ، أن تتوجه إليه من فورها ، لتأخذ ما تداوي يدها به ، بدلا من أن تظهر نفسها في صورة امرأة معدومة الحيلة .

وأخذ "لوك" يحتضن وجهها ، بين كفيه الدافئتين ، سارحاً في النظر إليها ، فنظرت إليه .

-" اسمعيني يا "راش" ،" قالها بجدية " ، لست مضطرة إلى أن تثبتي أي شيء، لأي مخلوق هنا . بما فيهم أنا نفسي. لسنا نتوقع امرأة سوبر . إننا نحبك كما أنت ."

تراجع العالم كله ، بما ملأ به أحاسيسها . كانت لمسة شفتيه ، في البداية ، كفراشة رقيقة ، تتمسح بها .

تمسحت بصدره المفتول ، تمسكت به ، كما لو كانت ، أخيراً ، عادت إلى الديار.

مر الوقت ، ولم يشعر به أحد . لم تسمع "راشيل" تلك الطرقة الخفيفة على الباب . كانت تغوص في إحساسها بما حدث منذ قليل ... فلم تكن تلك الأحاسيس بغريبة عليها ، لقد قبلها "لوك" من قبل . احتضنها، فوجدت الأمان والسلام . كانت تعاني الإحباط ، عندما انتحى "لوك" عنهاأخيراً . أثار صوت انفتاح الباب اهتمامها . دخلت "أنجيلا" من الباب يتبعها أبوها .

-" إن الحرارة تنخفض بسرعة ."

كانت "راشيل" ممتنة ، للطريقة التي وقف بها "لوك" ، حائلا بينها وبين "جوان" و "أنجيلا" ، ليعطيها الفرصة أن تصلح من أمر نفسها . كان "جوان" يتحدث عن الروماتيزم الذي بدأ يعاود الاشتداد على "تيريزا" ، مما يعني أن الجو قد صار قارس البرودة . اصطحبتها "أنجيلا" وهي تحمل لها حقيبتها إلى حجرة الضيوف .

-" ألا ترغبان في شيء من البيتزا ؟ " قالتها "راشيل" والخجل يعتريها .

-" لا ، شكراً لك . لقد أكلنا لتونا . ربما ، في أمسية تالية تلبيان دعوتنا أنت و"لوك" لتناول شيء من الفطائر المحشوة ، "ماري" ستبقى مع "جوردي" ."

-" مارأيك ، هل أتي بطفاية الحريق معي ؟ " وابتسمت إلى "جوان" . شيء ما في مدير المزرعة يذكرها بـ "توم أنويل" . دافئ ، صديق ، متفهم . وأرجع "جوان" رأسه للوراء مقهقهاً :

-"أرى أن "حنا" قد حذرتك منا ، إنها لن تنسى حينما أحضرنا لها إحدى أنواع الفطائر التي نصنعها ، وكانت مملوءة بالفلفل الحار ."

ثم استدار إلى "لوك" :

" كان هذا فور زواجها بـ"كارلوس" . أخذت "حنا" تصر على أنها تحب الأطعمة الحريفة . فأخذت "تيريزا" كلمتها مأخذ الجد، وقامت بإعداد وجبة خاصة لهما . وبعد قضمة واحدة ، ظنا أن النيران سوف تشتعل بـ"حنا" ."

وتوقف "جوان" ثانية ، ثم واصل كلامه :

"لا تخشي شيئاً ، سوف نعد فطائر غير حارة ، من أجلك ."

-"إن هذا ليسعدني ."

-"إن وجدت الوقت ، فلا تترددي ."

ثم استدار جهة "لوك" وقد شاب نبراته شبه اعتذار :

"هل يمكننا أن نتحدث قليلاً بشأن "دياموند برايد" ، السيد" كالاهان" اتصل ثانية في الخامسة مساء . إنه متلهف على إنهاء الإجراءات ."

-"تعال إلى المكتب . بعد إذنكم ، " ثم وجه "لوك" كلامه إلى "راشيل" ،"لن يستغرق الأمر طويلاً ."

عندما سمعت "راشيل" صوت إغلاق باب غرفة العمل ، دبت في أوصالها الحركة. فرفعت طبقها ، وأخذت تراقب الفتاة التي شرعت تفتح التليفزيون :

-" إني ذاهبة إلى الفراش الآن . لقد كان اليوم طويلاً . تصبحين على خير ."

-" تصبحين على خير" .

كان صوت "أنجيلا" غائباً عن أن تسمعه ، سرحت مع خيالاتها ، راحت تتخيل امرأة ترتدي زي المساء ، تصرخ ، تطالب بحريتها . صفقت "راشيل" باب حجرتها ، ثم راحت تستند عليه بظهرها . "لوك" . لقد لامست شفتيه . لقد قبلها، احتضنها كما لو كان هذا يعني شيئاً مهما . هل كان هذا محض خيال

كضوء القمر الذي يتسلل إلى فراشها ، أم أن تلك اللحظات كانت تعني له شيئاً حقاً ؟

طوال الأسبوع الذي قضته هنا ، تعلمت "راشيل" أن "لوك" ليس بالرجل الذي يقول أو يفعل شيئاً ، ولا يعنيه . شعرت بالنوم يرخي جفونها ، وبالسعادة تملأ قلبها .

* * *

استيقظت في الثامنة ، على رائحة مقانق يتم تحميرها . قفزت من الفراش ، وارتدت "راشيل" ذلك الثوب السميك الذي اشتراه "لوك" لها ، ثم اندفعت نحو المطبخ . كان "جوردي" جالساً على مقعده العالي ، ممسكاً بملعقة يلعب بها . وكان "لوك" يقف أمام الغلاية . كان يرتدي "سويتر" قد أغلق بإحكام على الجزء العلوي من جسده ، بلونين ، البني والكريم . وكان يرتدي بنطلوناً سميكاً بلون الكريم أيضاً . أدركت "راشيل" أنه يجهز شيئاً انشغل بطبخه .

-" صباح الخير . هل نمت جيداً ."

أخذت عيناه تتفحصها بعناية من رأسها حتى أخمص قدميها . زاد إفراز الادرينالين في أوصال "راشيل" ، فأفاقت تماماً .

أخذ "جوردي" يخبط بالملعقة على الصينية التي أمامه ، فأخذت تقبله ، سعيدة أن وجدت عذراً تخفي وجهها وراءه .

-"لقد طال نومي أكثر من اللازم ."

اعترفت برقة ثم أكملت ، "كان من الواجب أن توقظني ."

-"لماذا ؟"

كان "لوك" يسألها ، كأنما يقرر أمراً واقعاً :

-" لقد كنت بحاجة إلى النوم . أنا و "جوردي" ، دائما ما نتقاسم ساعات الصباح الأولى ."

هل يمكن أن تحجز لنفسها مكاناً في ساعات الليل ؟ صدمت الفكرة "راشيل"، جمدتها تماماً . فرفعت يدها ، ووضعتها على رأسها .

-" "راشيل" ؟ هل هناك ما يزعجك ؟"

تحرك نحوها ، فابتعدت مسرعة ، جعلت "جوردي" وكرسيه العالي حائلاً بينهما

-" لا . لا يزعجني شيء . " قالتها ، ثم أفلتت يدها برفق من يد "جوردي" ، الذي كان يمسك بأصبعها ، وأعطته ملعقته الفضية بدلا من يدها .

أعتقد ، أنني سأذهب لأخذ حمام في الحال .لن أتغيب طويلاً ."

ووضعت يدها على رأسها ثانية ، وهي في طريقها إلى الحمام .

هل هي مجنونة ؟

ما يدور بخيالاتها نحو "لوك" ، كان يشبه الإقدام نحو تمساح يربض تحت الماء. تحت الدش أخذت تفكر في الرجال الذين صادفتهم في حياتها . في مرات محدودة ، كانت تتلقى تلميحات من رجال يعانون الوحدة ، عندما كانت خارج البلاد . أو يرغبون في نسيان المآسي التي كانوا يرونها ، ويتفاعلون بها . أو من رجال كانوا فقط متعطشين لجسد أية امرأة . ولم تقبل أيا من هذه التلميحات ، لأن أيا منها لم يلمس روحها .

أخذت "راشيل" تنثر شعرها ، تحاول أن تغسل أفكارها نحو "لوك" ، تحاول أن تزيلها . ولأول مرة منذ أمد بعيد ، لا يسيطر عقلها على أحاسيس جسدها . أن تترك قبلة لمست دفئاً بداخلها.. هذا شيء ، أما أن ترغب في أن تلقي بنفسها بين أحضانه كلما رأته ينظر نحوها ، فهو ما تتعجب له تماماً .

لا تستطيع أن تفهم لماذا يحدث لها ما يحدث الآن . لقد تعقدت الأمور بالفعل، بما فيه الكفاية .

مالت برأسها وجعلت "راشيل" الماء ينصب عليها ليزيل تلك الرغوة التي تكونت بفعل الصابون . كانت تأمل أن يزيل ما يدور بخلدها ، من انفعالات غريبة ، ومن أحاسيس .

الفصل السابع

-" سوف نقوم اليوم باقتلاع إحدى الأشجار ."

قالها "لوك" وهما بسبيلهما إلى تناول وجبة الفطور . كاد مظهر الإحساس بالحماية والأمان البادي على صفحة وجه "راشيل" المنتعش المغسول ، وتلك الشفاه الوردية بلا أحمر شفاه أن يذهب بعقل "لوك" في الليلة الماضية، استجابت له كما تستجيب الفراشة لضوء النيران . أما هذا الصباح ، وقد غادرت فراشها لتوها ، فهي تبدو فاتنة لأقصى حد . لو لم تتحرك سريعاً ، لو لم تفعل ، لقبلها مرة أخرى .

لم تكن "راشيل كارستيرز" تمتلك ملكة المراوغة والتسليم بحساب ، قطرة قطرة . لقد شعر منها بالاستسلام والتسليم المطلق في قبلاتها . والآن ، كانت مستعدة للبقية استعداد "جوردي" لقطعة لحم شهية .

كان عليه أن يرى أنها لم تتخلص من التفكير في ذلك بعد .

رفعت "راشيل" رأسها إليه : " شجرة ؟ شجرة أعياد الميلاد ؟"

أوضح "لوك":

-" كان "كريس" و "روب" يرغبان في أن يكون عيد الميلاد الأول في حياة "جوردي" شيئاً مميزاً . سنضع شجرة وأنواراً ولكن ليس كالحفلات المعتادة . أبي عمل بنصيحتي وحجز في إحدى الرحلات البحرية أثناء العطلة . إنه شيء يسعده وقد يعينه على اجتياز تلك المرحلة . لقد عرض أن يأتي لزيارتنا ، لكن حالته ستسوء إن فعل . أنا أخبرته أننا سنقوم بزيارته في "أريزونا" بمجرد عودته حين يحل موعد العام الجديد ."

عندما استعمل "لوك" – إننا – هل كان لسياق الحديث ، أم أنه يضمنها في كلامه ؟ رعشة برودة خفضت من نظرات "راشيل" فجعلتها تنظر لأسفل ، وارتعشت عندما تذكرت قبلة الأمس . هل كان ما حدث مجرد تجربة ، أم كان شيئاً جاداً .

سهاد ، تساؤل حتى منتصف الليل ، لم يشف أي من هذا "راشيل" فيجيب

على تساؤلاتها .

-"هل يمكنك الاستعداد لترحل بعد ساعة ؟"

إيماءة عينيه أخبرتها أنها تحلم وهي مستيقظة أمامه ، وأحست "راشيل" بالدم يندفع فيدفئ صفحة وجهها .

" سوف نأخذ معنا بعض الأطعمة الخفيفة للغداء ، على أن نعود في الرابعة ."

-" وماذا عن أعمالك ؟"

فجأة ، أصبح اليوم أشبه بقوس قزح ، وألوانه . رحلة غداء في الهواء الطلق بصحبة "لوك" .

انتابت أفكارها رجفة . كانت تريد أن تذهب . وكانت لا تريد .

-" كل شيء معد . جهزت إناء حفظ الماء الساخن من الثالثة صباحاً ، وبعثت برسائلي عن طريق الكمبيوتر إلى العمل . كما أني غير مرتبط بشيء بقية الأسبوع لأعينك على رعاية "جوردي" ."

لم تكن "راشيل" على ثقة في أن عدم ارتباطه بشيء كان نبأ سعيداً على أية حال . "تيريزا" ، زوجة "جوان" ، جاءت كعادتها في الثامنة . "ديفيد" ، صغيرها ، تحسنت حالته اليوم فذهب إلى المدرسة .

-" إنه يحب أن يخطو خلال جدول الماء الموجود بالقرب من الدار . وقد كان الطقس في غاية البرودة مؤخراً ."

أخبرت كلا منهما ، ثم أخذت ترفع "جوردي" إليها لتحتضنه وتقبله .

-"لابد أنه قد أصيب بالبرد ."

أنبأها "لوك" عن رحلتهم من أجل قطع الشجرة ، فأومأت برأسها .

-" إنه ليوم جميل حقاً للخروج والانطلاق . يقال إن الحرارة ارتفعت اليوم . لا تخشي شيئاً . سنقوم أنا و "ماري" بكل شيء هنا ."

-"أستطيع أن أبقى ..."

عارضت "راشيل" وقد فوجئت بتلك المعارضة التي صدرت عنها .

-" بالتأكيد لا ."

قالتها "تيريزا" بدهشة .

-"إنك بحاجة إلى الخروج إلى الهواء النقي . "ماري" ستكون هنا في التاسعة ، وهذه هي فرصتي الوحيدة للانفراد بـ "جوردي" ."

عندما استعدا للرحيل ، التقط "لوك" سلة الغذاء من فوق المائدة . متى وجد الوقت ليجهز ما جهز ؟ هل كان يطعم "جوردي" فطوره ، بينما يجهز هذا الغداء لهم ؟ ولم تفته تلك النظرة الحنون التي ألقتها "راشيل" على "جوردي" في حين بدا الأخير متلهفا عليهم عند الرحيل .

أدرك الطفل ذو الشهور العشرة أنهما سيتركانه خلفهما ويذهبان .

-" لا تخافي ، "أكد لها " لوك" ، وهو يحتضن "جوردي" ويقبل خده ،

-" فهذه هي دموع التماسيح . إنها لا تدوم لدقيقتين . إنه يحب "تيريزا" ."

-"ربما وجب علي أن أبقى ؟ فإن الروماتيزم الذي أصاب "تيريزا" ..."

-"إنها بخير،"

قاطعها "لوك" بجدية ، "لقد سألتها عنه فقالت إنها ستكون بخير مع "ماري" . لقد اتصلت "حنا" عندما كنت بالحمام واقترحت أن نقوم بتسييح أحد أواني الطعام التي جمدتها لنا في الفريزر للعشاء . ليس هناك ما يجب على "تيريزا" أن تفعله سوى مراقبة "جوردي" ."

ولف ذراعه حول كتفي "راشيل" ثم أدارها تجاه الباب .

-"إنك تستحقين يوما إجازة بعد كل ما حدث لك بالأمس . هيا بنا ."

لم يسمح لها بحمل البلطة ولا سلة الغذاء . وبصعوبة استطاعت أن تحمل عنه المفرش ، فاحتضنته وضمته إليها . وبرغم ذلك لم تنطفئ شعلة الإثارة بداخلها ، تلك التي كانت تشعرها أنها توشك على القفز من ارتفاع شاهق . بعد نصف ساعة كانوا وسط تلك الغابة الصغيرة . توقف "لوك" قليلاً وأخذ يدرس المكان من حوله ثم أخذ نفساً عميقاً ، وحذت "راشيل" حذوه . إن التلال تضفي مظهراً رائعاً اليوم .

-" حاذري في خطواتك" ، حذرها "لوك" ، "فهذا المنحدر يزداد عمقاً ، وتلك الأزهار والنباتات تغطيه فلا يكاد المرء يراه ."

نظرت "راشيل" أمامها . كان الطريق ينحدر فجأة ثم يختفي عن ناظريها .

فبللت من شفتيها وتراجعت .

-"هل تخافين المرتفعات ؟ "

-"لا . ليس هذا هو السبب . "

كانت خائفة لتوها ، لفترة . خائفة مما تحس به وتشعر ، من هذه الأحاسيس التي تهدم سيطرتها القوية على نفسها ، التي طالما اعتمدت عليها . إن الطريق الذي بدا أمامه يشبه ذلك المستقبل المجهول الذي ينتظرها ، عندما تفقد تلك السيطرة القوية على نفسها وفقدانها لتلك السيطرة ، تعني أن تعيش بقية حياتها عرضة للآلام .

-"دعينا نواصل طريقنا إذن ، وإلا فلن نعود قبل حلول الظلام . "

وأبطأ "لوك" ينتظرها ، كان يتوقف من آن إلى آخر حتى تشاهد تلك المناظر التي تحيط بهما ، وحتى تلتقط أنفاسها .

وعندما بلغا الوادي الأخضر المتسع ، رفعت "راشيل" ناظريها إلى الشمس .

-"الساعة الحادية عشرة ، " أعلنت ثم أضافت :

" لقد استغرق وصولنا إلى هنا حوالي الساعة إلا الربع . لقد ظننت أننا سنستغرق أطول من ذلك . "

نظر "لوك" إلى ساعته دهشاً ثم قال :

-" إنك على حق . أين تعلمت معرفة الوقت بهذه الكيفية ؟ " لطالما أخذ "لوك" ينظر إلى معصمها الدقيق، ولم يكن ذلك ليعرف إن كانت تقتني ساعة يد من عدمه.

- " في الخارج ." وابتسمت " راشيل" وهي تتذكر .

" أحد الطباخين في المعسكر الرئيسي" م. ر. أ " كان يجهز وجبته في الموعد بالضبط. . وأخبرني كيف أعلم الوقت من موقع الشمس في السماء ."

وأخذ " لوك " المفرش من يدها، ثم فرشه على البساط الأخضر، جلست "راشيل" وهي تشبك قدميها ، بينما عمد هو إلى إخراج ما بالسلة .

- " إنك حقاً تحبين عملك . أليس كذلك ؟ " ما إن تشرع في الحديث عن حياتها بالخارج حتى يكتسي وجهها بتلك النعومة المحببة .

-" نعم " ، وأخذت عيناها مظهراً جاداً ، كما لو كانت تشاهد صوراً شخصية لها، لايجوز له الاطلاع عليها . " للغاية " .

-" وما الذي جعلك تقررين الذهاب إلى أماكن بعيدة كهذه ؟ لقد كنت طفلة عندما شرعت في الرحيل ، ولاشك ."

-" ثمانية عشر عاماً ." قالتها "راشيل" متفكرة ، أخذت تلعب بلسانها ، كأنها تلوك شيئاً في فمها . لم تجب على الجزء الأول من تساؤلاته .

-" لم ذهبت ، يا "راش" ؟ " أصر " لوك " بعد أن انتظر لبرهة .

" إن كل من في الثامنة عشرة يفكرون في الجامعة ، الوظائف ، المتعة ، السيارات السريعة، التواعد ، الملابس .." لقد بلغت الثامنة من عمرها يوم وفاة أمها ،

-" لقد ملت إلى هذه الوظيفة. أحسست أن هناك من هم بحاجة إليّ . "

إذن ، هذا هو السبب، هذا هو ما بداخل القوقعة، لكنه كان يريد المزيد .

- " ألم تكن هناك معارضة من والديك ؟ إني أتذكر أن " كريس" ذكرت أنك كنت الابنة الوحيدة لهما ."

وكأن سحابة باردة أخذت تتحرك في تلك العيون الرمادية التي أخذت تتوغل في الماضي ، وأحس "لوك" بشوق لمعرفة المزيد .

كان في استطاعته مما يراه عندما ينظر إليها ، أن يعرف أن أسرتها هي السبب الذي من أجله قررت الرحيل . تنحنحت ، محاولة أن يبدو صوتها عادياً

- " إن هذا ما أردت أن أقوم به . "

استدار جهة السلة ، والتقط "لوك" كعكة فواكه كانت قد أعدتها "حنا" ، لم يفك عنها قطعة الشاش التي كانت قد لفت بها ، انتظر حتى تنقشع تلك الذكريات المؤلمة التي لفت "راشيل" .

كانت تبدو أكثر حياة في هذا المكان ، تضحك من أعماق قلبها كلما حكى لها عن رواياته ومغامراته الفاشلة التي مني بها في المزرعة عبر السنين .

أخذ يتنقل بتؤدة في سرد رواياته ، دون أن يفض لفافات الطعام ، محاولاً أن يبقي على اعتدال مزاجها .

كانت هناك بعض شطائر الديك الرومي وبعض شطائر اللحم ، كما كانت هناك سلطة طازجة في أحد الأكياس البلاستيكية مع صلصة الجبن المفضلة لدى "لوك" . وقضمت "راشيل" من إحدى شطائر اللحم .

-"هم م م ، إن هذا لشهي جداً ."

-" "تيريزا" تقوم بتجهيزها فقط عندما لا تكون "حنا" موجودة . إن "حنا" متحكمة للغاية فيمن يطعم عائلتها ."

ولاحظ "لوك" أنها تبحث عن شطيرة أخرى ، فأحس بالسعادة أنه قد تمكن من اقتلاع ما كان يكدرها من متاعب الماضي التي عانتها . إنها بالفعل تبدو مختلفة عن تلك المرأة التي رآها خارج قاعة المحكمة .

كانت لا تتناول طعامها تلك الأيام ، أما الآن فقد اصطبغ وجهها بالصحة .

ابتسمت بارتياح ، ذهبت عنها حالة الفأرة المذعورة تنتظر عقاب النمر .

-" من الواضح أنك لا تحبين السلطة . أليس كذلك ؟ "

سألها وهو يقضم أوراق الخس الطازجة وشرائح الطماطم المغموسة في صلصة الجبن . توقفت يد "راشيل" وهي تحمل الشطيرة في طريقها إلى فمها :

-" ليس الأمر أني لا أحب السلطة . فالأمر هو أننا لم نعتد على أكل الخضراوات الطازجة بالخارج . لقد كنت لا آكل سوى الخضراوات المطهوة ."

وما أن انتهت من شطيرة اللحم حتى أخذت شطيرة من الديك الرومي ، أخذ "لوك" يتطلع إليها .

كانت عيناها مثبتتين على كعكة الفواكه .

-" ليست هذه الكعكة من صنع "حنا" . أليس كذلك ؟ " سألته .

-" بل إنها من صنع يديها ."

-" لقد أخبرتني "حنا" ، أن هذه الكعكات السابقة التجهيز يجب أن تبقى ملفوفة في الشاش بالفريزر لمدة شهر قبل أن تؤكل . ألن تكون غاضبة ؟ "

-" نعم، لن تكون غاضبة ، إننا دائماً ما نأخذ إحدى كعكاتها الملفوفة معنا ، في رحلاتنا لقطع الأشجار ."

ونظر إلى طبقه ، كما لو كان قد فقد شهيته فجأة .

كانت "راشيل" تعلم أنه قد أخذ يتذكر عندما كان يأتي هو وعائلته إلى هنا في الماضي . في تلك الأيام السعيدة التي قد خلت .

-" ومتى تم زراعة تلك الأشجار ؟ " ، رغبتها في إزالة هم "لوك" ، خففت عنه آلامه ، وهي تتحدث بحيائها هذا الذي أحبه .

-" منذ خمس سنوات . ونحن نقوم بزراعة منطقة جديدة كل عام . جدي الأكبر "جاسبر" أخبر ابنه – جدي "روبرت" – أن الأرض هبة من الله ، لذا لزم الحفاظ عليها لأقرب ما يكون من حالتها الأصلية .لقد أصبح إرثاً وتراثاً في عائلتنا أن نفعل ما يمكننا للحفاظ على البيئة ها هنا، أن نندمج فيها ونصبح جزءامنها ، حتى لا تتخلى عنا ."

حقيقة أن "لوك" رجل معطاء ، فهو ما كانت تدركه بالفعل . أما أنه رجل يعطي بأكثر مما يأخذ ، فهو ما قد بدأت تكتشفه لتوها .

-" إن هذه المنطقة كلها ، لجميلة حقاً ."

-"حدثيني عن عملك ، "

سألها "لوك" بشغف ، كان يريد أن يعرف المزيد عنها ، أن يتوغل داخل أفكارها ويكتشف السبب فيما صارت إليه .

-" إن عملي ليس بالشيء الكثير . إنه نوع من المساعدة الطبية ، قد يتحول أحياناً إلى الطب البيطري ."

-"حيث كنت تقومين بعمليات التوليد بنفسك ، وإعطاء الحقن ، وحتى خلع الضروس والأسنان ؟ "

رمشت عين "راشيل":

-" من أخبرك بهذا ؟ "

-"لقد سمعت كل شيء عن الحديث الذي سألك فيه "جاسون" أن تحضري الأمسية مع العمال ، يوم أن قمت بتمريض "موجو" ، الأربعاء الماضي . لقد أخبرني أنه كان اجتماعا غير عادي ."

ولما انهمكت في صب الشاي ، عاد "لوك" يتذكر مرة أخرى تلك الليلة التي حدثها عنها . لقد كان مشغولا مع حاسبه الآلي، وعندما قام يبحث عن فنجان من

الشاي، أخبرته "حنا" بمكان "راشيل" حيث ذهبت إلى تلك البقعة التي تحولت إلى فناء لترفيه العمال واجتماعهم ، وقد أدركها هو في نهاية حديثها إليهم .

- "لم يكن حديثي إليهم بالشيء الرائع ولم يكن أيضاً بالذي يكافئ ما يقومون به من مجهودات ."

ثم ملخصة كلامها :

"لكنه كان بمثابة مكافأة من نوع خاص ، أو جائزة أعطيت لهم ."

- "أيستطيع أي شخص الالتحاق بالـ "م . ر . أ" ؟"

سؤال مثل هذا ، لو وجهه شخص أصغر سناً ، لكانت الإجابة عليه بثقة "نعم ، لكن وظيفة المساعد الطبي تحتاج إلى نوع خاص من القدرة على التحمل ... القدرة النفسية والبدنية" .

كان "لوك" يعلم أنها تمتلك الكثير من كليهما . كان فقط يتساءل كيف يمكن إلحاق شابة صغيرة في هذه السن بمثل هذا العمل.

ورفع يده عالياً مرة أخرى :

"ألم تفتقدي حياتك هنا بشدة ؟"

استدارت "راشيل" إلى محدثها .

- "نعم، لم أفتقدها." قالتها بنبرة اتهام صريحة ، وفي الواقع إنها لم تكترث كثيراً إن كانت قد أجابت بقوة وحماس . الانفعالات التي رآها "لوك" على وجوه الناس ، أخبرته كيف أنها تمتلك القوة على جذب انتباههم . كان ينظر إلى وجهها يشع بانفعالاتها وأحاسيسها ، مع حب لما تقوم به من عمل ، وكيف شعر وقتها بالخوف من أن تشير إليه أصابع اتهاماتها . هل ما يقدمه لها ، يعد كافياً لبقائها هنا ؟ إنها لا تسعى وراء المال مما يترك له ورقة واحدة يلعب بها ... الحب . بعد ذلك ، أخبره "جاسون" أن العمال بدءوا حملة لجمع التبرعات للـ "م . ر . أ" ودار ذلك الاسم في القرية كلها ، أما "هاتي جوركي" ، إحدى الزوجات ، فقد دعت "راشيل" لأن تتحدث مع أعضاء ناديها نادي

الـ"كرافت" ، عن عملها في "بنجلاديش" .

- "هل كنت سعيدة هناك بالخارج يا "راش" ؟"

- "لم تصر على مناداتي بهذا الاسم ؟"

- "راش" ؟ ونظر "لوك" إليها مركزاً بصره في عينيها.

"لأني أظن أن هذا الاسم يناسبك ، لقد وجدت اسمك في أحد كتب أسماء الأطفال التي ننتقي منها أسماء الأبناء ، فـ "راشيل" تعني أنثى الخراف ، أما "راش" فهي تعني الأنثى ، الجارية ، الحسناء . وهذا ما وجدته يشبهك كثيراً . أنثى ، حسناء ، رقيقة ، رائعة الجمال ."

وابتلعت ريقها بصعوبة . هل أخبر أحد هذا الرجل أن بداخله شاعرا ؟ إن روحه تنسج شعراً ؟

أي دفاع عن النفس تحاوله الآن ، سيكون حتماً عديم الفائدة في مواجهته .

"لم ترديّ على سؤالي بعد ."

قالها "لوك" مذكراً إياها ، "هل كنت سعيدة هناك ؟"

- "للغاية ." وأدرك "لوك" من نظراتها أنها لن تقول المزيد في هذا الموضوع . فسألها:

- "احكي لي إذن عن أسوأ شيء صادفك هناك ."

لم تفكر حتى ، قبل أن تجيبه من فورها :

- "كان هذا في "بنجلاديش" ، قبل أن أغادرها مباشرة . دمرت الفيضانات كل شيء تقريباً ، كنا حينئذ في تلك القرية البدائية نقوم بتطعيم الأهالي ضد الكوليرا . كنت أعمل وحدي مع الأطفال ، وكان "توم" منهمكاً في عملية ولادة متعسرة ، عندما فوجئنا بنهر من الطوفان يقتحم المكان بما فيه ومن فيه ، أمام أعيننا ."

ابتلعت "راشيل" ريقها ، ولمعت عيناها بالذكريات .

- "كانت هناك امرأة تغسل قطعاً مهلهلة من القماش في الماء الجاري بالقرب

من حافته .فجأة جرفتها المياه ، أخذت تصرخ وتستغيث مددت لها جذع شجرة من فوق الماء المنهمر. استطاعت أن تمسك به ، جعلت طرفه تحت إبطها وضمت ذراعها عليه بقوة . لم أكن أدري إن كنت ستتماسك وأظل قابضة على طرفه بيدي . وفجأة ظهر "توم" وبعض الرجال معه . اجتذبوها إلى خارج الماء في اللحظة المناسبة ."

الكابوس .. هذا يفسره .

-"وما هو أفضل شيء حدث لك هناك ؟"

سألها "لوك" . فأخذت "راشيل" تسترسل في ذكرياتها متفكرة ، ثم ابتسمت :

-"في منتصف العام الثاني لي بالخارج ، كنا نعمل بإحدى القرى على تعليم الناس أسس التغذية السليمة والوقاية من الأمراض . لم يكن هناك غيرنا نحن الاثنين ، "توم" وأنا ، لأنها كانت تعتبر مهمة سهلة ."

سمع ضحكتها عندما تذكرت تلك الذكريات ، ورن هذا الصوت في قلب "لوك" .

"ثم ، وبعد أن قضينا أسبوعاً هناك ، أراد الرئيس أن يعلم إن كنا ننوي الزواج أنا و "توم" قريبا . وعندما أخبره " توم " أننا لا نعتزم شيئا من ذلك ، كثرت الهمسات والإيماءات . وفي اليوم التالي خرج "توم" من كوخه ليجد نعجة وخمس دجاجات بالخارج . هذه هي دوطة السيدة ، هذا ما أخبره به الرئيس ، إنها امرأة نحيلة ، لكن حديثها ناعم، وسوف تلد لك العديد من الأبناء . هل تريدها الآن ؟"

وأخذت "راشيل" تضحك عندما تذكرت كيف كان يبدو وجه "توم" .

-"وكيف خرج دكتور "أتويل" من هذا المأزق ؟"

- "لقد ذكر شيئاً عن عدم إمكانه الزواج مني لأنه مرتبط بالفعل بامرأة أخرى، ولكنه منذ ذلك الحين أخذ على عاتقه أن يعثر لي على زوج من بقية العاملين هناك . لم يكن الرئيس سعيداً بذلك ، لكن كان عليه أن يتقبله . وعندما حان وقت رحيلنا ، أخذ يذكر "توم" أن الدوطة ستكون جاهزة في أي وقت تدعو الحاجة

إليها . بعد ذلك بعام ، كنا بقرية مجاورة لتلك القرية ، فبعث إلينا برجل ليعرف إن كنت لم أتزوج بعد وليذكرنا بالدوطة التي تنتظرنا هناك."

تلك المرأة التي استمعت إليه يذكر سعر جياده الأصيلة دون أن يرمش له جفن، كانت دموعها تملأ مآقيها عندما تذكرت ذلك الاهتمام بأمرها وشؤونها .انتهت الشطيرة التي كانت تأكلها ، لاحظ "لوك" ذلك . كأن الحديث قد فتح شهيتها للأكل . وتناولت "راشيل" الطبق الذي قدمه "لوك" إليها . بدت قطعة كعك الفواكه الكبيرة التي قطعها لها "لوك" ، شهية للغاية . أول قضمة لها أثبتت ذلك .

"هم م م . . رائعة الطعم . يمكن لـ "حنا" أن تتاجر فيما تصنعه ، فتحقق ثروة هائلة ."

-"إنها بالفعل تفعل ذلك هي وأختها ."

وذكر لها "لوك" الاسم التجاري الذي تبيع به هذه الكعكة .

-"لقد استطاعت "حنا" أن توفر قدراً معقولاً من المال . إن ما أعطيه لها لا يقارن بما تفعل من أجلنا . هذا هو حال كل أفراد عائلة "رود ريجز" ، لكن بعد الحادث ، لم يتغير شيء سوى أن "تيريزا" كان يجب أن تأتي إلى الدار يومياً لتعين "حنا" . اعترضت ، لكن "جوان" طلب مني أن أتركها تفعل ذلك . كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لتتخلص من أحزانها تدريجياً ."

-"وهل كان "روب" و "كريس" محبوبين هنا ؟" فأومأ "لوك" برأسه .

-" نعم . لقد شاهدنا الناس هنا أنا و"روب" نشب ونكبر . كان "جوان" هو الأب الروحي لـ "روب" . ولقد وجدت "كريس" مكاناً لها في قلوبهم بسبب طبيعتها الدافئة ، وقدرتها تلك على الاهتمام بكل شخص كانت تقابله ."

وضاقت عيناه تأثراً ،

" لقد كانت مصدر سعادة كبيرة ، وإنما كانت تنصحني بالزواج ، كي أجعل منها عمة ، وكي أهب "جوردي" أبناء عمومة يلعب معهم ."

– هل يحب والدك "أريزونا" ؟

كان الوقت قد حان لتغيير الموضوع . كانت تريد أن تمحو ظل الحزن الذي بدا في عينيه .

– "لقد توفيت أمي من ثلاث سنوات ، بعد ذلك فقد أبي اهتمامه بالمزرعة . دكتور "كنتون" نصحه بالتغيير ، قال إنه سيساعده على أحزانه حتى يتوقف عن اجترار ذكريات أمي. لقد كون عدة صداقات في "أريزونا" ، وأصبح لديه إسطبل صغير حيث يستطيع ممارسة الفروسية يومياً . إنه يزورنا مرتين كل عام ."

– "هو إذن لا يعيش في دار مستقلة ؟"

فنظر إليها "لوك" دهشا :

– "لا . لا . إن لديه داراً صغيرة ، ملحقة بها قطعة أرض صغيرة فيما يسمى بمجمع المتقاعدين ، لكنه يعيش مستقلا بنفسه تماماً ."

الحياة . إن "راشيل" تعلم ذلك ، تعلم هذا التعاقب المتواصل للأجيال . ولادة ، وفاة ، معاناة ، سعادة ... كلها أجزاء تكون منظومة واحدة . عندما يأتي "لوك" بعروسه إلى "دياموند بار" ، ستعود السعادة لها مرة أخرى . أخذت "راشيل" تتساءل مع نفسها عن نوع تلك المرأة التي سيختارها "لوك" . امرأة مثل أمه ، تكون قد شبت ونمت بين هذه التلال . أو امرأة مثل "كريس" ، دافئة ، رائعة ، تبعث بأشعة الشمس في حياته هو و "جوردي" . وأرخت "راشيل" أجفانها . لسبب ما رفض عقلها تصورها أن تقوم بهذا الدور ، الزوجة المنتظرة لـ "لوك" . خلع لوك سترته ، لفها تحت رأسه وتمدد على الأرض . أغلق عينيه ، أخذت تنظر إلى خديه البرونزيين وخطوطهما الداكنة .

كان يبدو كمن يعرض نفسه للألم وللإصابة به . سألته:

– "إنك لن تستغرق في النوم بعد هذه الوجبة الدسمة ، أليس كذلك ؟"

ففتح لها عينا واحدة :

– "لا يمكنني أن أقوم بقطع شجرة في هذه اللحظة بالذات . لم لا تتمددين قليلاً أنت أيضا ؟"

أخذت "راشيل" تنظر إلى ذراعه الممدودة كي تكون وسادة لرأسها ، وإلى هذا العود الصلب والجسد القوي الذي يمتلكه "لوك" . أفكار غريبة أغرقت رأسها وملأته . ترقب ، إصرار ، لهفة . قفزت من مكانها كأنما رأت حية رقطاء .

– "سأقوم بالتمشية قليلا ."

– "حسنا" قالها وهو يشعر براحة ، "لكن تذكري أن أمامنا طريق العودة أيضا. ولدي مهمة قطع الشجرة ... فلن أكون بقادر على حملك ."

لم تذهب "راشيل" بعيداً . ابتعدت عن مرمى بصره ، توقفت وأخذت تنظر حولها . من هنا تستطيع رؤية المحيط بكل وضوح ، تستطيع حتى أن ترى الأمواج وهي تضرب الصخور . إن أغلقت عينيها، فستشعر بهذا الإحساس ، أن تكون محمولة بين يدي "لوك" .

ذراعاه تأخذانها في أحضان قوته . لم تصور لها خيالاتها أن يتركها بعد ذلك وحيدة في فراشها .

تمد يدها إليه ، تتغير نظرة عينيه عندما ينظر إليها ، إلى نظرة تعدها بالسعادة التي لم تسمح لنفسها أبداً أن تحلم بها .

فتحت "راشيل" عينيها ، ثم وضعت يدها على رأسها . لابد أن الشراب الذي وضع بالكعكة أدار رأسها . هذا هو التفسير الوحيد لخيالاتها المحمومة .

وعندما عادت كان "لوك" غارقاً في نومه . تمددت بجواره دون أن تلامسه ، أخبرت نفسها أنها سرعان ما سينتابها النعاس ، وأغلقت عينيها .

أخذ "جوردي" يداعب خدها ويتمسح فيه بيده ، عندما كانت تعطيه زجاجة الرضعة ، كان ينطق اسمها بنعومة ورقة . ارتعشت . لابد أن هناك شيئا خطأ في حلمها هذا .

إن "جوردي" لا يستطيع بعد أن ينطق اسمها . فتحت عيناً واحدة ، لترى وجه

"لوك" يواجهها تماماً ، وقد امتلأ رقة لا يمكن أن توصف . لم يكن هذا حلماً .

- " ابتعد . " قالتها ولم تعنها . "لقد أكلت كثيراً ، فحلمت حلماً مزعجاً ."

- "شكراً جزيلاً ."

وقهقه "لوك" عالياً ، - " لقد أطلقت علي أسماء كثيرة ، لم يكن من بينها أبداً (حلماً مزعجاً) ."

ظل يراقبها وهي نائمة ، فأعاد مشهدها ذلك في ذاكرته ، ليلتها الأولى في "دياموند بار" كانت تلتصق بين ذراعيه تتلمس الدفء حينئذ . شوقه لأن يضمها ثانية كان يؤرقه ويعذبه . اعتدلت "راشيل" ، أخذت تفرك عينيها . وأخيراً فتحتهما .

- "أكان ذلك حلماً ؟"

- "لا ."

ولكي يثبت لها كلامه أخذ يميل عليها ، يعتزم تقبيلها مرة أخرى . منعه رد فعلها السريع . ثم استسلمت له تماماً .

لكنه أخذ يحاول أن يتحكم في نفسه . إن تمكن منها الآن ، فقد يفقدها كلية .

كانت عيناها لاتزالان مغلقتين ، لم يستطع أن يعرف فيما هي تفكر الآن .

وجهها الثائر وشفتاها البضتان تغلبت على صبره وقدرته .

أمسك "لوك" برأسها ، أخذ يمرغ أنفه في شعرها الناعم . زلزل شعرها كيانه ، أحس كأنما يستنشق عبير زهور الصيف .

- " راش" ..."

تكلم أخيراً ، كان صوته يرتعش بالانفعال . "لاترحلي الآن ."

سرعان ما عاودها التجمد والصلابة ، شعر بخطئه . خلصت نفسها من بين ذراعيه ، وقفت ، شبكت يديها على صدرها ، أعطته ظهرها .

" "راشيل" .ألن نقطع تلك الشجرة ؟ لسوف تظلم الدنيا بعد قليل ."

عدلت قامتها ، أخذت تزيل ما علق بالجينز من تراب ، كانت نبرات صوتها هي

الدليل الوحيد على توترها . هذا هو الأمر إذن؟ لقد بلغ به أن أخبرها أنه يحبها وكل ما كانت تفكر فيه هو العودة ؟ إنه لن يدعها تتجاهل تلك العاطفة الحقيقية الصادقة .

قام على قدميه بحركة مفاجئة ، ووقف مواجها لها . دق قلب "راشيل" . إنه لن يدع الأمر يمر هكذا .

متى وقعت في حب "لوك" ؟ في اليوم الأول بالمحكمة ؟

عندما حملها إلى الحمام ؟ عندما رأت كيف يكون حين يكون مع "جوردي" ؟

لم تعد تستطيع أن تفرق بين التعرف إليه ، والإغراق في حبه .

- " أنا ... أنا لم أعرف ما الذي ينبغي أن أقوله ."

- " جربي هذه الجملة : " أريد أن أبقى يا "لوك" "، مقترحا عليها .

أخذت "راشيل" تتخلص من أفكارها وذكرياتها بألم .

- "لن يجدي هذا . لم أنجح أبداً في العلاقات الشخصية . ولا أريد أن أكون سبباً في جرح أي منكما : أنت أو "جوردي" ."

- "كيف تفعلين ذلك ؟ "سألها بتعقل .

- "لا أعلم" .

وهزت "راشيل" رأسها ، شعرت بانعدام حيلتها ، شعرت بوقوعها في الفخ .

كيف يمكن لأي شخص كائنا من كان أن يترجم مخاوفها إلى كلمات .

تلك المخاوف من أنها لم تعرف مخلوقاً قط وقع في حبها . المخاوف من أنها لو تركت أي مخلوق يحبها قد تعاني الآلام بعد ذلك ، مرة أخرى .كان والداها أوضح إثباتا على ذلك .

رحلت والدتها ذات يوم ، وكانت "راشيل" ماتزال بالمدرسة ، ولم تكن قد عادت بعد . في صباح هذا اليوم كانت أمها قد أخذت تجهز لها كعكة شهية ، أخذت تحدثها أنها ستصطحبها إلى حديقة الحيوان . لم تترك لها حتى أية رسالة .

كل ما أخبرها به والدها ، هو أن والدتها لن تعود إلى الدار أبداً .

ولم تعد الحياة كما كانت عليه . يوم خال موحش تلو الآخر ، تغير حال أبيها ، جمدها ، أكد لها الاعتقاد بأن ما حدث لم يكن سوى بسببها .

أخذت "راشيل" تنفض ما علق بجانبيها من نجيل الأرض .

- "راش" .

ارتعشت عندما وضع يده على كتفها ، إنها لم تر عينيه وقد أصبحتا داكنتين دكنة حجر الصفير .

- "لن أتعجلك . دعينا نحاول الاعتياد على فكرة أن نصير صديقين ، قبل أن يبث أي منا لواعج مشاعره للآخر ."

- "لا دخل لمشاعري بهذا" .

بدت شفتاها وهي تمطهما كما لو صارتا ضعف حجمهما ، كان افتعالها للكذب أقوى من أن تحتمله .

- "إني لآسفة يا "لوك" ."

هذا هو الأمر إذن ؟ لقد قررت أن هذا لن يجدي ، ولا شيء آخر يهم؟ تملكه الغضب ، وبدأت تشويه الانفعالات .

- "ما الأمر إذن ؟"

وضع يديه على كتفيها ، لا يعبأ سوى باقتلاع الحقيقة منها ، أو يقبلها ، ويقبلها حتى تمتثل له . لكنه عدل عن ذلك لما رأى الدمع يندفع بالخوف إلى عينيها . ضمها إلى صدره ، أخذ يهزها برفق دون أن يقول شيئاً .

اندفاعة الغضب التي كانت قد تملكته كادت تتحول بداخله إلى شيء بغيض ، لم يكن يشبهه بأي حال .

لم يفقد أي منهما سيطرته على نفسه . أطلق "لوك" على نفسه كل مسمى خطر له على بال . ثم أعادا الكرة مرة أخرى ...

لم يعد يرغب في اقتلاع شيء من داخلها . ولا حتى حقيقة مشاعرها وماتحس به عندما تهتم به بالقدر الكافي ، ستستجيب له من تلقاء نفسها .إن أية هبة ،

حتى هبة الحب ، لا تعني شيئا إلا إذا منحت بكل حرية .

كانت دقات قلبها تذكره برياح تضرب صخوراً عاتية .

ضمها إليه ، قربها أكثر من قربها إلى ذات نفسها ، حتى هدأ تماماً .

فاضت عينا "راشيل" . إنها لن تعود قادرة أبداً على الكذب عليه . أصبحت قبلاتها طريقاً مسدوداً . لم تفلح القبلات بعد في أن تغير أي شيء . الفاصل بين أفكارها وبين أحاسيسها لا يزال موجوداً . لم يوصل بعد .

وتملصت من بين ذراعيه ، فتركها من فوره .

عندما نظر "لوك" إلى وجهها شعر بالرغبة في أن يركل نفسه . كانت تعبيراتها الممزقة تذكره بأول مرة رآها فيها .

أخذ يراقب شفتيها للحظات - أتتكلم - لكنها لم تتفوه بكلمة . مد يده إليها ، أخذ يبعد خصلة شعر من على وجهها ، ونزل بيده يتحسس جانب وجهها ، وأخذ يراقب اللون الأحمر يعود إليه .

- "سنجد حلاً لكل شيء ، لا تخافي ، " قالها بسرعة .

لم كان يتحدث إليها كما لو كان مافات من حياتهما قد فات وانتهى ؟

"راشيل" كانت تعلم شيئاً واحداً بكل تأكيد . يجب عليها أن تكون قوية . لاهو ولا "جوردي" ، كلاهما ليس بحاجة إلى شخص - يدخل حياتهما - وقد اعتاد على الفشل دائماً ، الفشل في أي علاقة بالجنس البشري . ونظرت إلى عيني "لوك" فتاهت . بدأت تكره فكرة أنها أصبحت سبباً لاهتمامه ، وهو ما بدا في عينيه ، في اضطراب كل عضلات وجهه ، محاولاً أن يبتلع ريقه . تراجع "لوك" لدقيقة أخرى ، ثم مد يده إليها .

- "أما الآن ، فإن لدينا شجرة يجب اقتلاعها ، أتتذكرين ؟ " قالها ممتلئاً بالأمل "يجب أن نسرع ."

وبارتباك ، وضعت "راشيل" يدها في يده . كيف استطاع أن يعود مرة أخرى ليصبح صديقاً لا يطلب شيئاً ؟ لم لم يغضب منها ؟ إن الرجال الذين تعرفت

إليهم كانوا يغضبون أياما إن رفضت التواعد معهم بعد العمل . تبعته عبر صفوف الأشجار الخضراء ، وتوقفت "راشيل" حين توقف .

-"تلك الشجرة؟"

أشار "لوك" إلى إحدى الشجيرات التي يصل طولها إلى ارتفاع ثلاثة أقدام تقريبا . كانت تبدو صغيرة جداً بالنسبة لـ "راشيل" . لسبب ما تخيلت أن تكون الشجرة أكبر من هذه ، شجرة تقف بشموخ يتسامى مع سقف غرفة المعيشة الشاهق . اتجه بصرها جهة اليمين ، إلى واحدة أخرى تقف شامخة بطول ثمانية أقدام ،

-"هذه الشجرة؟"

ومشى "لوك" في اتجاهها ، أخذ يفحص فروعها ويتفحص جذعها .

-"انتظر ، " نادت عليه "راشيل"

- "لست على ثقة .إني لا أعلم شيئاً عن الأشجار . دعنا نأخذ الأخرى ."

ووضعت يدها على الشجيرة التي اختارها "لوك" أول الأمر .

-"حبيبة قلبي ، "قالها وهو يقف مستنداً على بلطته .

" أريد أن أقتلع تلك الشجرة الآن ."

إن نظرته تسخر منك . أترين ؟ لقد قالها ، لم تكن في غاية الصعوبة كما كنت تظنين . كل ما يلزم هو نوع من العلاقات التبادلية . هات وخذ . عندما أخذت تنظر إليه ، بدت عينا "لوك" تأخذ في الدكنة كأنما تنذرها أنه يهم بتقبيلها .

تقدم خطوة إلى الأمام . فأصاب "راشيل" شيء من الذعر . قبلة واحدة كتلك الأخيرة ولن تعود قادرة على أن تتذكر اسمها ، دعينا نخطط وحدنا للعودة إلى "بنجلاديش" . تراجعت إلى الخلف ، توقفت عندما اصطدمت بإحدى الأشجار ،

-" سأقوم بجمع الأشياء في السلة بينما تقتطع الشجرة .هكذا لن يضيع منا الوقت ."

قالتها ، وشرعت في العمل من فورها .

أناخ "لوك" جذع الشجرة على إحدى كتفيه ، تاركاً أوراقها وأغصانها تتدلى من خلفه . وأمسك بالبلطة في يده الأخرى . أما "راشيل" فقد سارعت قبله إلى حمل السلة الخالية والمفرش ورفضت أن يحملهما عنها . سارا في طريقهما إلى الدار ، والصمت يلفهما في أغلب الوقت ، كلاهما مشغول بما يدور بخلده .

وصلا إلى التل الذي تقبع الدار عليه عندما قال "لوك" بعفوية :

-"أتعلمين يا "راش" ، يوما ما سيكون عليك أن تتوقفي عن الجري وأن تواجهي تلك المخاوف التي كنا نتحدث عنها . كل ما أطلبه منك ، حين يأتي هذا اليوم ، هو أن تعطي نفسك فرصة عادلة ."

الفصل الثامن

شرعت "ماري" تتولى أمر الطفل ، وأصبحت "راشيل" لا يشغلها شيء بقية هذا الصباح . إنه دائما من الصعب عليها أن تترك "جوردي" ، غير أن الاستيلاء عليه من المرأة الأخرى لم يكن عدلاً أيضاً. بهذه الطريقة ستقل حدة افتقاد "جوردي" لها عندما ترحل . خرجت إلى تلك الحجرة المشمسة ، توقفت لدقيقة لتشاهد تلك الشجرة وقد تم تزيينها ووضعها في أحد أركان حجرة المعيشة . غمر شعور منعش نقي أرجاء الدار .

لقد انتزع "جوردي" الضحكات من كل من بالدار عندما أخذ يقلدها وهي تأخذ أنفاساً عميقة ، انتزع منهم الآهات .

قامت "أنجيلا" وأخوها الأصغر ، "ديفيد" ، بتزيين الشجرة بعد انتهاء المدرسة بالأمس . الكرات البيضاء والشرائط الفضية زادت من مظاهر العظمة والقداسة في نظرهما ، لتلك البساطة التي تميزهما . فغالبا ما تضفي أعياد الميلاد مظاهر الغموض تحت أقدام الشجرة ، بالإضافة إلى العبق الخاص لهذه المناسبة .

- "أتعلمين أين يوجد "لوك" ؟"

سألت "تيريزا" بعفوية . فهو لم يظهر على الفطور ، فاعتقدت ببساطة أنه قد يكون يعمل في مكتبه . لكنه شيء غير عادي ألا يأتي لتناول قدحه المعتاد من الشاي .

- "إني لم أره منذ وضع "جوردي" في كرسيه العالي ذي العدادات هذا الصباح."

ردت "تيريزا" بهدوء . ولأول مرة هذا اليوم تلاحظ "راشيل" كيف بدت على المرأة المسنة علامات الضغط العصبي والانشغال .

- "هل تظنين أنه قد يكون بالمزرعة ؟"

وفكرت "تيريزا" لدقيقة ثم قالت:

-"لا . لا أعتقد ذلك . يوجد العديد من الناس هناك . لو أنه "روب" لكان قد ذهب إلى هناك إن أحس بالضيق . كان دائما يحتاج إلى أن يشارك العمال في أعمالهم إن كان هناك ما يكدره ، لكن "لوك" يختلف عنه . إنه يبحث عن الأماكن الهادئة ."

-"وهل هناك ما يكدره ؟"

ونظرت "تيريزا" عبر نافذة المطبخ ،

-" إن اليوم يوافق الذكرى الرابعة والثلاثين لميلاد "روبي" ."

-"أين يمكنني أن أجد "لوك" ؟"

لم تستطع "راشيل" أن تخفي تهدج صوتها وهي تسألها .

كانت "تيريزا" ستقوم بأعمالها في المطبخ ، ثم كان عليها أن تنزل إلى "سانت باربرا" كي تشتري أزهاراً .

لكن حقيقة اختفاء "لوك" كحيوان جريح جعلت "راشيل" تخاف بشدة أن يجري بعيداً ليختبئ ، لابد أن حزنه مدفون في أعماق روحه . يجب أن تذهب إليه .

قالت "تيريزا" ببطء :

-" هل تتذكرين البقعة التي اقتطع منها شجرة عيد الميلاد ؟ بعد هذه المنطقة هناك طريق يؤدي إلى قمة جبل "جاسبر" ." واضطربت شفتا المرأة ثم واصلت :

"بهذا المكان توجد مقابر الأسرة . أعتقد أنه قد يكون هناك."

يبدو الطريق طويلاً عندما يذهب المرء وحيداً يمشي فيه . كانت "راشيل" ترتدي سترة فوق السويتر. جعلت الرياح الحرارة تنخفض بوضوح وبدت السماء بمظهر يتناسب مع المناسبة . مرت بتلك المنطقة الخضراء التي كانوا يجلسون بها . انتابتها الظنون والخواطر وهي تشق طريقها صاعدة إلى القمة .

هل كانت تفعل شيئاً صحيحاً بإقحامها لنفسها على "لوك" بهذا النحو؟ لكنها أخذت تواصل طريقها ، أخذت تطيع خواطرها وظنونها كالعمياء . توقفت

"راشيل" عند مدخل المقابر وقدانتابتها الدهشة . كانت في غاية الاتساع، يحيط بها سياج من الخضرة بارتفاع ستة أقدام من جميع الجهات .

فقد تفتحت ورود ديسمبر في كل مكان ، توحي ألوانها للحياة بالخلود بدلا من الموت .

لو لم تكن تلك الورود قد جعلت لحجارة المقابر ، لاقتطفت منها حزمة تجعل منها ما يشبه الواحة الغناء . أخذت "راشيل" تنقل بصرها بين مقابر عتيقة وأخرى جديدة البناء ، ثم رأت تلك المقبرة العريضة من الرخام الأبيض . مقبرة واحدة .

يبدو أن "كريس" و "روب" لم يفترقا حتى في مثواهما الأخير .

كانت الزهور التي قد قطفت لتوها تغطي المقبرة ، وتخبرها أن أصحاب باقي المقابر الذين يرقدون بالمكان قد أخذوا نصيبهم من الاحترام والتبجيل أيضا اليوم .

كان "لوك" يقبع جالساً وظهره مستند إلى شجرة ، ينظر بعيداً عن المقابر، ينظر إلى الاتساع الممتد أمامه بلا نهاية . يثني ساقاً ويمد الأخرى أمامه . يد تلتقط حجارة من الأرض وتطوح بها بعيداً إلى الفراغ الممتد ، على شيء ما بالأفق ، بينما عيناه تتابع ، تنظر إلى هناك ، وكأنما لا ترى شيئاً . إحساس ثقيل سميك تود لو تدمره ، حتى تفديه وتخلصه .

واقتربت منه "راشيل" بهدوء . لم يكن هناك حاجة لأن يقال أي شيء . لم يحرك "لوك" رأسه ، لكن "راشيل" كانت تعلم أنه قد أحس بوجودها . أخذت تتطلع إلى الأفق . لابد أن هذه البقعة هي أعلى مكان في "دياموند بار" . من هذا المكان يستطيع المرء أن يرى المنطقة بأكملها ، وإن نظر أمامه يرى المحيط بوضوح . شيء ما بداخلها يخبرها أن "جاسبر سومرز" قد وقف في هذه البقعة – يوماً من الأيام فأخذ بالجمال الذي يحيط به . لابد أنه أدرك هنا أنه قد عثر أخيراً على ضالته ، فطلب أن يثوى جسمانه للراحة الأبدية في تلك البقعة التي شهدت عذابه الأول من أجل إقامة المكان كله .

جلست "راشيل" . أحست في ردفيها بوخزة من صلابة الحجارة ، وبدت عصبيتها كأنما تسمح لها بما بدأت تعتاد عليه من ضعف ، في أي مكان يوجد به "لوك" على مقربة منها .

- " راش " .

- "كيف حالك يا "لوك" ؟ "

كان باستطاعتها أن ترى أنه غير حليق الذقن ، وقد امتلأت عيناه بالحزن .

أما شفتاه فقد مالتا للون الأبيض ، مما كان يعني أن حالته البدنية ليست بخير أيضا .

ترى متى أكل آخر مرة ؟

حالة بدنية أغرقها العذاب والألم . جوع تضاعفه المعاناة . دائرة مفرغة .

كان ألم "لوك" من ذلك النوع الذي يحتاج إلى أكثر من المعرفة الطبية ومن المهارة في العلاج . أكثر من القدرة على رد الفعل والقوة على اتخاذ اللازم . وبعصبية بللت "راشيل" شفتيها ولبثت تنتظر . تبادر مشهد بعيد إلى ذاكرتها .. "بنجلاديش" . جنازة . كانت تشاهد النساء الثكالى والأيامى يولولن ، يلطمن الخدود . هذا النوع من الحزن - مؤكد - أفضل من المعاناة في سكون . هل أتيح لـ "لوك" - أبداً - الوقت كي يأسى ويحزن على " روب " و " كريس " ؟

دائما هو الساهر على راحة الآخرين ، ولم يكن ليستريح أبداً ، هل أشبع يوماً حاجته هو نفسه إلى الحزن والأسى ؟

أخذت "راشيل" تتفكر في القوة التي اكتسبتها منه منذ أول لحظة رأته فيها ، من طريقة معاملته لـ "حنا" و "تيريزا" . هادئ ، مجامل رقيق ، يتحدث إليهما عن عمله وعن المزرعة وشؤونها ، يستمع إليهما طوال اليوم ، كما لو كان يشعر بإغراقهما في الوحدة والفراغ منذ وفاة "روب" و "كريس" . كما لو كان يريد أن يخفي حزنه عنهما ، حتى لا تشعرا بهذا الفراغ وهذه الوحشة فيمكن لأي إنسان أن يحتاط من الآخرين ، ماعدا "لوك" ، فقد كان غذاء للأرواح . أخذت

"راشيل" نفساً عميقاً ثم أخرجته بهدوء واستدارت جهته، - "لم يكن عليك أن تأتي إلى هنا . فالجو قارس البرودة ."

- " أعلم ."

أخذت تفرك كفيها معاً وتنفخ فيهما لتدفئتهما . أربعة أعوام ونصف في طقس دافئ دوماً ، هذا ما اعتادته . انكمشت داخل سترتها ، وضعت كفيها تحت إبطيها .

- " تعالي إلي ."

أخذ "لوك" يديها بين كفيه يحكهما لتشعرا بالدفء .

أخذت " راشيل " ترنو إليه ، تود لو تضع يده على وجهها . تلك الرجفة التي انتابت جسدها من جراء هذه الفكرة، جعلتها تشعر بالخجل .

إنها هنا كي تعطي ماتقدر عليه ، وليس كي تأخذ . وبرقة سحبت يديها من كفيه، لتتناول الحقيبة التي كانت تعلقها على كتفها :

- " لقد أحضرت لك طعام الغداء . " .

كانت شطائر البيض المسلوق هي المحببة لدى "لوك" . لم تنبس "تيريزا" بكلمة عندما رأت "راشيل" تجهز له هذه الشطائر بنفسها ، ثم تلف له قطعة كبيرة من كعكة "حنا" ذات الفواكه في الورق المعدني .إنها جهزت لها إناء الماء المغلي ووضعت فيه أوراق الشاي ، ثم سألتها أن ترتدي ملابس ثقيلة .

لم ينبس "لوك" بكلمة ، هو أيضا . ونصحت "راشيل" نفسها بالتزام الهدوء ، رأت أن ذلك أفضل من الاسترسال في مدى حاجته إلى الطعام .

- " إن تجهيزي للشطائر رديء ."

كانت تتحدث بسرعة ، تكره أن تحاوره في الحديث ، لكنها كانت تكافح بقوة وتجرب أية محاولة .

" أنا لن ألومك إن لم تستطع أن تأكل - ولو - واحدة إلى نهايتها ، فعلى الأقل ستظن أني قد أقوم بتجهيزها بطريقة أفضل من الآن ."

لقد أتت بنتيجة أخيراً . نظر إليها ، أخذ إحدى الشطائر و قال لها :

-"لقد كانت الشطائر التي أعددتها بالأمس رائعة الطعم ." أخذت "راشيل" تراقبه وهو يقضم قضمته الأولى ثم قالت :

-"هذا فقط لأن "تيريزا" كانت تقف معي لترشدني إلى ما أقوم بعمله بالضبط."

لم تشأ أن تطيل من حديثها ، كانت سعيدة أن الحزن قد فارق صفحة وجهه وهو يأكل ، ووضعت شطيرة أخرى في يده ما أن انتهى من الأولى .

بعد بعض الوقت كانت قطعة الكعكة قد انتهت أيضاً ، وعاد لون شفتيه ، عاد إليهما لون الصحة .

وقفت "راشيل" على قدميها ، وأخذت تنفض ما علق بملابسها من تراب . كانت هي نفسها قد أكلت شطيرة كاملة قبل أن تتذكر أنها لا تستسيغ ما بداخلها.

-" "جوردي" يجب أن يكون قد استيقظ من نومه الآن . لذا يجدر بي أن أعود."

أخذت نفساً عميقاً . هل سيأتي "لوك" معها ، أم هل سيختار الاستغراق هنا مع ذكرياته ؟

كانت تميل نحوه ، تقترب منه ، أما الطريق إلى روحه فإن "راشيل" لم تكن على ثقة أنها ستجده سهلاً ممهداً . لم يعاندها الحظ . لقد قام ووقف على قدميه .

-"سأعود معك ."

لم يتفوها بكلمة في طريق العودة، لكن عندما اقتربا من الدار ، نفض "لوك" أفكاره وقال :

-"أشكرك يا "راش"."

وبمجرد دخولهما إلى الدار ، أعطت "راشيل" لـ "ماري" إجازة لفترة مابعد الظهيرة .

الخطوة الثانية من خطتها كانت تعتمد على الحركة.

عندما عاد "لوك" من حجرته ، بعد أن أخذ حماما، وقام بحلق ذقنه ، ناولته "راشيل" "جوردي" ليحمله .

-"هل بإمكانك أن تراقبه بدلا مني لبعض الوقت ؟"

كانت تسأله .

- "لم تكن "ماري" بحالة جيدة ، لذا تركتها تعود لدارها لتنال قسطاً من الراحة. سأجرب طريقة جديدة لإعداد كعكة الليمون ، وهذا يستحوذ الآن على كل تركيزي ."

الفقرة الأخيرة لم ترق لها تماماً . على كل حال ، طريقة التجهيز لأي وجبة كانت، حتى ولو كانت للبيض المسلوق ، بالتأكيد تحتاج إلى تركيزها التام .

كان "جوردي" منتعشاً وقد استيقظ من النوم لتوه ، لذا شغل "لوك" تماماً بمراقبته . أخذت تراقبه يحمل ابن أخيه بين ذراعيه ويذهب به إلى مكتبه .

عندما وقفت بأعتاب باب المكتب ، بعد مرور بعض الوقت ، أخبرتها أصوات "جوردي" التي تنبعث من الداخل أنهما يلعبان سوياً على السجادة .

ابتسمت ، وأسرعت "راشيل" بالعودة لتنثر بعض الدقيق على مائدة التجهيز مع بعض قطرات الليمون .

أخذت تسائل نفسها .. ترى ماذا يوضع أيضاً في كعكة الليمون ؟ إن حدث وفكر "لوك" في السؤال عن الكعكة ، تستطيع كالعادة أن تخبره أنها قد لحقت بالكارثة السابقة ، وذهبت طعاماً للقمامة .

بينما أخذ "لوك" يطعم "جوردي" عشاءه كانت "راشيل" تفعل المستحيل في تنظيف ما اتسخ من حولها بالمطبخ . كانت رائحة إناء "حنا" محتوياً على وليمة الدجاج في الفرن ، وكانت "راشيل" تمني نفسها أن تجتنب تلك الرائحة "لوك" إلى المطبخ .

لكن ، لم يحدث هذا .

أعطى "جوردي" حماماً ، وألبسه ملابس النوم ، ثم عاد أدراجه إلى حجرة العمل ، وأغلق الباب من خلفه لا يلوي على شيء .

انتظرت "راشيل" نصف ساعة قبل أن تشرع في خطتها التي تعتمد على

الحركة . حملت الصينية التي أعدتها أعلى كتفها .

كانت الغرفة غارقة في الظلام عندما دفعت بابها بقدمها ، كان شعاع الضوء الذي تسلل إليها من فتحة الباب هو البصيص الوحيد بداخلها للنور .

كان مقعد "لوك" يواجه النافذة العريضة .

لم يحاول حتى أن يدير رأسه عندما أنزلت الصينية ووضعتها . ابتلعت "راشيل" ريقها واقتربت خلف كرسيه . إنها لا تقحم نفسها عليه ، هكذا أخبرت نفسها ، ليس عندما تحتاج آلامه إلى من يخففها عنه . ليس عندما يتلهف قلبها ليفعل ذلك . وبرقة ، وضعت يديها على كتفيه وبدأت تضغطهما وتدلكهما ، ثم ترتفع إلى عضلات رقبته .

كانت عضلاته صلبة حقاً ، لابد أن الصلب نفسه قابل للتشكيل أكثر من تلك العضلات .

- "حدثني عن "روب" . "

كانت الكلمات صعبة في البداية ، وببطء انتظم إيقاعها ، تكونت الجمل بسهولة مع الوقت .

أخذ "لوك" يصف لها ذكرياته الواحدة تلو الأخرى ، دهشا أن يجد نفسه ضاحكاً كلما ذكر لها فشلا أو عقبة كانت تواجههما عندما كانا صغيرين . ثم بعد ذلك أتى طور الفتيات والجامعة . وتلك المشاركة والتواصل العميق مما كان يثري حياة كليهما .

كان باستطاعتهما دائما مواصلة الحوار ، كل إلى الآخر ، والاعتماد ، كل على الآخر .

عندما توقف "لوك" عن الحديث ، قالت "راشيل" ببساطة :

- "الذكريات الحلوة ، تبقى دائما حلوة لكونها ذكريات ، أليس كذلك ؟ "

وكان على "لوك" أن يدرك ذلك عن الذكريات . كان يروي أنه يحس بوجود "روب" معه بالحجرة فكان كشعاع شمس يمس شغاف قلبه . دافئ ، مؤنس ، مكتسح

لكل ماعداه .

- "لو كنت أنت الذي قتل ، وليس "روب" و "كريس" "

سألت "راشيل" ثم اتجهت مباشرة للب حديثها ،

" كيف كنت تحب أن تذكر ؟ " ركن إلى السكون حتى ظنت أنه لن يجيب .

ثم أخذ "لوك" يتحدث برقة ، كما لو كان يزيح الستار عن أفكار معينة تعتمل برأسه لأول مرة :

- "كنت أحب أن أذكر بحب ، ببهجة . "

- "بنفس طريقتك عندما كنت تحيا ، وليس على طريقة موتك هذه ؟ "

قالتها "راشيل" بصوت خفيض . ولم تزد قولاً لفترة طالت . لم تكن بحاجة إلى أن تزيد . كانت الساعة تشير إلى كل لحظة تمر ، تسمع تكاتها .

كان يمكنها أن تشعر بالتحول الذي أصاب "لوك" .

نظر "لوك" إلى الصينية .

ترى متى توقفت "راش" عن تدليك كتفيه والجلوس إلى المقعد ثم الاقتراب من مكتبه ؟ لقد حركت الطبق ، وضعته أمامه ، دفعت بسلة الشطائر في اتجاهه ، لكنها لم تقل شيئاً . وبعد أن أخذ كفايته من الغذاء أثناء الحديث ، كان عليه أن يفي ذكرى أخيه حقها .

"راش" كانت على حق . فهناك الكثير من الجوانب السعيدة في ذكرياته عن "روب" ، الكثير مما يحق له احتضانه بسعادة واعتزاز .

ولسبب ما اختفى هذا الألم ، وأدرك "لوك" أنه ينبغي ألا يسمح للآلام أن تغطي ذكرياته . ذلك الإدراك حرره من هذا الطوق الحديدي الذي صنعه بنفسه لنفسه . شعر بالتخلص مما كان يعلق به ، شعر أنه قد انتعش ، اكتمل . وانتصبت "راشيل" واقفة ، مدت يدها لتأخذ الصينية ، فلقد اكتمل عملها هنا ، أمسك "لوك" بتلك اليد الممتدة للصينية ، لا يعني إلا الامتنان لها . لكن إحساسه بملمس معصمها أشعل ناراً بداخله . وبجذبة بسيطة كانت بين يديه .

كان يريدها بالقرب منه ، فقط لبضع دقائق ، أخبر نفسه ، فقط ما يكفي ليتأكد من أن ملاكه هذا بشر له شحم ولحم . ذابت أحاسيسه عندما شعر بها بين ذراعيه . إنها تناسبه تماماً . لم تكن لتتمنع عليه. لم يلق تحذيراً منها من أي نوع إنما انسلت تقترب منه ، تأوي إليه، كما يفعل "جوردي" أحياناً . بضة، شهية ، متلهفة ، تركن إليه وتلجأ . رائحة الورود انبعثت تزلزل خياشيمه فأخذ يحاول كبح جماح رغبته .

- "لوك" ؟ " . بدت الإثارة والاستحواذ على وجهها فزادت رغباته استثارة . أنفاسها حلوة ساخنة ، تضرب صفحة وجهه .

- " أشكرك ، لقد ساعدتني في إعادة الأمور إلى نصابها ."

كان صوته يتحشرج . لم يرد أن يخيفها بقوة أحاسيسه وما يشعر به . ربما تساعده الكلمات على أن يهدأ .

" لقد كان كل شيء على ما يرام حتى اتصل والدي ذلك الصباح ."

بدا صوته حزيناً منهكاً . قال :

" إن أكبر مصيبة يمكن أن تواجه رجلاً ، هي أن يعيش حتى يرى موت أبنائه. تسلل شيء إلي في تلك اللحظة ، وكان علي أن أهرب بعيداً ."

- " فهمت"

أخذت ترفع يدها عن وجهه ، لكن - لجزء من الثانية - تركت أناملها تتمسح بخده . الإنسان الأقوى دائماً ما يكون شعوره أشق وأصعب .

لقد انشغل "لوك" بالانغماس ثانية في تسيير دفة الحياة من حوله ، فلم يدرك أنه يجور على حقه في بعض الوقت للحزن ، للتألم .

رق "لوك" تحت وقع لمساتها . إنها أول مرة تلمسه "راشيل" بهذه الطريقة . أخذ ينظر إليها ، وفجأة أصبح يريد أن تقترب إليه أكثر وأكثر . أن يدخلها في أعمق أعماقه .

فجذبها إليه ، بعد برهة أدرك "لوك" أن عليه مراعاة اعتبارات أخرى عديدة . إنه يعلم أن عاطفته لم تخط هذا الحب الدافق .

لكن جزءاً ما في عطائها كان مكبلاً ، كان ركناً مقفلاً محرماً ، لم توصله إليه

بعد ، حتى لاتندم بعد ذلك . لكنه هو الذي أحس بالندم .

هناك ما هو أكثر من هذا الشعور المؤقت بالالتصاق ، بالاندماج ، بالتوحد ، بالحاجة إلى أن يتوه المرء ويتوه في كل ذلك .

إن "راش" لا تستحق إلا أن يحبها . وبنعومة لف يديه حول ذراعيها وضمها إليه. فلما صارت بين ذراعيه لم يعد يفكر في أي من ذكرياته أو أشجانه .

وضمها "لوك" إليه . عندما رأى هذا الارتباك الذي بدأ يصبغ صفحة وجهها، طبع قبلة أخيرة ، ثم حررها من بين يديه .

- "أظن أنني سمعت صوت "أنجيلا" في غرفة المعيشة ."

أخذت "راشيل" تضغط براحتيها على خديها تهدئ من احمرارهما مأخوذة من التغير السريع الذي طرأ عليه .

لم تكن بحاجة إلى من يذكرها ، حتى تدرك أنها قد أوشكت أن تصبح حمقاء تماماً ،

- " يجب أن أذهب للاطمئنان على "جوردي" ."

كانت قد وصلت إلى الباب عندما أوقفها "لوك" . وضع يده على فمها حتى لا تتفوه بكلمة ، ثم أدار ذقنها تجاهه بإصبعه ،

- " "راشيل" لاتسيئي فهم ما حدث الآن هنا ." أخذ يرجوها بشدة ،

"إني أريدك ، لكن أن نقع في الحب حتى نغرق فيه .. فإن ذلك يجب أن ينبع من أعماق قلبينا، كل تجاه الآخر . وإلا فلا ."

أخذ يتطلع إلى الاحمرار البادي على وجهها ثم أضاف :

- " إن الحب ارتباط مقدس بين رجل وامرأة . ينبغي لأي شيء كان ألا يفصم عرى هذا الارتباط . لا الآلام ، ولا الظنون ، ولا الارتياب ." فتح لها الباب ، وسارت "راشيل" خارجة على أقدام تكاد لا تقوى أن تحملها .

لم تكن تعلم ماذا تقول لـ "أنجيلا" ، التي - لسوء الحظ - تجلس بالفعل أمام التليفزيون في حجرتها ، استندت "راشيل" على الباب ، تضغط براحتها فوق قلبها ، كان يدق كالمطرقة الآلية . سريعاً غاضباً ثائراً .

كانت كثيراً ما تفكر في الحب - في أن تحب ، لكنها أبداً لم تفكر في الحب -

حتى في أروع أحلامها – على أنه شيء مقدس .
مكثت سارحة ، تفكر في عيني "لوك" الداكنتين ، في يديه الماهرتين .
نعم ، إن المرأة التي يحبها "لوك" لابد أن تكون جزءاً من ارتباط مقدس .

* * *

أخذ "لوك" يرقبها من نافذة مكتبه وهي تمتطي "سابرينا" . إنها تمتطي جوادها كما كانت تفعل أشياء أخرى عديدة – دون أن يعتريها أي نقص في ثقتها بنفسها .
أخذ يتذكر كيف تركت نفسها بين يديه بالأمس وضاقت عيناه ، لو كان قد أخذ ما قد قدمته له على طبق من ذهب ، ترى كيف كان سيصبح شعورها اليوم ؟ أم ترى أنها كانت قد اتخذت قرارها بالفعل ، أن تقيم علاقة معه ، ثم ترحل بعد ذلك راجعة إلى "بنجلاديش" ، بقلب مفتوح وضمير خال ، سعيدة أن عرفت أنها قد أحبت رجلاً ؟
كان "جوان" يقول شيئاً ما عن بعض ما تحتاج إليه المزرعة . وكان "لوك" يستمع إليه وهو غائب عنه . لا ، "راشيل" ليس لها القدرة على قرار بلا قلب ، كهذا .
إن عطاءها كان دائماً بلا حدود . إنها تأبه بالأشياء وبالناس من أعماق قلبها ، تهتم لهم ... هل يتعارض اهتمامها مع عطائها . أخذ يتذكر أسلوبها مع "جوردي" ، نظرة وجهها عندما أخبرتها "حنا" أن ظهرها يؤلمها ، حديثها الذي أجبرت "موجو" على الإنصات إليه .
لا يكفي أن يحبها مرة واحدة في الحياة. لا يكفيه أن يذوب في هذا الحب لمرة واحدة قد لا تتكرر بعد ذلك ، المشكلة هي أن يقنعها بذلك .
– " أنا أعلم أنها قائمة طويلة من الاحتياجات ، " قالها "جوان" ثم أضاف :
" لكن بهذه الأسعار ، وإذا كانت البضاعة تطابق العينات التي أرسلت إلينا ، فإنها تكون بالتأكيد صفقة رابحة . "
– " نعم " .

قالها "لوك" ليرد عليه . فلنحصر تفكيرنا فيما حدث بالأمس .
لقد شقت طريقها إليه كما لم يفعل ذلك مخلوق ، منذ اختطف الموت "روب" و"كريس" . لكنه لم يفرق في التفكير بهذه النقطة كثيراً .
"راش" ستفعل ذلك مع أي إنسان يكون في مكانه .
إن لديها سحراً من نوع خاص في أطراف أصابعها ، في لمساتها ، تأثيراً اكتسبته من المعرفة المستفيضة ومن التجارب .
وبالتأكيد – أصبح مقتنعاً – أن هذه المعرفة المستفيضة ستجعلها تتعرف على حقيقة مشاعرها وصدقها . معنوياً ، هي أقوى من أي شخص عرفه ، وبالتأكيد هي أقوى منه هو نفسه . هل هي هذه القوة المعنوية الجبارة ، التي ستجعلها تهجر تلك الفكرة ، ألا ترتبط بأي شيء في حياتها سوى عملها لدى "م. ر.أ" ؟
أخذ "لوك" يتساءل عما سيفعله ، إن قررت ألا مكان له في حياتها .
ولأول مرة في حياته ، يصل إلى تلك النقطة ، التي تفكر فيها بالشيء الذي يريده ، دون أن يفكر في أي اعتبارات أخرى .
– " لقد خبا وميض الحب الذي كان بالأمس . "
قالها "جوان" بهدوء ، وبابتسامة في ركن فمه ، مختبراً حالة التركيز التي استغرقت "لوك" .
– " نعم " .
كانت "راشيل" تقول شيئاً لـ "موجو" الذي كان يمتطي جوادا بجوارها ، من العجيب حقاً ، أن هذا الهندي ، هو من استطاع إقناعها بمزاولة الفروسية ، أخيراً . ببساطة ، قام بتجهيز (سابرينا) للركوب ، ثم أتى بها إلى الدار بعد الظهيرة ، في أحد الأيام .
أخبر "راشيل" أن الجياد بحاجة إلى التدريب ، وأنهما سيقومان بامتطائها لبعض الوقت .
لقد أخبرت "تيريزا" "لوك" بما حدث ، فقد بدت الدهشة على "راشيل" ، وأخذت تنظر إلى الهندي في هدوء لدقيقة ثم قالت:
– " انتظر ريثما أرتدي الجينز . "

شقت الصداقة القائمة على الاحترام طريقها مباشرة بينهما . الفروسية يومياً. أخذ "موجو" يتحدث مع "راشيل" في أشياء – نادراً – ماكان يثيرها مع أي مخلوق آخر ، ولقد كانت في غاية التبسط والود معه .

وبدأت مهاراتها في ركوب الخيل تتحسن وتتقدم ، ولم تعد تخشى من الجياد .

–"حاول شخصان اقتحام إسطبل (أ) مساء أمس" ، قالها "جوان" فارجاً أساريره .

–"حسنا" . رد "لوك" .

ثم أخذ يفكر في أن يرسل لشراء هذا السرج الجميل المصنوع يدوياً ، والذي كان قد رآه في إحدى المجلات ، ربما يقدمه إليها كهدية بمناسبة الأعياد .

–"لوك" ، هل نناقش هذا الأمر في وقت آخر ؟"

قالها "جوان" وقد نفد صبره فالتفت إليه "لوك" :

–"ماذا ؟"

–"إن عقلك لا يفكر في غذاء الخيول الآن ، "قالها "جوان" بتأدب ، لكن عينيه تحدثتا بأكثر مما قال . وأخذ يتطلع عبر النافذة .

–"ربما يكون من الأفضل ، أن تذهب لتقوم ببعض الفروسية ، أنت أيضاً ."

انفرجت أسارير "لوك" ، لكن ليس لمداراة ما قد يكون شعر به من إحراج لتوه . فليس لديه شيء يخفيه عن الرجل ، الذي كان يعتبره عماً له .

–"إني آسف يا "جوان" ، "قالها غير نادم ، "سوف أكون كلي آذانا صاغية الآن ." جذب كرسيه أمام المكتب ، وجلس عليه ، محاولاً تحرير نفسه من التفكير في تلك المرأة – الطفلة التي أصبحت تمنع النوم من عينيه .

–"الآن ، وقد اعتزمت "حنا" العودة يوم الجمعة ، ما رأيك في أن تصطحبيني في رحلتي إلى "لوس أنجيلوس" يوم السبت ؟" كان "لوك" يسأل "راشيل" ، صبيحة يوم الخميس .

–"هكذا ستتاح لك الفرصة للقيام بشراء بعض الأشياء الخاصة . عندي بعض الأعمال التي ينبغي علي إتمامها هناك ، لكنها لن تستغرق وقتاً طويلا . سيكون بإمكاننا مشاهدة أحد العروض في المساء ، ثم نبيت ونعود لنلحق بوجبة

العشاء مساء الأحد هنا ."

"حنا" اتصلت مساء أمس لتخبرهم أن ظهرها أصبح بخير وأنها ستعود صباح الجمعة .

وعادت "راشيل" – ثانية – تتحسس شعر "جوردي" الناعم .

تمسك بإحدى يديه ، تمرر إصبعه على شفتيها ، كأنما لتستشعر تلك النعومة اللذيذة في أنامل الطفل ، تأخذ وقتها قبل أن تشرع في الإجابة على "لوك" .

لم يبد هكذا أبداً منذ قبلتهما الأخيرة .

لا يحاول الضغط عليها بأي شكل ، بل يخبرها أنه ينتظرها أن تقترب منه ، أن تقترب من طريقة تفكيره .

لكن ما لا يعلمه ، أن باستطاعتها أن تصبح صعبة المراس ، أنها لا تعتزم مطلقاً أن تجعل له سبيلاً إلى أعماق مشاعرها .

–"دعني أولاً أحادث دكتور "سميث" هاتفياً لتحديد موعد لمقابلته يوم السبت ." قالتها "راشيل" بهدوء " يجب أن أناقش معه تفاصيل مهمتي القادمة ."

ومرت سحابة سوداء بـ"لوك" .

–" ألم يوضح لك دكتور "كنتون" كل شيء بعد ، "وأخذ يشيح بيديه .

–" سأقوم بعمل تحليل دم في إدارة الـ "م. ر.أ" ." أخبرته "راشيل" ثم أضافت : "ليس بي شيء الآن . إني أكل كالحصان ، أستطيع أن أسير أميالاً بلا كلل ، أنام جيداً ، كما أني أصبحت بدينة كإحدى بقرات "تيريزا" ."

كانت "تيريزا" تمتلك الحظيرة الصغيرة التي تمد "دياموند بار" باللبن الحليب طازجاً .

لم تبد على "لوك" أي علامات الرضا ، لكنه لم يجادلها ، وقال ببساطة :

–"دعيني أعرف ماذا تقررين ."

وكانت الصفقة القوية لباب حجرة المكتب هي العلامة الوحيدة على استيائه .. أخذت "راشيل" تنظر إلى "جوردي" وهو يجلس مستكيناً يتطلع إلى وجهها ويرتعش من الانفعال .

لقد بدأ يصبح جزءاً منها ، سيكون من الصعب عليها التخلي عنه . ولن

تستطيع أبداً أن تجد سبيلاً لرؤيته بعد الآن .

لقد أصبح يستدير متطلعاً إليها في كل صغيرة وكبيرة ، كما لو كان يشعر أن حبها له أصبح أعمق من حب أية امرأة لأي طفل .

- " هكذا سيكون أفضل ، " قالتها تهمس له .

أخذت تلعب في خصلات شعره ، تملأ ذاكرتها بهذا الملمس ، كي تعينها عندما تصبح في الجانب الآخر من الكرة الأرضية .

كانت "راشيل" تقوم بآخر مهامها في القيام بدور الأمومة ، وهي تبقي عينيها تراقب "جوردي" . لقد أغرقت الحجرة به ، بإحساسها بوجوده ، عندما بدأ يعاود الصياح والصخب . لم يكن بالحجرة سوى لعبه ، دميته المحشوة ، زوج من الكراسي المبطنة ذات المساند ، ، والكرسي الهزاز .

أخذت تنظر إليه يقف على قدميه وينظر إليها بغبطة ، وقالت "راشيل"

- " هذا عظيم يا "جوردي" . "

جال بخاطرها تلك الملاحظة التي أبدتها "تيريزا" منذ قليل .

كانت تتحدث عن مدى الحب العميق الذي كان بين "روب" و "كريس" ، ثم أخذت تلخص قولها :

- "الناس العقلاء هم الذين يتمسكون بكل قوة ويتشبثون بالحب إذا أتى إليهم ."

هل كانت "تيريزا" تريد أن تقول لها شيئاً ما بين السطور ؟ من أن الحياة قصيرة ، ومن أن الناس الذين لا يتمسكون ويتشبثون بالسعادة إن أتتهم ، هم أناس حمقى !

أخذت "راشيل" تعض على شفتها . لكن الحماقة أيضا ، قد تصبح نوعا من التعاقد والاتفاق المقدس ، كالزواج دون التأكد من القدرة على العطاء .

زحف "جوردي" إلى "المشاية" حتى أمسك بها . فوضعته "راشيل" على مقعدها الأحمر .

أخذ يتراجع بها في الحجرة بسرعته المعتادة ، حتى أعاقته الوسادة الكبيرة الموضوعة في نهاية الحجرة على الأرض لإيقافه . كعادته ، بدا عليه الدهشة التي تعتريه دائما كلما أعاقه شيء عن المسير .

ألقت "راشيل" بيديها إلى أسفل . لقد امتلأ جسدها بتلك الأحاسيس التي زرعها "لوك" فيه ، كان يصرخ بها ، يطالب بالمزيد كلما طالت مدة بقائها هنا ، كلما خارت قواها . لكن ، لابد ألا تضعف . أن تحصل الآن على ما تريده ، ثم تكتشف بعد ذلك أنه لا يكفي لأن يظل ويدوم طوال الحياة ، سيكون كارثة تحل بكل منهما . فهناك ما يكفي من الآلام التي أصابتهما في "دياموند بار" ، بما يكفيهما لزمن طويل .

أطلق "جوردي" إحدى صيحاته المحتجة ، فقامت "راشيل" تدير له المشاية للجهة الأخرى ، كان قرارها قد اتخذ بالفعل .

بمجرد أن تأتي "ماري" لمراقبة الطفل ، ستتصل بدكتور "سميث" في "لوس أنجيلوس" وتصر على الحصول على مهمتها القادمة .

الفصل التاسع

يوم الأحد ، بدت الدنيا تصلح منظراً بديعاً يطبع على إحدى البطاقات البريدية. كانت السماء كالصفحة الزرقاء . لم تكن هناك سحابة واحدة بالمشهد كله . والحرارة تعد بالصعود ، حتى برودة الصباح المبكر ذابت ثلوجها تحت أشعة الشمس التي تلوح .

كان "لوك" قد أشار إلى أن الرحيل سيكون مبكراً . استيقظت "راشيل" في الرابعة والنصف ، وكانت قد نالت نصيباً كافياً من النوم . في الخامسة لم تستطع البقاء في الفراش أكثر من ذلك . وجدتها "حنا" في المطبخ تخرج من الفرن إناء قد أعدت لنفسها فيه قطعاً من الشطائر.

- " صباح الخير !"

أصابها صوت "حنا" القوي كعادته بشيء من المباغتة والدهشة ،

- " إنك إحدى الطيور المبكرة اليوم ، أليس كذلك ؟ تبدو هذه الشطائر وقد أعدت بطريقة شهية ."

- " لقد عثرت على كتاب للطبخ في أحد الأدراج ، وقد أخبرتني "تيريزا" ، أنك لن تعارضي إن استخدمته ."

ربما كان من الأجدر أن تذهب للتمشية قليلاً بدلا من هذا الحديث الذي لا معنى له .

- " بالتأكيد لن أعارض ." قالتها "حنا" بسرعة ثم أضافت :

" في الحقيقة ، بما أنك قد أعددت ذلك ، فسأجد وقتاً كافياً كي أكمل القائمة وأدون كل الاحتياجات . أواثقة أنه لن يسبب لك أي إزعاج أن تقومي ببعض المشتريات من أجلي ؟ لا تبالي إن لم تستطيعي العثور على كل شيء ، ففي منتصف الأسبوع سنقوم أنا و "بيتي" بالنزول إلى المدينة طوال النهار ."

أخذت "حنا" تنظر إلى القائمة ثم إلى المائدة تبحث عن شيء .

-"أوه يا عزيزتي . لقد نسيت عينة الصوف ."

-"هل أبحث عنها لك ؟"

عرضت "راشيل" وهي تتطلع إلى ثوبها الصوفي الذي أخذت العينة من بقايا قصاصاته . الشطائر بالفعل تبدو وقد أعدت جيداً . والآن ، هل ستسير بقية أمورها بطريقة جيدة . بالأمس كانت صلصة الجبن التي أعدتها تبدو بها الانبعاجات والتموجات أكثر مما تبدو في إحدى الوسائد العتيقة ، أما أول أمس فقد كان مصير الكعكة التي كانت تعدها هو القمامة .

- "أشكرك ، ولكني لا أتذكر أين وضعتها . إن ذاكرتي تضعف كل يوم ."

أخذت "حنا" تهمهم وهي تغادر الغرفة . أثارت الملاحظة انتباه "راشيل" . فهذه أول مرة تسمع عن ضعف يطرأ على ذاكرة "حنا" . إن عاملة المنزل هي أفضل مؤرخة عرفتها . تستطيع أن تتذكر أشياء قالها الجد الأعظم "روب" بكل دقة . التواريخ ، المواعيد ، حتى فصول السنة . إن الاستماع إليها تتحدث عن أيامها الأولى بالمزرعة ، أفضل من قراءة كتاب . استدارت "راشيل" إلى المائدة وأخذت تعد لنفسها بعض الشاي . لقد عادت "حنا" بالأمس وقد أتت لها بهدية . فنجان مخصوص لها وقد حفر اسمها عليه . تأثرت "راشيل" ، احتضنتها وقد أوشكت على البكاء .

- "جاجا" .

-"صباح الخير يا حبيب قلبي" .

استطاعت بصعوبة أن تكمل جملتها . كان البنطلون الرياضي الأزرق الذي يرتديه "لوك" يمتد طولاً حتى يكاد يغطي أسفل قدميه . لم ينتظر ليرفعه قليلا لأعلى ، كي يمنع البرودة من الانسلال إليه عبر قدميه . كانت بقايا قطرات الماء لا تزال تبلل شعره وتلمع على صدره ، فقد خرج من الحمام لتوه ، بدت نعومة الطفل ، في مواجهة القوة العضلية لصدر "لوك" .. وجه غريب للمقارنة . تسللت نبضة إلى "راشيل" هزت كيانها هزاً .

-"إنه يتلهف لزجاجة رضعته ."

وأخذ "لوك" يبحث في الثلاجة .

-"خل عنك . دعني أعاونك" ، تغلبت "راشيل" على ما اعتراها من تجمد ، وأخرجت الزجاجة ثم وضعتها في جهاز التدفئة .

عندما أصبحت أكثر قرباً من "لوك" ، تسللت إليها رائحة عطر الصابون وقد امتزجت بعطر - بعد الحلاقة - الذي يستعمله ، فغاب كل ما عدا ذلك من الوجود حولها . ذ ابت "راشيل" تحت وقع هذا الامتزاج العجيب .

-" هل أقوم بأخذه معي حتى تجهز تماماً ؟"

أخذ "لوك" يتفرس فيها من رأسها حتى قدميها ، فشعرت "راشيل" بأن لونها قد تغير .. كانت ترتدي جينز وسويتر حتى تشعر بالراحة ، والآن ، كانت تتمنى أن تمتلك شيئاً أكثر أناقة لترتديه . لكن الملابس الأنيقة لن تغير من شخصية الإنسان ولا من حقيقته .

-" لا مانع عندي ، "قالها "لوك" بسهولة وعفوية ثم أضاف :

" يبدو أن اليوم سيكون يوماً جميلاً ، لكن خذي سترتك على أية حال . فسيصبح الجو بارداً في الليل ."

-" حسناً ."

أتت "حنا" إلى المطبخ ، وقد جلست "راشيل" إلى المائدة تمسك بإحدى حفاضات "جوردي" ، وتراقبه يرضع من زجاجته متعجلاً كعادته .

-"دعيني أحمله عنك ، كي تتناولي إحدى الشطائر وهي لا تزال ساخنة قبل أن تبرد . القائمة جاهزة في جيبي ."

-"لا داعي ، شكراً يا "حنا" ، ونظرت "راشيل" إلى تلك العيون الزرقاء الصافية المثبتة على وجهها ،

-"سوف آكل معكما أنت و "لوك" ."

كانت هذه إحدى المرات النادرة هذا اليوم ، التي يسمح فيها "جوردي" لأحد أن

يحتضنه . كان يكبر وينمو في سرعة ، وفي الحقيقة ، إنها لا تريد أن تظل هنا فترى تلك التغيرات والنمو يطرآن عليه فتثبط عزيمتها .

أخذ "جوردي" يبتسم إليها ، كانت - تعلم في هذه اللحظة - أنها حتما لن تغير مكانها مرة أخرى . ربما ذات يوم ، عندما تطعن في السن ، قد تعود وتشاهد تلك الأفلام التي اعتاد "لوك" على تصويرها دائما بكاميرا الفيديو ، فتشاهد ما فاتها .

ظلت "حنا" ساكنة للحظة تشاهد ذلك المشهد الذي يكونانه قبل أن تستدير وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة الرضا .

لقد جاء توقيت هذا المشهد المفعم بالحب للطفل في الوقت المناسب . أخيراً ، سيكون سبباً في شيء جيد يحدث بالدار ، ذلك الرجل الأكول ، الذي أتى إلى الدنيا في العام الماضي .

أخذت تتذكر انفعالات "راشيل" عندما شاهدت "لوك" يأتي عاري الصدر ، تركتها "حنا" تلقي نظرة سريعة ، تعمدت أن تتجاهل النظر إلى وجه "راشيل" لبرهة . إنه غالبا ما يأتي بهذا الشكل أول الأمر كل صباح . لقد أخبرتها "تيريزا" بأشياء أثلجت صدرها منذ واقعة اقتطاع شجرة الميلاد ، لكن الأمور لم تستقم حتى النهاية .

ولقد اعتزمت "حنا" أن تعيدهما إلى الطريق الصحيح ، تغيير بسيط في خط سير الأحداث سيعيد الأمور إلى نصابها .

بعد لحظات عاد "لوك" يرتدي بنطلونه الجينز وفانلة حمراء مفتوحة الرقبة ، كان "جوردي" على كرسيه ذي العدادات في الغرفة المشمسة مع "راشيل" ، كان راضياً عما يدور ، مؤقتاً . هم "لوك" بالجلوس إلى المائدة عندما استوقفته كلمات "حنا" .

- " أبداً لم أعتقد أنك بطيء . مستبد الرأي ، نعم ، بطيء ، لا . "

أخذ "لوك" يتلفت حوله . كان هو المخلوق الوحيد الموجود معها في المطبخ

- " أستميحك عذراً ؟ "

ربما كانت "حنا" تتحدث إلى نفسها .

- "أنت . " ، استدارات "حنا" من أمام الموقد وأشارت إليه بملعقة خشبية كانت في يدها ، لتمحو أي شك فيمن تقصده بكلامها ، " بطيء ، مستبد الرأي ، عنيد . "

كل كلمة تصحبها إشارة بالملعقة .

"هل تنوي أن تدع "راشيل" ترحل ؟ لقد كنت أعتقد أن لديك القدرة على التمييز، بدرجة أكبر مما أراه الآن . "

بهت وجه "لوك" ، وقال بنبرات جافة :

- "إن قرار البقاء يجب أن يكون قرارها هي . "

أخذت "حنا" تسأله :

- " وما الضرر في بعض التدليل ؟ بعض من العبارات مثل : لن أدعك ترحلين أبداً . "

- " لا . "

كان عقل "لوك" - حتما - قد فقد صوابه واستشاط

" لكي تنجح أي زيجة ، يجب أن ينبع القرار من فردين و ليس من فرد واحد . "

- "هم ! "

وضعت إبريق الشاي على المائدة ، ولم تزد كلمة واحدة فقد أتت "راشيل" .

إن النفس البشرية في هذا العصر حمقاء للغاية ، حمداً لله ، لم يكن "كارلوس" يعاني أيا من ذلك . لقد قبلها ببساطة ونظر إلى عينيها مباشرة ثم قال :

"سنتزوج في الخريف القادم ، ستكونين لي . "

قررت "حنا" أن تمهل "لوك" أسبوعاً واحداً أخر كي يقوم بخطوة من جانبه ، إن لم يعدل من تصرفاته حتى ذلك الحين ، فإن وجبة الجزر المغلي يومياً قد تصلح له عقله .

كانت وجبة الفطور في غاية الهدوء ، كان كل منهما غارقاً مع أفكاره .

- " فلتستمتعا بوقتكما تماماً ، ولا يقلق بالكما أي شيء هنا . " كانت "حنا" تحدثهما وهي تقف بالشرفة لتوديعهما ، " "جاسون" سينام في الدار الليلة .

وبما أن اليوم هو السبت ، فإن "ماري" و " تيريزا" لن تحضرا ، لكننا أنا و"أنجيلا" سنتدبر أمورنا جيداً . "

كانت "راشيل" تدرك أن فكرة الرحيل عن "جوردي" توشك أن تتحقق الآن ، لم يبق سوى أربع وعشرين ساعة ، و يولد بداخلها خواء هائل .

يمكنها أن تلقي نظرة أخيرة على وجهه فتحتفظ بذكرى هذا المشهد معها وهي راحلة ، استدارت على مقعدها لتلحق بآخر نظرة .

- " سيكون بخير ، " قالها "لوك" ثم أكمل :

" لاتخشي شيئاً . "

لكنها كانت تخشى. ماذا لو انكسرت واحدة أخرى من أسنانه . ماذا لو لم تعثر "حنا" على دمية البقرة البيضاء التي اعتاد عليها في الأيام القليلة الماضية .

ماذا لو ..

- " "راشيل" ، إن خطوط التعاسة تكسو وجهك ، " كان صوت "لوك" حزيناً رقيقاً ، "إن "جوردي" سيكون بخير . "

- " أعلم . الأمر فقط أن ... "

وغاب صوتها بعيداً .

- " قد كنت أشعر بنفس هذا الشعور في البداية . لكنني قد اتصلت بالدار بعد نصف ساعة من الرحيل ، فأخبروني أن الأمر لم يستغرق سوى ثوان معدودة على اختفاء السيارة عن أنظارهم ، حتى عاد "جوردي" إلى حالته الطبيعية ولهوه . هذا يبدو صحيحاً . إن "جوردي" لطفل سعيد للغاية ولن يبقى حزيناً لفترة طويلة . " وبعد لحظة صمت قال "لوك" :

"سيستغرق الطريق ساعتين ونصفا إلى ثلاث ساعات . يمكنك الحصول على

إغفاءة قصيرة إن شئت . "

كان "لوك" يقود سيارته "المرسيدس " ، فهو لم يستعمل شاحنته اليوم .لم تكن قد رأت تلك السيارة من قبل ، لكنها كانت تتوقع أن يكون بالجراج الموجود على يسار الدار ، والذي يتسع لأكثر من ست سيارات ، أن يكون به أكثر من الشاحنة الزرقاء . بدأ شكل الطريق يتغير مع اقترابهم من "لوس أنجيلوس " .

في هذا المكان اختلف شكل الجبال ، كانت قد عبدت وتم تمهيدها طرقا من أجل التنمية . جديدة .. قبيحة الشكل تخلو من نعومة الأشجار التي تكسو المشاهد بالطبيعة الخضراء ، المنازل تبدو كمساكن للأشباح ، أحست "راشيل" بالفخر أنها لا تنتمي إلى سكان المدن .

أوصلها "لوك" أمام مقر الـ "م . ر . أ " . بوسط المدينة ، أخبرها أنه سيأتي ليأخذها مرة أخرى في الثانية عشرة ظهراً .

أومأت "راشيل" برأسها . إن ساعتين من الزمن ، وقت كاف جداً لترى دكتور "سميث" ، ولتقوم بعمل تحليل دم ، وقد تجد الوقت أيضاً لأخذ بعض حقن التطعيم .

لكن الوقت لم يكفها تماماً .أصر دكتور "سميث " أن يصحبها في جولة بأرجاء الإدارة، كان يعاملها كما لو كانت ضيفا هاما يزور المبنى ، أخذ يقدمها إلى موظفي الـ "م . ر . أ "على أنها واحدة من أهم العاملين الميدانيين .

أخذها لمشاهدة حجرة عروض الفيديو وجناح التدريب ، متحدثاً طوال الوقت عن حاجتهم إلى مدير للبرنامج التعليمي للمتطوعين .

بدأت تشعر "راشيل" بشيء من التلميح الخفي وراء كلماته .

هل هناك غرض ماوراء هذه الجولة ؟

يبدو على دكتور "سميث" أنه قد أخذ انطباعاً عنها أنها قد غيرت رأيها بشأن العودة إلى "بنجلاديش" . يجب أن توضح له موقفها تماماً في هذا الصدد .

- " متى برأيك يمكنني العودة إلى "بنجلاديش " ؟ "

www.elromancia.com

كانا قد دخلا ثانية إلى مكتبه وجلسا كل في مواجهة الآخر . وعلى المائدة التي تفصل بينهما قد وضعت صينية بها فنجانان من القهوة وطبقاً من الشطائر .

-"حسناً ..."

وفتح دكتور "سميث" أحد الملفات أمامه .

-" ما خططك بشأن الاحتفال بقدوم العام الجديد ؟ لدينا مجموعة ستقوم بالسفر إلى الخارج في نهاية شهر يناير (كانون الثاني) ."

-"أرجوك ، أريد الرحيل مبكراً عن هذا الموعد ."

نظر إليها دكتور "سميث" من فوق نظارته . يبدو أن ثبات عينيها الرماديتين قد أوحى إليه بقرار .

-" حسن جداً ، إن كنت تصرين على الرحيل مبكراً ، يمكن أن أقوم ببعض الترتيبات بحيث ترحلين في الحادي والثلاثين ."

هكذا ستتمكن من الاحتفال بقدوم العام الجديد كما خططت تماماً - وحيدة .

وقفت "راشيل" على قدميها ، متجاهلة تلك الانتفاضة الرهيبة التي أحست بها في قلبها ، ومدت إليه يدها .

-" أشكرك يا دكتور "سميث" . سأقوم بعمل تحليل الدم ، هنا الآن ."

وبنظرة إلى الساعة المعلقة فوقه أدركت أنها تكاد تسابق الزمن .

-" إن وقتي ضيق للغاية ، لذا سأذهب لأرى دكتور "كنتون" ليقوم بالتحاليل اللازمة، ولأخذ حقن التطعيمات ."

-" قبل أن أنسى ، "

قالهادكتور "سميث" معاوداً النظر إليها من فوق نظارته .

"لا تنسي أن تبعثي بخالص شكري للتبرع السخي الذي قدمه مستر "سومرز" إلى الـ "م . ر . أ" ."

-" تبرع ؟"

كانت هذه هي المرة الأولى التي تسمع فيها بذلك .

-" نعم ."

وهو يخلع نظارته من فوق عينيه ، أخذ في تنظيف عدساتها ثم أعادها فوق أنفه ، متفرساً في "راشيل" من فوق عدساتها .

-"لقد بعث إلينا شيكاً بمبلغ خمسة وعشرين ألف دولار ."

-"ف ... فهمت ."

شكرت "راشيل" دكتور "سميث" على وقته الذي قضاه معها، وودعته . تذكرت "راشيل" أن عليهاأن تطلب من دكتور "كنتون" أن يبعث بفاتورة علاجها إلى الـ "م . ر . أ" ، وهرعت من المكتب متوجهة إلى الجناح الطبي .

كان "لوك" في انتظارها عندما خرجت من المبنى ذي اللونين الأزرق والأبيض . خفق قلب "راشيل" لما رأته ينزل من وراء عجلة القيادة ليفتح لها باب الـ"مرسيدس" . خمسة وعشرون ألف دولار !

لم قام "لوك" بالتبرع بمبلغ كبير كهذا؟

-" كيف سارت الأمور معك ؟ "

لم يحاول أن يحرك السيارة من مكانها ، بالرغم من أنه كان مكاناً ممنوع انتظار السيارات فيه . اشتد الانفعال بـ "راشيل" لما أصبحت تواجهه وجها لوجه .انتابها الشعور بأن السيارة قد ضاقت بهما ، وأنها قد أصبحت معزولة معه عن العالم خارجها .

-" لقد خيرني دكتور "سميث" بين أحد خيارين . يلزمني بعض الوقت للاختيار بينهما . لقد تأخرت بسبب تحليل الدم . أرجو ألا أكون قد سببت لك المتاعب بسبب انتظاري ."

كانت الجمل تخرج منها كما تحس بها وتشعر ، غير مرتبة ، غير منسقة، حادة، وبهزة من رأسه تناسى "لوك" الربع ساعة التي وقفها ينتظرها . التقط بسهولة النبرة المرتبكة التي بدت على صوتها .

-"وما تلك الخيارات ؟"

-" الأول : أن أبقى هنا لأدير البرنامج التعليمي للمتطوعين . والثاني : أن أعود إلى بنجلاديش ."

-"والثالث : أن تتزوجيني وتعيشي معي في" دياموند بار" ."

بنعومة أدار "لوك" المفتاح في السيارة ، وانسل بها في خضم ذروة المرور بوسط المدينة .

أخذت "راشيل" تنظر إلى "لوك" مبهورة . لقد قدم العرض بكل عفوية ، كما لو كان مجرد فكرة للتدارس ، كأنه يختار أي الملابس يرتدي في مناسبة خاصة .

-"أستمحيك عذ ..."

ربما لم يقل ما سمعت ... ربما كانت زحمة المرور وتضارب الأصوات بين بشر وآلات ، ربما تداخلت الأصوات والجمل في أذنيها فتخيلت تلك الكلمات.

-"إن ما سمعته صحيح ."

وألقى إليها "لوك" بنظرة سريعة " أمامك ثلاثة اختيارات، لا اثنان ."

كل هذه المحاولات من أجل توصيل الرسالة . لم هو مستبد برأيه على هذا النحو ؟ هل يعلم أن المحيط يزدحم بأسماك أكبر وأحلى وأفضل تتلهف للقفز ، حتى تلتقي به ؟

أغرق ما بداخلها من معاناة في مزيد من الألم ، لما طرأت لها تلك الأفكار . ليس من السهولة أن تتحول إلى حيوان يستكين في الحظيرة منتظراً أن توضع له العليقة .

لم يبد على "لوك" أنه ينتظر رداً على عرضه في الحال ، أما "راشيل" فقد تركت هوة الصمت تتسع بينما هي غارقة مع اختياراتها .

لقد اختار قلبها - مؤقتاً - أفضل هذه الخيارات وأحبها إليه ، لكن عقلها لم يقبل هذا الاختيار . بعد عشر دقائق كانا قد ابتعدا عن الشوارع المزدحمة ، وأصبحا يجلسان في أحد المطاعم الصغيرة الأنيقة . كان المطعم واحداً من ممتلكات العائلة ، الكل فيه تعرفوا على "لوك" وأتوا للسؤال عن "جوردي" .

أخبرهم بأنها ابنة عم "كريس" ، فبدا البشر على الأب والأم "باتريني" وغمر المكان .

استرقت "راشيل" النظر نحو "لوك" وهو يتحدث إلى "باتريني" الابن ، يسأله عما أزعجه مؤخراً من شائعات وأقاويل . لكن لم يبد على وجهه أي تعبير أو تجاوب . ثم أعادا تمثيل مشهد لقاء الأحبة بعد غيبة .

بمرور الوقت أصبح المشهد أشبه بأصدقاء قدامى ، لا يرغب أي منهم من الآخر سوى قضاء بعض الوقت مع صحبة ممتعة .

-" هل تحبين الأطعمة الإيطالية ؟ "

سألها "لوك" وهو ينظر إليها من فوق قائمة الطعام التي يمسك بها ، عندما أصبحا أخيرا منفردين .

"هناك أيضاً بعض الأطباق الأمريكية ، إن كنت تفضلين ذلك ."

-"أنا لا أعلم الكثير عن الطعام الإيطالي ."

لا تتذكر إلا صلصة المكرونة التي تباع معبأة في أوعية زجاجية وخبز الثوم ، كانت تبتاعهما من البقال في صغرها .

"لا مانع من أن أجرب شيئاً منها ."

وضعت أمامهما أطباق السلطة مع خبز الثوم الذي لم تذق "راشيل" أفضل منه طعماً طوال حياتها ، ثم تلا ذلك أطباق الجمبري مع صلصة الجبن .

" لقد كان هذا شهياً للغاية . "

أخبرت "لوك" بعد بعض الوقت ، وهي تنظر بدهشة إلى طبقها الخالي تماماً .

قال لها وهو يشير للساقي :

-"جربي شيئاً من الآيس كريم ، لقد اشتهروا به ."

أومأت "راشيل" برأسها بشيء من الضعف ، وهي تتساءل هل ستكون قادرة على القيام بأية مشتريات بعد هذه الوليمة الدسمة .

كان الآيس كريم رائع الطعم ذا نكهة ذكية .

-"هم م م . ألا تريد بعضاً من هذا الأيس كريم اللذيذ ؟"

لم يطلب "لوك" لنفسه أياً من أطباق التحلية ، فقط قدحاً من الشاي . فأخذ يرفع بصره إليها ، وعيناه تسترقان النظر إلى حركاتها وهي تأكل ، ثم أومأ برأسه .

-" نعم . "

كان بنظرته شيء ما ، وهي ترفع الملعقة وقد ملأتها من الأيس كريم تقدمها له ، جعلها تشعر كأن فراشات تحلق ، تتراقص بداخلها . أخذت تثبت رسغها لتحتفظ بوضع الملعقة مستقيماً ، تناول طرف الملعقة الممدود إليه وأطبق عليه فمه، وعيناه مثبتتان على شفتيها ، فلم تخطئ رسالته الطريق إليها .

" لذيذ ".

شعرت "راشيل" بوهن حمل رضيع . أخذت تكمل طبق الأيس كريم ، تصب فيه جهدها ، لتخفف الإعياء عن عقلها وأفكارها .

-" هل يمكننا الانصراف الآن ؟ "

والتقط "لوك" بطاقة الائتمان التي نقد بها أجر الوجبة ، وفتح حافظة بنية ناعمة فوضعها فيها .

-"قبل أن أنسى ، دعيني أقدم لك هذه . "

-"هذه " .

كانت بطاقة ائتمان تلمع بلون الذهب ، واسمها مكتوب فوقها . أخذت "راشيل" تتطلع إليها مركزة بصرها .

-" ولأي شيء هذه ؟ "

-" كي تقومي بجولة المشتريات ".

فردت بشيء من الجفاء :

-" لدي نقودي الخاصة " .

-" أعلم ." قالها "لوك" ببساطة ثم أضاف ،

" لكن إن لم تحملي معك النقود أينما ذهبت ، فسيلزمك إظهار نوع من الضمان كي تستعملي شيكاتك ."

-"فهمت " .

لم يكن لديها أدنى فكرة عن ذلك . ولم يكن بحوزتها أي إثبات هوية في الوقت الحاضر أو حتى عنوان لمحل إقامتها بالبلاد مدون على الشيكات . مما قد يعرضها للمشاكل في متاجر البيع .

-" إن حاول أي مخلوق الاعتراض على قبول شيكاتك ، فقط استعملي بطاقة الائتمان ، وفي وقت لاحق يمكنك تحرير شيك لي بالقيمة التي استنفدتها."

لديه دائماً حل متكامل لكل شيء ولكل موقف كما هو حادث الآن معها ، رجل متصرف مسؤول عنها، عن ألاتصادف أي موقف يصيبها بالإحراج والارتباك .

والتقطت "راشيل" البطاقة الذهبية المغلفة بالبلاستيك . أحست كأن مفتاح كل الأبواب المغلقة أصبح بيدها .

-"أشكرك" .

قادها " لوك" إلى خارج المطعم واضعاً راحة يده على ظهرها . كان جسدها يلتهب ناراً من ملمسه .

أخذت تحاول التماسك ، تأمل ألا يخطر على باله ما يدور بخلدها من رغبة - في أن تستدير تجاهه - تشتعل بداخلها ، ركبا السيارة حتى سوق "جلانديل" التجاري ، كان يحدثها في الطريق عن الغرف التي قام بحجزها في فندق "باسادينا" ، وعن العرض المسائي الذي يتمنى أن تستمتع به .

كان الفندق الذي ذكر اسمه واحداً من أفضل الفنادق .

أخذت "راشيل" تتساءل إن كان حسابها بالبنك يتحمل مصاريف إقامتها بمثل هذا الفندق .

-"لم يتبق أمامنا إلا حوالي أربع ساعات ونصف " ! قال "لوك" وهو يقود السيارة إلى مكان الانتظار .

www.elromancia.com

-"إن لم تكملي مشترياتك اليوم ، بإمكاننا العودة في الغد مرة أخرى ."

شعرت "راشيل" بشيء من الدهشة ."أربع ساعات ونصف"، هل ظن "لوك" أني أريد شراء رخام لترميم تاج محل . ساعة - على الأكثر - تكفيها لتشتري ما تحتاج إليه وما بقائمة "حنا". داخل السوق التجاري ، شعرت "راشيل" بالدهشة مرة أخرى . المكان يبدو مثل كهف "على بابا" الأسطوري . يملأ الناس المكان ، يبدو أن كلا منهم يعلم تماماً أين هو ذاهب . مر بهما شابان مفتولا العضلات وقد طالت شعورهما ، أخذا في النظر إلى "راشيل" بتطفل ، دون مراعاة لتحرك "راشيل" جهة "لوك" ، ملتصقة به .

ففرج "لوك" بين أصابع يده ، ثم شبكها بأصابعها . علمت "راشيل" على الفور أنه لا ينوي أن يتركها وحيدة ها هنا . جذبها برفق إلى الأمام ثم قال :

-"دعينا نبدأ من هنا ."

تركها في القسم النسائي بالمتجر الكبير ، قائلاً إنه سيعود إليها بعد برهة .

أخذت "راشيل" تتطلع حولها ، أخذ رأسها يدور مما تجده معروضاً أمامها .

تجولت بأرجاء المكان ، ألقت مجرد نظرة على كل الرفوف الموجودة ، والآن أخيراً قامت بلمس شيء ما .

عاد "لوك" يحمل لفافة ليجدها لاتزال تشاهد .

-" إن لم يكن يعجبك أي شيء هنا ، يمكننا الانتقال إلى متجر آخر من متاجر هذاالسوق ، هناك العديد من المحلات الأخرى ، نختار منها ما يروق لنا ."

-"ليس الأمر كذلك ، " قالتها "راشيل" بسرعة ثم أضافت :

" المشكلة أن هناك العديد والعديد من الاختيارات، وأنا لا أعلم من أين أبدأ ."

بدت كطفل يقف في محل اللعب ، فضحك "لوك" .

-"خذي وقتك . إني ذاهب إلى قسم العدد اليدوية والآلات ، سأبحث عن بعض الأشياء ."

أخيراً اختارت "راشيل" فستانا حريرياً أحمر اللون مرسوما على إحدى كتفيه

وردة بلون رمادي ، وقطعة من الملابس الداخلية ، وسترة رياضية بلون أخضر لامع . لم يكن لديها أية نية لشراء المزيد . في مثل هذا الوقت من الشهر القادم ستكون قد عادت إلى" بنجلاديش "حيث لن تكون بحاجة إلى هذه الملابس . لكنها في الوقت الحاضر - على الأقل - كانت تريد أن تفعل شيئاً يشعر "لوك" و "جوردي" بالفخر . فقد أخبرتها "حنا" أنه يتقاطر عليهم العديد من الزوار في أسبوع الأعياد . ولم ترد "راشيل" أن يفكر أي منهم أنها من الفرع الفقير من العائلة .

قامت باختيار بعض الأثواب الثقيلة لكل من "حنا" و "تيريزا" . كلتاهما كانت في غاية الرقة معها ، زوج من الأقراط العريضة اللامعة لـ "أنجيلا" ، وحقيبة يد من أجل "ماري" ، لم تأخذ منها هذه المشتريات وقتاً طويلاً . ثم ابتاعت من قسم الأطفال بعض الملابس لـ"جوردي" . كان بداخلها ارتياح عميق وهي تتسوق للطفل . أعجبتها تلك الفكرة ، فإن استخدامه لما اشترته له - حتى بعد رحيلها ، سوف يشعرها بشيء من السعادة .

كانت تدفع ثمن مشترياتها عندما عاد "لوك" . نظر إلى كومة الملابس المختلفة ولم يعلق بشيء .

-"أين نتوجه بعد ذلك ؟"

سألها وهو يحمل عنها حقيبة المشتريات.

-"إلى أي مكتبة ، ثم إلى أحد متاجر المشغولات الفنية ."

أخذا يسيران بالسوق التجاري . كان "لوك" يحيط كتفيها بيده ليحميها من الزحام وليحافظ على سلامتها من أن يصطدم أحد بها . أحدث هذا الالتصاق انفجار حريق بداخلها ، حتى ظنت "راشيل" أن الدخان سينبعث في أية لحظة من أذنيها.

بعد بضع دقائق ، توقفت "راشيل" أمام أحد متاجر الأحذية . وتحت ادعاء الاهتمام بمشاهدة أحد الصنادل المعروضة ، ابتعدت عن "لوك" . أي احتكاك

أخر به ، فسوف تنهار تماماً .

-"ألا تودين أن تدخلي المحل ، فتجربيه في قدميك ؟"

سألها "لوك" .

هزت "راشيل" رأسها .

لا يوجد بين أي هذه الأحذية النسائية الرشيقة ما ينفعها حيثما هي راحلة ، ثم إن الحذاء الأسود الذي كانت قد ابتاعته أول يوم سيتناسب مع فستانها الأحمر.

في المكتبة قامت بشراء كتاب عن طيور الزينة من أجل "جوان" ، وأحد كتب المطبخ من أجل نفسها . وجدت كتاباً عن فن المكرميات وآخر الكتب عن قصص الحب التاريخية التي طلبتها "حنا" في قائمتها ، قامت بعد ذلك بشراء بعض الكتب الملونة من أجل "جوردي" .

لن تنسى يوم أن عثرت على أحد الكتب الجغرافية وبه صور للحيوانات فأخذت تعرضها عليه ، واستطاع في اليوم التالي أن يتعرف على الصور ويشير إليها واحدة بعد الأخرى ، ثم يقفز لأعلى ولأسفل بطريقته المعهودة عندما يريد السؤال عن شيء . الآن قد اكتملت قائمة الهدايا التي اعتزمت شراءها - باستثناء هدية "لوك" .

كانت قد طلبت عن طريق إحدى المجلات التي تعرض السلع ، شراء إحدى ألعاب الفيديو من أجل "ديفيد" ، وقلم أنيق لـ "جاسون" ، وإحدى القنينات الكريستال لـ "موجو" . ربما اصطحبها "جاسون" معه إلى "سانت باربرا" في أحد الأيام ، حيث تستطيع شراء شيء من أجل "لوك" .

لم تأخذ الجولة في محل المشغولات وقتاً كبيراً . أحد البائعين بالمتجر تناول منها قائمة "حنا" والعينات ، ووجد لها كل ما كانت تريد في وقت قياسي بينما كانت تشاهد السجاد الخلاب المزركش بالخطوط المتقاطعة ، المعلق على جدران المتجر ، كانت تتمنى لو امتلكت الموهبة والصبر لعمل أشياء كهذه .

-" تلك هي آخر مشترياتي ."

أعلنت ذلك وهي تحمل حقيبتها .

-" هل أنت متأكدة من ذلك ؟ " وبدا "لوك" كأنه ود التراجع عن هذا القول .

أومأت "راشيل" برأسها .

-"نعم ،لكن يمكنك أنت المواصلة لتبتاع بقية مشترياتك ."

وسارا إلى متجر آخر فقال "لوك" :

-"دعينا ندخل إلى هذا المتجر لدقيقة . أريد شراء هديتين إضافيتين ."

أخذت "راشيل" ترمق الجناح النسائي بالمتجر . تبين لها أن هذا المتجر يختلف عن المتاجر الأخرى ، السجاد الفخم ، الأناقة الهادئة ، البائعة التي تشبه عارضات الأزياء . من أول نظرة ألقتها على الأسعار المدونة على البطاقات المثبتة في السلع تبين لها استحالة شراء أي شيء من هنا ، لكنها تبينت من نوعية البضائع المعروضة أنها تساوي كل سنت يدفع فيها .

-"أي خدمة ؟ " نظرت "راشيل" إلى تلك المرأة التي تماثلها عمراً وتختال أناقة

-" لـ ...لا .. شكراً لك . إني ألقي نظرة فقط ."

ثم مالت "راشيل" نحو قسم العطور وأدوات التجميل وأخذت تشاهد المعروضات في صندوق العرض الزجاجي . لم تكن تدري ماذا يمكن أن تصنع بمثل هذه الأشياء ."

-" إننا نعرض بعض الماركات الجديدة اليوم. أتريدين واحدة منها ؟ "

أخذت تنظر إلى تلك المرأة ،كانت أكبر سناً وقد جملت وجهها بعناية ، ومن وراء عارضة البيع التفتت ثانية إلى أدوات التجميل المعروضة .

-"إنها مجانية . لست بحاجة إلى أن تشتري أي شيء . "أخذت المرأة تحاول الدعاية للمعروضات .

توقفت "راشيل" وهي غير مصدقة .

ولم لا ؟ لاضرر في أن تعرف طرق تجميل وجهها ، سيفيدها ذلك حتى حيث

هي ذاهبة .

-" لا مانع ."

وقدمت المرأة نفسها إليها

-" "هيلين" ." ثم شرعت في الحديث بلا توقف .

" إن تقاطيع وجهك ممتازة حقاً . ولو أن بشرتك من النوع الجاف . يجب أن تستعملي المستحضرات المرطبة للبشرة . هل تستعملين كريم أساس ؟ حسناً ، أنا أيضا لا أستعمله . بعض البودرة تؤدي الغرض . الآن بعض ألوان الظلال هكذا . هل ترين كيف تبرز ملامحك بطريقة أفضل ؟ يالها من ملامح رائعة . كل ما ينقصك الآن هو لمسة من أحمر الخدود . سوف أزيد قليلاً من ماكياج العينين . إنهما لجميلتان . ما هو لون الملابس المفضل لديك ؟ "

-" الأحمر . "منذ متى ؟ صوت ساخر بداخلها أخذ يتساءل منذ رأت عيني "لوك" تلمعان كلما ارتدت السويتر الأحمر .

أتمت "هيلين" لها ماكياج العينين ، وهي تروي لها شيئاً عن زيادة مقدار الماكياج بهما ، بينما جزء من فكر "راشيل" ذهب بعيداً إلى ذلك الصيف الذي قضته مع "كريستينا" . كانتا تجربان يومياً طريقة ماكياج جديدة ، وتسريحة شعر مختلفة.

كانت العمة "ماري" قد اشترت لها بعض أدوات التجميل كهدية . ولما عادت إلى منزلها ألقى أبوها بهذه الأشياء بعيداً ، قائلاً إنه لاينبغي لها أن تجعل من نفسها شيئاً رخيصاً هكذا ، طالما هي تعيش تحت سقف بيته .

كان قد فعل مثل ذلك - بما فيه الكفاية - مع أمها .

لم تتألم "راشيل" لهذه الذكرى . كانت تسترجع كل لحظة اختزنتها في ذاكرتها عن ذلك الصيف البديع حيث كانت بالمكان الوحيد الذي لا يستطيع أبوها أن يقتفي أثرها.

-"نعم هكذا . ظل الجفون هذا يناسبك تماماً ."

من البداية أدركت "راشيل" الفارق ، كانت تقف أمام عارضة البضائع تواجه المرآة ، فترى عيوناً عديدة تحملق في وجهها المنعكس في المرآة.

استعملت "هيلين" أحمر شفاه من النوع الخفيف الفاتح ، فوضعته على شفتيها.

فأضفى هذا اللون غنى عليهما مع مسحة غامضة .

-"ها هي قطعة من القماش . أطبقي شفتيك عليها كي أضع لك طبقة أخرى . لقدانتهيت هكذا . تبدين رائعة الجمال ."

تراجعت "هيلين" إلى الخلف وهي تنظر إليها وقد ارتسمت ابتسامة رضا على وجهها .

-"ياليتني أستطيع أن أحدث مثل هذا الأثر الجميل مع بقية زبائني . كل ما استعمله هو البودرة والألوان وقلم العيون وبعض الظلال وأحمر الشفاه إنك تبدين الآن في غاية الروعة ، إنك تشبهين هكذا مليون دولار تقف على قدمين . أليس كذلك يا سيدي ؟ "

تجمدت أوصال "راشيل" . كانت تفكر بأن تقوم بغسل وجهها قبل أن يراها "لوك" هكذا . لكن فات الأوان . ابتسمت ، واستدارت في مواجهته . وقف "لوك" على بعد ثلاثة أقدام منها ، ونظراته تلتهم وجهها التهاماً . ببطء تسللت نظراتها بعيداً عنه لتنظر في المرآة التي تواجهها . بدأ يعتريها شيء من العصبية . بدا الأمر كما لو كانت "هيلين" قد غطتها بقناع مزيف وطمست هوية "راشيل" الحقيقية .. الوجه الذي تتطلع إليه الآن ، إنه وجه امرأة . مرغوبة ، تتطلع إليها العيون ، تريدها .

-"دعيني كي أرى" . وضع "لوك" إصبعه تحت ذقنها يرفع وجهها ، متجاهلاً خبيرة التجميل الواقفة معهم . أحس أن "راش" تحاول أن تعود إلى روتينها المعتاد . القناع الذي كانت تحاول وضعه مرة أخرى بدأ يبزغ من عينيها.

- "كنت أنوي أن أغسل وجهي على الفور ."

ضاقت عيناه . هل هذا هو كل سبب خوفها ؟ أنه قد يعجبه ما فعلته بوجهها ؟ ثم عاد لتساؤل آخر .

إنه في الواقع ، لم يفكر أبداً في وضعها شيئاً من المساحيق على وجهها ، فلا فرق لديه ، ولا أهمية . الأهمية الوحيدة أنه يجب أن يقوم بإقناعها أن لها الحق، كل الحق ، أن تفرد جناحيها ، دون خجل ، أو خوف .

-"إنك تبدين رائعة هكذا ."

أخذت عيناه تتجولان على مهل بكل تقاطيع وجهها ، عاملاً على أن يكون صوته دافئ النبرات ، يعبر عن إعجابه . أخذ يركز نظراته على شفتها السفلى ، ويلاحظ لون الاحمرار يرجع بخفة فيملأ وجهها ،

"يجب أن تستعملي دائما هذا اللون من أحمر الشفاه ."

أخذت "راشيل" تنظر إليه . كانت نظرات عينيه - عندما تلاقت أعينهما - كمثل الصدمة الكهربائية .

أنكر "لوك" نظرة الامتنان التي رآها في عيني "راشيل" . لم يكن هذا ما يريده منها .

-"كم ثمن أدوات التجميل التي استخدمتها ؟"

أخذ "لوك" يسأل "هيلين" وهو يدير لها رأسه من فوق كتفه .

إن دفعه لثمن هذه المواد قد يجعل "راشيل" تألف أخيراً ما يدور في مكنون صدرها ، فلا تعود تنكره .

أخذت "راشيل" تلاحظ "هيلين" ، وهي تلبث برهة قصيرة قبل أن تدير الآلة الحاسبة وتسجل عليها أرقاماً ، ثم تقول :

-"مائة وخمسة وعشرون دولاراً ، واثنان وثلاثون سنتاً ."

-"حسنا ، ها هي ."

كانت "راشيل" مأخوذة من تصرف "لوك" ، فلم يدر بخلدها أي شيء يمكن أن يقال .

كان ينظر إليها كما لو كانت ... لو كانت شيئاً يشتهي أن يلتهمه .

وأخذ "لوك" ينظر إليها مرة أخرى ، ثم راح يرفع خصلة شعر تسترسل فوق وجهها .

-"لقد أخبرتني "كريس" ذات مرة بوجود كوافير ممتاز هنا . ألا تودين تصفيف شعرك ؟"

كادت خبيرة التجميل أن تفتح فمها لتقول رأياً ، لكن "لوك" منعها بإشارة من عينه .

لم يستطع تحمل بعض الأفكار التي أخذت تراوده :

قد تقوم "راش" بقص شعرها ، أو بتصفيفه على أحدث الصيحات التي يراها تشبه الغابات المشعثة .

كانت تعجبه طريقة تصفيفها لشعرها اليوم . جديلة الشعر وتلك الخصلات التي تهرب منها ، ذلك هو الإطار الأمثل لطبيعتها البسيطة . الحب لا يأتي بالقوة . الحب عطاء ، أن نعطي الطرف الآخر مكاناً ، لينمو ، ليتغير ويتبدل .

-"لا أعتقد ذلك . شكراً ."

فردت "راشيل" ظهرها ، وقفت باستقامة ، بينما كان "لوك" يدفع أجرة تجميلها . سوف تقوم لاحقاً بكتابة شيك له بالمبلغ ، حيث ستشرح له أنها إن أرادت شيئا من الماكياج لقامت بشرائه بنفسها . لكن ، لادعي لأن يحدث هذا المشهد ها هنا .

-"هل ترغبين في شيء آخر ؟"

-"لا ، شكراً ."

هزت "راشيل" رأسها ، ثم شكرت "هيلين" التي لم تكف عن الابتسام .

-"أتمنى لك إجازة ممتعة و يوما سعيدا ."

قالتها المرأة المسنة بحرارة .

-"ألا ترغبين أن نصعد للطابق الأعلى لنلقي نظرة ؟"

www.elromancia.com

ترددت "راشيل" ، فقال "لوك" بسرعة :

-"إنك تفضلين أن تغادر المكان ."

أومأت برأسها،

-" لقد شاهدت ما فيه الكفاية ."

لقد بلغ بها التعب كما لو كانت قد قضت بضع ساعات تطارد "جوردي" وتلاعبه. لكن هذا التعب يبعث على السعادة ، أما ما فعلته الآن فهو بمثابة تصرفات لا تستطيع أن تجد لها تفسيراً. لم تعد تطيق صبراً حتى تغادر السوق ، كما أصبحت تحدوها الرغبة في أن تعود إلى "دياموند بار" ، لكنها كانت تجبر نفسها على أن تحسن التصرف .

-"ولكن ماذا بشأن مشترياتك ؟"

لم يكن بحوزة "لوك" سوى زوج من الأكياس الصغيرة تخصه .

-"لقد ابتعت كل ما كنت أود شراءه . هيا بنا ."

وصلا إلى الفندق بعد ربع ساعة . كانت غرفتاهما في الطابق الثالث ، غرفة في مواجهة الأخرى .

-" هل نتقابل في حدود الساعة السادسة من أجل العشاء ؟"

فتح لها "لوك" باب غرفتها وانتحى جانباً . فدخلت "راشيل" إلى الغرفة الفخمة. لابد أن هذا المكان يساوي كنوز الأرض سعراً .

-" نعم ، السادسة موعد مناسب ."

قالتها وهي غائبة ، تتساءل كيف تفكر في أن ترد له تلك المصاريف . شيك آخر على بياض ؟ إنها فقط تتمنى أن يكون ما بحسابها في البنك يكفي كل ذلك .

أنزل حقائب مشترياتها فوضعها على مقعد بالحجرة . كانت قد اقترحت عليه أن تتركها بالسيارة جميعها عدا حقيبة واحدة ، لكن "لوك" حمل معه كل شيء إلى أعلى ، قائلاً إنه ربما يخطر لها أن تلقي نظرة على مشترياتها وتقرر إن كانت بحاجة إلى شيء آخر .

-" والآن أتركك . أراك على خير بعد قليل ."

أخذت "راشيل" تتفحص حجرتها والحمام الملحق بها ، والدهشة ترتسم على وجهها . كل شيء في غاية الأناقة .

ثم راحت تتطلع كالأطفال إلى قائمة طعام خدمة الغرف ، تفتح أدراج المكتب الموجود بالحجرة ، تلتقط ما بداخلها من أوراق أعدت للكتابة ، راحت تتحسس ملمسها . وبنظرة إلى أعلى ، رأت صورتها تنعكس في المرآة . أخذت لهذا المظهر الغريب الذي بدا عليه وجهها لبرهة ، ثم اقتربت من تلك المرآة ، تتفرس في صورتها المنعكسة .

اتخذت أحد الأوضاع الذي تتخذه عارضات الأزياء عندما يعرضن ثيابهن .

وفجأة تسللت الحقيقة الغائبة إلى داخلها مرة أخرى .

كل هذا لن ينفع بشيء . ليس بمقدور الماكياج أن يغير ما بداخلها . استدارت "راشيل" ، وراحت تنظر من النافذة . على مرمى البصر كانت تترامى العمائر ، والمزيد من العمائر، أحست أنها تحدها من كل جانب، تجعلها تواجه الحقيقة .

أسندت رأسها على النافذة ، وأخذت تفكر في الأمسية التي بانتظارها .

دهش "لوك" عندما سمع نقرة على الباب . أخذ يجفف معجون الحلاقة من وجهه بالمنشفة التي وضعها حول رقبته ، وذهب إلى الباب . لم يكن قد طلب شيئاً من خدمة الغرف .

-" "راش" . هل هناك ما يزعجك ؟"

دهش لمرآها من خلال العين السحرية للباب . وأدهشته أيضا الطريقة التي كانت تشبك بها ذراعيها فوق صدرها كما كانت تفعل في المحكمة ، تلك الطريقة المنذرة بما لا تحمد عقباه .

-" ما الخبر ؟"

أدخلها إلى الحجرة بجذبة خفيفة وصفق الباب .

-" أتشعرين بتوعك ؟" ووضع يده فوق جبهتها .

www.elromancia.com

تراجعت "راشيل" ثم هزت رأسها . لاحظ حالتها ، كانت تبدو كأنما تبتلع ريقها بصعوبة . أياً كان السبب ، أيا كان يكلفها . وبرقة أخذ يزيح شعرها الذي تناثرت خصلاته فوق جبهتها . ثم سألها ثانية :

"ما الأمر ؟"

-"أنا ... أنا أعلم أن الأمر سيبدو سخيفاً ولكني أريد أن أطلب منك شيئاً ."

-" دون شك ."

أخرجت لسانها قليلاً لتبلل شفتيها ، ثم استدارت حتى لا تواجهه قبل أن تتحدث .

-" هل يمكننا العودة إلى "دياموند بار" ؟ "

-"الآن ؟"

-"الآن ."

وانخفض رأسها لأسفل .

- "أعلم أني بدأت أصبح مضجرة مملة ، ولا أستطيع أن أفسر إحساسي ، لكني أريد العودة إلى الـ ..."

منعت نفسها قبل أن تنطق بالكلمة الأخيرة ، لكن "لوك" كان يعلم أنها "الدار" . امتدت ذراعاه تضمانها إلى أحضانه ، تحتويانها ، تخبرانها أن هذا هو ما كان يريده هو نفسه .

-" أمهليني خمس دقائق ."

-" إني آسفة على أن أفسدت عليك إحدى أمسيات الاستجمام . قالتها "راشيل" وهي تتعجل الكلام . "سوف أحرر لك شيكاً بمصاريف الغرفتين ."

لابد أنه يراها الآن طفلاً مزعجاً فاسد التفكير . أي نوع من النساء هذا الذي يرفض أن يتناول عشاءه في أرفع الأماكن وأرقى المستويات ؟ إنها لا تمتلك الحس الراقي الرفيع .

لابد أن السبب أنها على ثقة بأن المرأة التي تنتمي إلى عالم "لوك" لابد أن

تكون قد اعتادت مثل تلك الأشياء . .

-"لقد اعتدت مثل تلك السهرات وأصبحت لاأميل إلى هذا النوع من الترفيه" . .لم يجهد نفسه كثيراً ليتقبل هذا الاعتذار. "إنني فقط اعتقدت أنك بهذا ستحصلين على قدرمن الراحة بعد أن تعبت أسبوعاً كاملاً مع "جوردي"... أنك قد تستمتعين بقضاء أمسية في المدينة ."... هل فعل ذلك من أجلها؟ يجب إعادة النظر في مدى نزاهة أقواله .

-"إن هذا هو الذي يشعرني بالتعب ."

كان يعلم أنها تعني ما يسمى بالحياة المتحضرة. لمست وجهها بيدها، تشير إلى طبقات مساحيق التجميل التي وضعت عليه.

-"أشعر كأن عليّ أن أجبر نفسي على القيام بدور لا أرغب في القيام به، أن أكون شخصاً آخر ، وأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك ."

كانت اليد التي امتدت ترفع ذقنها لأعلى، جادة، حارة. العينان التي التقت بعينيها كانتا تلمعان بشيء لم تستطع تحديده.

-" لا تعتذري عن كونك تعيشين شخصيتك الحقيقية يا "راش" . قليل جداً من الناس، من يجدون الشجاعة ليفعلوا ذلك. إن الرغبه في شراء الأشياء وحمل أكياس المشتريات الجديدة، الرغبة في عمل كل ما يخص الأنا، الرغبة في أن نحوز القبول تجعل الناس يبدون أغراباً عن شخصياتهم الحقيقية . لقد استغرقت زمناً طويلاً حتى تبين لي أن الشخص الوحيد الذي يمتلكني هوأنا ذاتي."

تسمرت في مكانها، تتألم من تلك اللمسة التي قام بها "لوك". شعرت من موقفه بميل إلى ما بداخله. لو تحركت أي حركة نحوه ... رنت نظراتها إلى الفراش، ثم إلى ما بعد ذلك . وجدت "راشيل" نفسها تواجه الباب ، حتى قبل أن تشعر بيديه تستقران على كتفيها. كان صوت "لوك" يبدولها ناعماً رقيقاً :

-" من يتأخر منا في حزم حقائبه وتجهيز نفسه، سيكون عليه غسيل الأطباق

أسبوعاً كاملاً ."

بمرور الوقت عليها في طريق العودة بدأت الشمس في المغيب. دكنة الشتاء، ناعمة كلون عينيها عندما تنظر إلى "جوردي"، تحيط به. كانت يدا "لوك" تمسكان بعجلة القيادة، وتفكيره يتركز في كيفية استجماعها لشجاعتها، لتلقي إليه بهذا الطلب. أخذ يقاوم الرغبة في النظر إليها ليخبرها أنه قد تحول لتوه إلى إنسان جديد... يخاف من رد فعلها، من أي تصرف قد تقوم به. كما كانت تخاف هي أيضا من نفس الشيء. لكن ما حدث كان بمثابة إصابة هدف... نجاح . عليه بالصبر ليفوز بكل شيء. كان هناك الكثير مما يستطيع أن يقدمه إليها، لكن لاشيء من كل ذلك... ولا حتى حبه سيكون ذا فائدة إن لم تعثر" راشيل "على نفسها أولا، وإن لم تدرك أن هذا هو ما كانت تبحث عنه وتريده من الحياة. لقد سمع عن أناس تسرعوا في زيجاتهم، ثم استيقظوا ذات يوم ليكتشفوا أنهم لم يفكروا بما فيه الكفاية فيما هم مقدمون عليه، أوحتى إن كان هذا هو ما يريدون من الحياة. خطأ كهذا يستحق أكثر من التحلي ببعض الصبر الآن . لم تكن تعلم أنه قد تحدث هاتفياً مع "ويلسون سميث" من حجرته بالفندق ،وأنه قد علم بقرارها الذي اتخذته بالفعل بالعودة إلى "بنجلاديش" القدرة على التصرف والخبرة بظروف الأماكن المنكوبة بالطوفان، هذا ما أخبره به دكتور "سميث" وبأنه سيتركها بهذا البلد قرابة عامين، ثم يتم تحويلها لمكان آخر. إنه يجازف مجازفة كبيرة بانتظاره الطويل هذا. مجازفة كبيرة بالنسبه لرجل لا يعترف بالمقامرة، فمن الصعب على نفسه أن يترك مصير بقية حياته للحظ ، لكن لم يكن أمامه أي بديل آخر سوى أن يدعها تفاضل بنفسها بين جميع الاختيارات .

أضاء النور الموجود بسقف السيارة، أخذ ينظر إلى "راش" وابتسامة عذبة على فمه. لقد قطعا شوطاً طويلاً منذ ذلك اليوم في المحكمة، وهي بالقطع قد استفادت من إقامتها تلك بالمزرعة. كذلك " جوردي" ، لقد أحب تلك الطريقة التي كانت تحمله بها تحت إبطها أحياناً ، كانت تحمله على صدرها، بطريقة أشبه بحركات القردة، كأنما لا تشبع منه أبداً. في أحيان أخرى كانت تجلس

معه على الأرض تشبك قدميها - بالساعات، تتحدث إليه، تقرأله . كان "لوك" يعلم أن "جوردي" يشعر تماماً بما تحس به نحوه.لقد بدأ ينظر إليها الآن، وبالأمس عندما فتح كل منهما ذراعيه إليه، اختار الذهاب إلى "راش". و ليس "جوردي" فقط . "حنا" و "تيريزا" أصبحتا تداومان على خطب ودها. "جوان" و"جاسون" لم يتمكنا من القيام بما يكفي نحوها. "موجو" أتى لها ببباقة من الأزهار البرية، كان يأخذها لممارسة الفروسية. قص الهندي شعره، وكان يأتي إلى العمل تلك الأيام بذقن حليق، أصبح لا يتسبب في أي مشاكل. لديها الكثير هنا، لكن "راشيل" فقط هي التي تستطيع الوصول إلى كل ذلك ، لا يوجد مخلوق آخر يمكنه أن يساعدها في اتخاذ هذا القرار. ونظر إليها مرة أخرى، ثم أطفأ المصباح. إنها تبدو كالشعلة. ضئيلة لكن ثابتة. تحتفظ بكيانها في مواجهة أي شيء آخر. تعطي كل شيء ولاتسأل لنفسها شيئاً. جوهرها الأصيل يمدها بما يحفظ اشتعالها ودوامها. أخذ "لوك" يتساءل إن كان سيأتي الوقت الذي ستدعه فيه يحفظ تلك الشعلة، لا أن يعمل على خفوتها، بل فقط حمايتها حتى تستطيع أن تحترق فتضيء وتضيء.

استيقظت "راشيل" على صوت إغلاق باب السيارة .

-" كل شيء بخير ."

كان " لوك" يقول ذلك بينما لمحت "راشيل" خروج "حنا" إلى عتبة الباب .

" لقد شعرنا فقط بالرغبة في العودة إلى الدار."

وبعيون شبه مغمضة من أثر النوم شاهدت "جاسون" يخرج ، قائلا :

-" مساء الخير." ثم ذاهباً باتجاه الجراج.

-" بما أن كل شيء بخير، فإني سأعود ثانية إلى الفراش" . وانسحبت "حنا" بعيداً قبل أن تتمكن "راشيل" من الخروج من السيارة .

اغتسلت ومشت في الدهليز المؤدي لحجرة "جوردي" ، كانت فكرة أن تأخذه الآن فتضمه إليها أقوى من أن تقاومها . كان يبدو كملاك صغير نادر الوجود، ثمين، يرقد في سلام. لو تستطيع فقط أن تمنع عجلة الزمان من الدوران ،، لو تستطيع إيقاف الوقت، أن تبقي "جوردي" على حالة الطفولة تلك لمدة أطول، أن

تبقى معه بعض الأيام الأخرى. لم تكن "راشيل" تدرك هذا الألم الكبير الذي جعلها تهرب.

-"هيا نذهب إلى المطبخ."

قفزت "راشيل" عندما تكلم وهو يقترب من أذنها خافضاً من صوته. وضع أصبعه القوي يتحسس خد "چوردي" ثم تبعها إلى الخارج. توجها إلى الثلاجة، ثم أخذا يحملان مائدة القهوة -التي تطوى وتفرد - إلى غرفة المعيشة، والجائزة التي كانت تنتظرهما بما لذ وطاب. حساء نبات "البروكولي"، الدجاج البارد، الخبز الطازج، وإناء امتلأ إلى منتصفه بكريمة الفواكه الشهية. لم يكن الطعام بهذا الطعم اللذيذ أبداً. كانا يتكلمان همساً، لا يريدان إزعاج "حنا". كان "لوك" يحمل الأطباق يعيده إلى المطبخ، عندما غرقت "راشيل" مع أفكارها. قامت إلى جهاز الموسيقى المثبت تجاه الحائط، فضغطت على الزر ثم أدارت المؤشر حتى وجدت المحطة التي تريدها. وانسابت الموسيقى الحالمة في الجو.

أحست بـ"لوك" يأتي من ورائها فاستدارت، لتصبح بين ذراعيه. لم تستطع أن ترى وجهه، لذا لم تعرف إن كان قد دهش مما فعلت. أخذ يحتضنها، يقربها إلى د فئه. تراجع الليل لما مالت برأسها على كتفه. أخذا يرقصان سوياً، لم يغيرا من وضعهما متقاربين متلاصقين حتى عندما تغيرت الموسيقى إلى لحن سريع الإيقاع. مال إليها قليلاً، أراح خده إلى خدها، نعومة وجهه ذكرت "راشيل" أنه كان يحلق ذقنه عندما نقرت على باب حجرته بالفندق. غشتها رائحة عطره لبعد الحلاقة، ثم أخذت تدفن رأسها في صدره ترغب في المزيد من الإحساس بعطره الزكي. أخذت تفكر في أحداث اليوم، كم كان رائعاً أن تكون بصحبة "لوك"، وتصرفه مع خبيرة التجميل. أبقت عينيها مفتوحتين. لو أغلقتهما الآن لفاضتا بالدموع، وسيكون صعباً عليها أن تشرح لـ"لوك" أنها تبكي لأنه أروع رجل قابلته في حياتها. أدار "لوك" شفتيه في شعرها. سعيداً باحتوائها في دفء أحضانه، غاصت "راشيل" في أحلامها، تشعر أنهما يحلقان، لحظات لن تنساها أبداً. وكان القمر كأنما يشعر بسحر تلك اللحظة، يسبح في جلال وراء السحب. إنه قمر المحبين، أخذت "راشيل" تفكر حالمة.

وفجأة أصابتها صاعقة من تلك المشاهد التي اقتحمت عليها خيالاتها، أدركت أنها تسرق لحظات نادرة. إن لم تتوقف الآن، لن تستطيع التوقف أبداً. كما أن النهار لابد آت بعد هذا الليل الحالم.. إن ما تحاول البحث عنه يكاد يحطمها فتصبح هباءً منثوراً. تراجعت بعيداً عن "لوك". أخذت تنظر إليه، تحاول افتعال نبرة طبيعية في صوتها.

-" سوف أتذكر دائماً هذا."

فاض الكيل بـ"لوك". ها قد عدنا ثانية. الإنذار. حازم، مباشر، لايتبدل. أخبرته أنها قد أعدت خططها. إنها تعتزم الذهاب للحاق بهم، لسبب ما لا يهمه. تقلصت كتفاه كأنما تلقى ضغطاً شديداً على عصبه.

-" هل اتخذت قراراً؟"

كان يشعر بما يجري أكثر مما يسمعه منها.

-" لقد حجزت مكاناً على الرحلة من مطار" لوس أنجيلوس "في اليوم الحادي والثلاثين."

أحس بالألم يمزق صدره، مع زوال آخر بارقة أمل كان يتمسك بها.

-" فهمت." توقفت أقدامهما عن الحركة. كانا يتواجهان كالمتصارعين في حلبة الملاكمة. قد لا يتكرر أبداً ذلك التقارب الذي كان منذ دقائق. انتظرت "راشيل" برهة. ولما تبينت أن "لوك" لا يعتزم أن يقول شيئاً آخر همست.

-" أظن أني سأوي إلى حجرتي الآن أشكرك على كل شيء."

انسلت خارجة، فاستدار "لوك" وخطا في الظلام.

الفصل العاشر

في الصباح التالي، عندما دخلت "راشيل" إلى المطبخ، كان "چوردى" يجلس إلى مائدة الفطور وبقايا وجبة الحبوب تلطخ وجهه. أخذت تتطلع إليه، تغذي نفسها برؤيته بينما بدا مسروراً بذلك.

- "صباح الخير."

ولكي تبتعد عن اقتراب "لوك" نحو المائدة وهو يمسك فنجانه بيده، مالت نحو وجه "چوردي" تبحث فيه عن مكان لايلطخه الغذاء، حتى تضع قبلة عليه. فمدلها يده، كأنما يسخو عليها بملعقة من وجبة حبوبه.

- "لا .. شكراً"، ابتسمت "راشيل" وهي تتفادى ملعقته الممدودة .. "سأجهز طبقي الآن."

ثم أخذت تخرج الأطباق من الرف، وتجهز المائدة. كان جو المكان قد امتلأ بسكون "لوك" الذي أطبق، بعد تحيته تلك المختصرة. لقد نامت جزءاً من الليل. إن العلم بما هو أفضل .. شيء، أما القيام بتنفيذه فهو شيء آخر .. شيئان مختلفان تمام الاختلاف. تنحنحت "راشيل" ثم استدارت، تهم بترك المكان، لا تصدق أنها مقدمة على الرحيل، وتمتلئ خوفاً من أن تبقى. أخذ يدور بذهنها المضطرب العديد من الخطط والقرارات المتضاربة المتنوعة. أخذت تجمع طاقم المائدة وترفعه عنها. أوحت لها أشعة الشمس بموضوع للحديث.

- "إنه ليوم جميل. أليس كذلك؟" أي شيء أفضل من هذا الصمت المطبق. تقلصت كتفا "لوك".

- "إن الجو بارد والرياح تهب بالخارج."

وهكذا انتهى الحوار العظيم. في غير تعمد منها، فتحت أحد الأدراج ثم صفقته بشدة. فاجأها صوت سقوط طبق على الأرض فقفزت من مكانها. استدارت نحو "چوردي" لتجد الذهول مرتسما على وجهه. يطل من فوق كرسيه

العالي ، ينظر إلى طبق (الكورن فليكس) الذي سقط على الأرض . تقلص وجهه، بدا أن انهمار الدموع عليه ليس ببعيد . كان من الواضح أن تلك الجلبة قد استحوذت على حواسه كلها. قبل أن يتفوه أي من "راشيل" أو "لوك" بكلمة ، عاد الطفل ينظر إلى أعلى ويمد يديه نحوها،

-" ماما ." تسمرت "راشيل" في مكانها . ماما :امتص عقلها الكلمة، فأخذ رنينها يطن بداخله. لابد أنه التقط تلك الكلمة من "ديفيد" و" أنچيلا "، إنهما يناديان "تيريزا" هكذا . لكن لم أطلقها عليها ؟ أواه يا "چوردي" أخذت تفكر، ليس أنت، أيضا. وبصعوبة سمعت" لوك" يقول :

-" لاتخف يا "چوردي" ، لكن بكاءه علا وملأ الجو ، فحمله وأخذ يربت عليه مرة أخرى ويحاول إسكاته .

-" اجلسي يا "راش".أخذت تنقل بصرها بين وجه"چوردي" ووجه "لوك" لأول مرة هذا الصباح. استقرت نظراته عليها كغشاء حريري يحيط بكيانها .دافئ ومتفهم . فجأة أصبح كل هذا يفوق احتمالها . استدارت وأسرعت إلى خارج الدار.

-" صباح الخير "، واستدار "لوك" ليجد "تيريزا" تدخل إلى المطبخ . وضع "چوردي" ثانية في كرسيه العالي ثم قال :

-" أعطيه مزيداً من خليط الحبوب، من فضلك يا "تيريزا" ."

-" بالتأكيد ."

كان "لوك" يعلم أين يمكن أن يجدها . حملته قدماه إلى تلك البقعة الخضراء المحاطة بالأشجار. كانت تلك البقعة هي المفضلة عند أمه أيضا . كانت تتمدد ووجهها إلى أسفل فوق الأرض الخضراء الباردة، تنتحب كأنما قلبها يتمزق. بدت كالمهرة الصغيرة الضعيفة . لقد رأى ذلك التعبير الذي بدا على وجهها عندما اندلعت دهشة "چوردي" وخوفه . أتون العواطف هذا الذي يختبئ في هذا المكان أكد له ما كان يظنه . كانت تخاف أن ينهار ذلك البناء الحجري

الذي شيدته ليحيط بأحاسيسها . بسهولة، رفعها على ذراعيه ، أوقفها فاستراح رأسها على كتفه وببساطة عانقها وضمها إليه . بمرور الوقت تحول بكاؤها إلى نحيب مزلزل أخذ يهز جسدها هزاً. ثم انفجر كل شيء بينما هو يحاول تهدئتها،

-" أنا ... لاأصلح ...للحب .لم ...لم أكن أريد چـ ... "چوردي"... أن ... يتعلق بي ... هكذا .لم ... أكن أ ...أريد أن...أسبب ...ألماً...لأي مخلوق ."

-" لم يحدث شيء من هذا ."

كان يهمس إليها وهو يربت برقة على ظهرها.

-" إن الحب شيء لا يمكننا التحكم فيه. إنه إما يوجد أولا يوجد ."

-" لم أكن أريدأن يتألم " چوردي "عندما أرحل ."

-" إذن ابقي ."

-" لا أستطيع . ألا يمكنك إدراك ذلك. إنني لست مثل "كريس" . إني لا أصلح لأي علاقة شخصية ."

أخذ الغضب يغلي بداخل "لوك". أي نوع من الوحوش الآدمية ، ذلك الذي جعلها تشعر هكذا ؟

-" وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك ؟ "

-" إن أمي لم تستطع احتمالي . ولهذا تركتنا ورحلت. لم يكن لدى أبي أي وقت لي بعد أن رحلت. لقد حاولت جاهدة أن أجعله مثلي لكنه ... لكنه لم يكن يهتم بي مطلقا . كان يقول إن كل ما حدث قد حدث بسببي ."

تقلص وجه "لوك" ،

-" إن أباك لم يكن يدرك معنى ما يقول يا "راشيل" ." كان يتحدث بأسى ، " كان يلومك من أجل نقائصه هو نفسه ."

أحس أنها قد بدأت تهدأ ، وعندما بدأت أنفاسها تنتظم واصل حديثه وهو يمسح على شعرها :

- " كل إنسان هنا يرى أنك رائعة حقا، "حنا" تقول إنك استجابة السماء لصلواتها . "چوان" و"تيريزا" يتغنيان بك طوال الوقت ، "ديفيد" أخبرني أنك قوية للغاية وأنك لم تستطيعي بعد العثور على طريقة عمل الشطائر المغطاة بالشيكولاتة ولم تيئسي بعد . "چاسون" لا يستطيع أن يرفع عينيه من عليك ، و "موجو" يعمل متأخراً حتى يجد الوقت لممارسة الفروسية معك . دكتور "سميث" أخبرني أن "توم أتويل" لا يستطيع التوقف عن امتداحك، لقد عرض علي ملفك أيضا . تلتصق بذهني ملا حظة واحدة كتبها دكتور "أتويل" في تقريره عنك . يصفك بأنك امرأة رائعة تهتم بكل إنسان ، ذات قدرة على العطاء لاتنتهي ولاتنضب . كل هؤلاء الناس يا "راش" ، كل هؤلاء ، لا يمكن أن يكونوا مخطئين ."

بعد برهة من الزمن، بدأ الاحمرار يعود إلى وجنتيها، أدارت وجهها إليه وأخرجت زفيراً عميقاً.

- " هل تحدثت مع دكتور "سميث" عني ؟ "

أومأ "لوك" برأسه وأخذ يزيح برقة خصلة شعرمن فوق جبهتها الحارة ، أنزل أصابعه يتحسس وجهها. كانت تبدو الآن في أكثر حالاتها استسلاماً واستكانة . سوف يكون من الأنانية أن يريحها على النحو الذي كان يريده .

- " نعم تحدثت معه عنك يوم أن اتصلت به لأخبره بأنك لست بحالة جيدة ."

احتضنها "لوك" بحنان، أدار رأسه، احتمت شفتاه بصفحة خدها .

- " أحبك يا "راش" ." كانت الكلمات ترن وسط السكون المحيط. تلك الهالات المتسعة من الصلابة والصمود، أخبرت "لوك" أن الأمر يتطلب أكثر من مجرد الكلمات، حتى يخرجها من تلك الغابات المظلمة من تعذيب النفس، يخرجها منها إلى الأبد.

ومن البعد، صهل جواد. أخذ "لوك" ينظر إلى السماء وهي تتعانق من جهة مع هذا البساط الأخضر، ومن جهة أخرى مع تلك السحب التي تلونها. أخذ

يسترجع ذكرى تلك المهرة التي اشتراها "روب" العام الماضي ، تتألم من سوء معاملة مالكها السابق ، كانت تعاني الظروف السيئة عندما وصلت إلى "دياموندبار" ، وكان اسمها (الفتاة الذهبية) . كانت لاتسمح باقتراب أي إنسان منها، لقد فاز "روب" بثقتها واطمئنانها إليه، ليس بمطاردتها ، بإجبارها على شيء بالقوة، وإنما فقط بالذهاب يومياً إلى حظيرتها والوقوف هناك، والتحدث إليها حديثا من جانب واحد .

في غضون أسبوع، أصبحت تأتي إليه طائعة. إن "راشيل" تحتاج إلى وقت وصبر وهو لديه من الرجولة ما يكفي لأن يمنحها كليهما ، بأي ثمن كان.

- " لقد بللت قميصك عن غير قصد مني ."

كانت دموعها على صدر قميصه تحيل جسده إلى حريق مضطرم ، وتحيل تلك التحليلات التي كانت تدور في رأسه إلى رماد .

- " لايهم.أتشعرين بتحسن ؟ "

في هذه اللحظة تركها تتملص من بين ذراعيه، ثم تعتدل. كان هذا أمن لكليهما .

- " نعم أشكرك ."

كان ظهرها إليه ، وكان يشعر بمعاناتها وهي تبحث عن حاجزها النفسي الذي اعتادته . لابد أنه كان أمراً شاقاً ألا تعثر عليه الآن.

- " لاتغالي في خوفك يا "راش" .إن الأشياء تجد سبيلاً لتحل نفسها بنفسها ."

لم يكن هناك رد . وهو لم يكن ينتظر رداً . اعتدل ومدلها يده . أخذتها، ووقفت تلتصق به . تسللت نظراته من عينيها إلى شفتيها. لم يستطع مقاومة تلك الدموع التي تنساب منها. للحظة ، كاد ينساق لمنطق غريب ، ويغرق معها في الحب. لكنه - معها - قد علم أنه لو أراد كل شيء في خضم تلك المعاناة ، فلن يصل لشيء أبداً ، فمن أجل نجاح مستقبلهما معاً، يجب أن يقبل عقل "راشيل" .. أحاسيسها، وأن يتعرف عليها . وابتلع ريقه بصعوبة ، أحاط كتفيها بذراعه وضمها إلى جانبه .

- " هيا بنا نعود للدار . "

" ماما " . مرات عديدة خلال النهار، تجد " راشيل " نفسها تردد الكلمة مع تردد أنفاسها . ياله من عالم جميل رائع، لو فقط... وأغلقت عينيها تستعذب هذا الأمل، لو فقط استطاعت أن تطالب حقيقة بهذا اللقب . أم " چوردي " . زوجة " لوك " . إنها تعلم أنه تم تحديد موعد في شهر يناير المقبل ليتبنى " چوردي " رسميا . في هذا الوقت ستكون في الجانب الآخر للكرة الأرضية . ستكون قد عادت إلى حيث تشعر بالأمان، حيث لاشيء.. لاأحد.. مطلقاً سيلمس قلبها مرة أخرى . في هذه اللحظة ، أدركت " راشيل " ، أنها لن تعود أبداً .

في الأيام التي تلت ذلك، قدمت هداياها، ساعدت " حنا " في عمليات الخبيز الزائدة وقضت أوقات فراغها مع " چوردي " ، اتصلت بمكتب دكتور " كنتون " ، ونزلت مع " چاسون " إلى " سانت باربارا " يوم الجمعة لتأخذ حقن تطعيماتها . فيما بعد فتحت " راشيل " حساباً جديداً في البنك وحولت كل نقودها إليه . سوف تترك دفتر التوفير على مكتب " لوك " ، مع الشرح والتفسير الكافي .

عاد " لوك " من مكتبه في المساء ليجد مكانين فقط قد أعدا على مائدة المطبخ . جال ببصره ليجد " حنا " . هل أخذها " باد " لجولة أخرى من جولات المشتريات ؟ وضعت " حنا " طبقاً من الجزر المسلوق على المائدة ، قدمته له بحفاوة بالغة .

- " لم لم تخبريني من قبل ؟ "

- " لم أكن أعلم إلا من نصف ساعة فقط . "

أنذرته كلماتها أنه قد حكم عليه أن يقضي بقية حياته يأكل الجزر المسلوق . حيث سيقدم له على الفطور والغداء والعشاء .

- " لقد ظننت أنها ترتب هداياها في حجرتها، لكني عثرت عليها في الفراش وحرارتها أربعون درجة . "

كان قد غادر المكان قبل أن تكمل كلامها . وبعد نقرة قصيرة على الباب، دخل إلى حجرة " راشيل " . كانت ترقد بالفراش، يبدو عليها التعب الشديد .

- " ما الخبر يا " راش " ؟ "

أخذ مشهدها يمزق حناياه وارتعشت يده التي وضعها على خدها يتحسسه .

- " لا شيء . "

كانت عيناها - وهي تشتعل محمومة - تمتلئ بإحساس آخر غريب، وهي تنظر إليه .

- " دائما تحدث هذه الأعراض عندما آخذ حقنة " التيفود " . "

مرت برهة طويلة حتى استطاع أن يأخذ نفساً إلى رئتيه . إذن، سوف تمضي قدماً مع ما خططت له . حوارهما معاً لم يغير شيئاً .

- " متى أخذت هذه الحقنة ؟ "

- " اليوم ، بعد الظهر . كان " چاسون " ذاهبا لإحضار بعض المستلزمات ، وأوصلني في طريقه إلى عيادة دكتور " كنتون " . "

- " فهمت " . من الخير لـ " چاسون " أن يقوم باستشارة العالم الفلكي بشأن طالعه ومستقبله . أخذ ينظر إلى " راشيل " وغضبه يكاد يغلي . كانت عيناها الممتلئتان بالدموع وذراعاها المحيطتان بجسدها تبعثان إليه بالرسالة . شيء ضئيل أحمق في غاية العناد يرقد هاهنا أمامه .

لابد أن حوارهما أمام المقابر لم يكن، لم يحدث أبداً .

- " لم تضعين الوسادة هكذا تحت ذراعك ؟ "

- " بسبب حقنة الكوليرا . دائما ما تتورم ذراعي قليلاً . "

كانت ترد كالمعتذرة اللعنة . كم من الوخزات أعطوها اليوم ؟

- " دعيني أرى . " كانت الرقة التي في يديه وهو يشاهد هذا التورم بذراعها، على النقيض تماماً من الطريقة التي زم بها شفتيه . مرت أصابعه برفق على المنطقة المتورمة ، تبعث شحنات من الدفء خلال جسدها .

- " كم من الحقن أخذت اليوم ؟ "

- " اثنتان فقط .. الأسبوع القادم سآخذ آخر حقنة، ثم أكون جاهزة تماماً . "

www.elromancia.com

- " فهمت ."

ومال عليها يتحسس حرارة جبهتها لكنها كانت باردة ومرطبة بطبقة رقيقة من العرق.

- " يجب أن تأخذي شيئاً ضد ارتفاع الحرارة ."

ثم انسحب عنها، و اضعا يديه في جيبيه ، وأخذ يتطلع من النافذة .

- " لوك " ؟ " أخذ قلب "راشيل" يخفق كالمطرقة . سيكون الحال أفضل لو صرخ ، لو قال شيئاً. كان الصمت كالفراغ السحيق . ثم استدار ليواجهها.

- " إذن، لقد قررت أن ترحلي في الحادي والثلاثين كما هو مخطط من قبل ؟ "

- " هذا هو ما يجب علي أن أفعله ."

كان الغضب يقف الآن في مواجهة جدار السيطرة على النفس الذي كان قد بناه. خوفه من أن يفقدها ، فتح الأبواب . فاندفعت الكلمات لتنهمر من خلف هذا الجدار.

- " لن أتمسك بك أبداً تمسك الجبناء، يا "راش" ، إنك أنت التي تتسمين بالجبن، ألست كذلك؟ إنك لن تواجهي الحقيقة إلاحينما يكون الأوان قدفات . وربما لا تواجهينها أبداً. متى ستدركين أن الحياة لا تأتي بأي ضمانات؟ إنها إن فعلت، لكان "كريس" و "وروب" لا يزالان هنا اليوم، ولامتنعت أشياء عديدة، فلا ألم، ولا معاناة، ولاجوع. في كل مكان. في العالم بأسره ."

خرج الغضب بأكمله، وحل الألم محله. الألم الناتج عن فقدها. الألم من المستقبل الخاوي . واتجه إلى الفراش، فجلس على حافته ، ووضع يداً بجوار كل من جانبي رأس "راشيل" ، دون أ ن يلامسها . أوصل نظراته بنظراتها."

" الحياة تمنحنا فرصاً فقط يا "راش" . والأمر يتوقف علينا نحن في أن تنجح الأمور. عندما كنت طفلة صغيرة ، لم يكن بإمكانك أن تفعلي شيئاً لما كان يحدث لك "، ومن موقع اختيار حر ، رفع يده يزيح خصلات الشعر من على جبهتها . " أما الآن ، فإنك امرأة بالغة . لديك القدرة على تغيير الأشياء . فهل ستستطيعين إلى الأبد أن تمنعي نفسك من الركض و اللهاث المستمرين ، وتعطي لنفسك الفرصة لا ستخدام تلك القدرة ؟ "

كان الباب الذي أغلق من خلف "لوك" يشبه الستارة التي تنسدل. لقد انتهى العرض.

لكن، لم يصفق أحد .

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

يوم عيد الميلاد، مظاهرة حاشدة من الزوار، إنه يوم "حنا"، حيث وجبة العشاء الخاصة التي قامت بإعدادها... أخذت "راشيل" تركز جهدها في أن تبقي ذهنها وعينيها بعيداً عن "لوك". لم تتلق أبداً - طوال حياتها - مثل هذا العدد الكبير من الهدايا. الحقيقة أن هؤلاء الناس الذين قدموها لها قد أحدثوا تأثيراً هائلاً مس شغاف قلبها. قدم لها "لوك" في صبيحة يوم العيد علبة ملفوفة بعناية، كان قد التقطها من مكانها الذي وضعت فيه من تحت شجرة عيد الميلاد. سلمها لها وهو يقول:

- "من "چوردي" ومني. البسيها وليباركك الله."

الساعة ماركة "جوتشي" وتلك الماسة الوحيدة الرائعة منعتا لسانها عن النطق. أخذ يشكرها على الإطار الفضي الجميل الذي اشترته ووضعت صورة "چوردي" بداخله، ثم ترك الحجرة قبل أن ترد بشيء. عاد يتقمص دور المضيف المرحب بزائريه مهذباً، متزناً، منعزلاً. بينما كان الناس يحيطون بـ"راشيل". كان من السهل عليها أن تتجنبه، لكن في اليوم التالي لعيد الميلاد أخذت تسائل نفسها كيف ستتمكن من التصرف خلال الأيام القليلة القادمة؟ كانت أحاسيسها تشبه أوتار كمان قد شدت عن آخرها... أي قطرة زائدة من التوتر ستكون بمثابة كارثة حتماً. تعمدت هذا الصباح أن تذهب إلى المطبخ متأخرة، حتى تتجنب رؤيته وهو يجري عاري الصدر مرة أخرى. أخذت ترتب الملابس التي ستأخذها معها على مائدة المطبخ، وتطابقها على القائمة التي كانت قد أعدتها من قبل. كانت قد طلبت شراء تلك الملابس عن طريق أحد المحلات المتخصصة، مما وفر لها الوقت والطاقة. أصبح لديها كل ما تحتاج إليه.

آلام ظهر "حنا" ذكرتها بهذا التغير الذي طرأ على دور كل منهما. لقد امتلأ جسد عاملة المنزل وتحسنت صحتها بعد تلك الأيام القليلة الماضية، أما "راشيل" فهي التي أصبحت تملأ السكون الذي يغلف المكان بالكلمات.

-" يجب علي أن أغسل تلك الأشياء قبل أن أضعها بالحقائب. فالنشا الذي يضعونه بأقمشة الملابس الجديدة لايطاق في الحر ."

كانت تتكلم عندما دخل "لوك" إلى المطبخ . تجمد بصره عندما وقع على كومة الملابس البيضاء. لكنه ذهب بهدوء إلى الغلاية يصب لنفسه كوباً من الشاي. فسحبت" حنا" المنشفة من على كتفها وأخذت تمسح شيئاً لا وجودله فوق المائدة التي قد وضعت عليها الغلاية. وملأ "لوك" كوبه ثم استدار وبقي مستنداً على طرف تلك المائدة .

-" لدي بعض الأعمال سأقوم بها في "سكرامنتو"، كنت أؤجلها منذ فترة مضت، " كانت نظراته تتركز بمكان ما على النافذة، وكان كأنما يتحدث إلى المطبخ كله على اتساعه .

"ولا أستطيع تأجيل هذه الأعمال لفترة أطول . لذا فإنني قد أرحل إلى هناك غدا .."

-" كم من الوقت ستتغيب هناك ؟ " لم يبد على " حنا " أقل دهشة لهذه الأنباء. وأخذت "راشيل" تتطلع إلى بطاقات الأسعار المثبتة على ملابسها، ورأسها مطأطأ تنتظر إجابة "لوك"، قلبها على فمه .

-" سأعود متأخراً في ليلة رأس السنة. بعد أن تكون قد رحلت ."

-"هل ترين أن "بيتي" و "باد" قد يرغبان في الحضور لزيارتنا، فيبقيان هنا حتى ليلة رأس السنة ؟"

-" إن هذا ليسعدهما ." كانت "حنا" تتكلم وصوتها لايحمل أي نبرة بهجة .

-" عظيم سأقوم بالترتيبات إذن ." كان قد ذهب، وقد ترك خلفه صمتا يكاد يطبق على "راشيل" فيفتك بها . التقطت ملابسها، حملتها إلى غرفة الغسيل وأخذت تزج بها داخل المغسلة.

-"هكذا أفضل . " أخذت تخبر نفسها لتقويها، ثم انفجرت دموعها غاضبة. لقد أمسك "لوك" بزمام الأمور في يده، تقبل عنادها وقرر أن يترك لها الميدان

خالياً حتى ترحل. لقد جعل الأمر سهلاً لكليهما . إن الألم الذي أصبحت تشعر به، هو ألم لاختفائه. كانت بغرفة المعيشة تحاول التركيز في إحدى قصص "أجاثا كريستي" "جريمة على النيل" ، وأخيراً عندما حل المساء – سمعت صوت باب المكتب يفتح ثم يقفل .

-"سأرحل في الرابعة صباحاً. لذا فإني أقول لكم وداعاً من الآن ." وقفت على قدميها فلم تكن تتوقع أنه قد جاء إلى هنا. حاولت أن تبقي على تماسك نبراتها،

-"وداعا يا "لوك" .أشكرك على كل شيء ."

كانت تنظر إلى الزر الثاني من أزرار قميصه، تثبت عينيها عليه .

-"عفواً ." لقد استطاع أن يواصل حديثه ،

"كوني على اتصال دائم بنا. نريد أن نسمع أخبارك ."

ربما هي ذاهبة إلى "لوس أنجيلوس" بدلاً من الجانب الآخر للكرة الأرضية .

"سأرسل لك صوراً لـ "چوردي"... حتى يمكنك متابعة نموه وتطوره ."

مد لها يده ، صافحها بسرعة ثم ترك يدها، ووضع يده على كتفها. هكذا الأمر، أخذت "راشيل" تتفكر، هذه هي القبلة الأخيرة . بعد ذلك بدقيقة كانت تقف وحيدة. كل ما شعرت به على كتفها هو ضغطة خفيفة، لمسة صداقة، كما لو كان "لوك" قريبا لها طاعنا في السن، يتمنى لها التوفيق.

بزغ فجر يوم رحيلها، واضحاً، جلياً. استيقظت "راشيل" من نومها تتعثر. أخذت عيناها تتطلعان إلى صورتها تنعكس بمرآة الحمام، هالات سوداء تحيط بعينيها. أخذت تحدث نفسها هامسة ، "إن كان هذا هوما ستفعله بك تصرفاتك، فأرجو ألا تواجهي مثل هذا الموقف كثيراً." أخذت تبحث عن المنشفة وهي لاتزال تثبت نظراتها على صورتها المنعكسة. لن تأخذ حماماً إلاقبل الرحيل مباشرة .

منذ رحيل "لوك" وهي تمضي ساعات النهار الأولى مع "چوردي".أصبح يتمكن

من تناول طعامه بواسطة فنجان خاص، لكنه لا يزال يفضل زجاجة الرضعة لأول وجبة في الصباح ، ولآخر وجبة في المساء . "أحبك يا "جوردي"." أراحت خدها على ملمس خده الناعم وراحت تطبع جملتها في أعماقه "وسأحبك دوما" أخذ يمسك بزرقميصها محاولاً أن يفكه.

-"صباح الخير".

لم تنزعج "راشيل" من هذا الصوت المفاجئ ولا تلك الخطوات السريعة لـ"حنا"، وهي متجهة إلى الموقد. كانت العاملة تتألم بنفس قدر تألمها.

"أهلا !" الوجه المبتسم يجب أن يبقى هكذا لساعات قليلة لاتزال باقية.

- "هل أساعدك في تجهيز الفطور ؟

-" لا ".

وفتحت "حنا" رف الفناجين ثم صفقته . أخذت تنظر إلى أشيائها التي قد جهزتها بالفعل على المائدة.

-" لقد رحل "بيتي" و "باد" مبكرين هذا الصباح متوجهين إلى قلعة "هيرست" وقد طلبا مني أن أبلغك سلامهما وتحياتهما."

نظرت إليها "راشيل" بنفس العينين المتجمدتين ولم ترد بشيء ، كانت تحاول الحفاظ على تحكمها في نفسها وفي أعصابها بأي ثمن. فالأمر لا يحتمل المزيد من الكلمات. حتى مع "بيتي" و "باد" . لم تكن الأيام القليلة الماضية سهلة. بالأمس اصطحبها "جاسون" معه إلى المزرعة، لتلقي نظرة أخيرة على المكان. الأشخاص الذين كانوا يعرفونها أتوا ليتمنوا لها السلامة والتوفيق، أخذت "راشيل" تخبرهم أن عليها أن ترحل لتعود إلى عملها وواجبها، وكانت هي أقل المقتنعين بذلك .

-"سيكون الفطور جاهزاً حالاً."

كانت "حنا" تتحدث بخشونة وهي تنظر إليها من فوق كتفها.

-" إذن سأذهب لألبس "جوردي" ملابسه."

في حجرته ، أخذت "راشيل" تلاعبه لعبة التقاط الأشياء، وأخذت تقرأ له . وعندما نادت "حنا" من أسفل السلم أن الفطور قد أصبح معداً، حملت "جوردي" وهبطت به درجات السلم . كانت تضمه إليها بقوة ، تتنفس بعمق ، تشتم رائحة أنفاسه الطفولية، تختزن الإحساس به، تكتنزه للوقت الذي ستصبح فيه وحيدة.

على مائدة المطبخ ، وضعت فاكهة "راشيل" المفضلة، ثمار التوت . لمارأتها كاد سكونها ينجلي . التقطت إحداها وأخذت تريق عليها الماء تغسلها . وبمجرد وصول "تيريزا" استأذنت "راشيل" وقامت عن المائدة حاملة طبقها وكوبها إلى حوض الغسيل.ثم خلعت سترتها فعلقتها على المشبك المثبت بباب الدار، وخرجت دون أن تنطق بكلمة إلى أي مخلوق .

كان الهواء البارد بمثابة التحدي، رحبت به وهي تأخذ طريقها صاعدة إلى التل. ترك الطين آثاراً بفعل ندى الصباح رطبت أسفل البنطلون الچينز الذي كانت ترتديه، لكنها لم تلاحظ ذلك وعندما وصلت إلى بقعتها المحببة، ارتمت "راشيل" إلى الأرض، وظهرها يرقد على الحشائش. بنظرة سريعة إلى ساعتها أدركت أن الساعة لا تزال العاشرة. يتبقى لديها ساعتان، قبل أن يصل "جاسون" ليقلها إلى "لوس أنجيلوس" . لقد اخبرها "جوان" بالأمس عن الترتيبات التي أعدها "لوك" من أجل رحيلها ، "لوك". واقتلعت "راشيل" قطعة من التربة بيدها. كان يتصل يومياً فيتحدث إلى "حنا" . طوال المكالمة كان التليفون يحمل إلى أذن "جوردي" أيضا، حتى يسمع صوت "لوك" . لم يحاول أن يتحدث إليها أبداً. كانت "حنا" تقول دائما " "لوك" يبلغك تحياته."

في نهاية المكالمة، لكن "راشيل" لم تكن حقيقة متأكدة ، ربما كانت عاملة المنزل تفعل ذلك – فقط – من باب الأدب.

-" "راشيل" ." وقفت على قدميها تتطلع. كان "موچو" يقف بمواجهتها. لم تسمعه عندما أتى.

- "موچو"، كيف حالك ؟ "

لسوف تفتقده. هناك شيء ما في أحاسيسه تشعربه، تفهمه، دون أن يصوغه في كلمات.

- "هل أعددت العدة للرحيل؟"

- "نعم" .

استدارت "راشيل" بعيداً حتى لايرى الألم في عينيها.

- " "سابرينا" سوف تفتقدك ."

وابتلعت "راشيل" ريقها بصعوبة. أينما وقع بصرها، وقع على شيء يخفق له قلبها. أما تلك المهرة البيضاء بلون الحليب، فإنها شيء خاص جداً.

- " هذا من أجلك ."

استدارت لتتناول منه ذلك الشيء الملفوف في قطعة من القماش، يقدمه إليها ، بداخلها كان هناك سلسلة دقيقة من الفضة الخالصة ، يزينها حجر أزرق أخاذ.

- "أشكرك ."

لم تستطع أن تتصوركم كلفه ذلك. لم يكن "موچو" يهديها هدية . كان يعطيها قطعة من نفسه . استدارت "راشيل" بعيداً بينما انهمرت الدموع على وجهها. إنها برحيلها، تحرم "موچو" من صديق يحتاج إليه بشدة . فهؤلاء الذين يعرفون الوحدة ، يعودون إليها عندما تسوء بهم الأمور.

- " هل تتذكرين أول يوم ، عندما تحدثت إلي؟ " كان يقيس نبرات صوته حتى لا تفضح أحا سيسه .

- "نعم".

ومسحت "راشيل" دموعها بظهر يدها . إن كان حديثه هذا سيعينه، فلابد أن "موچو" هذا سيدخل ضمن طابور المعذبين بذاكرتها .

- " لقد قلت إنني كنت جباناً."

- " فقط كي أجعلك تذهب إلى الطبيب ."

- "إنك أنت الجبانة الحقيقية ، أليس كذلك ؟ " استدارت "راشيل" تواجهه :

- " ماذا تعني ؟ " لقد أخبرته أن عليها أن تعود لعملها ولواجبها. ما الذي استطاع أن يخمنه أكثر من ذلك؟

- " لقد كنت أخاف أن يقتلني الدواء ."

كانت عيناه تعكس الأسى أكثر مما تعكس الغضب. وتعكس الحقيقة.

" إنك تخشين من الوثوق في أحاسيسك ."

كان قد ذهب قبل أن تسأله متى حصل على شهادته في علم النفس. كل شيء تلاشى قبل الحقيقة. الأعذار، التبريرات، التعديلات. جلست ثانية على البساط الأخضر ، واقتلعت "راشيل" بعضاً من نجيل الأرض فنثرته. عادت بذاكرتها إلى اليوم الأول في المحكمة، وذلك الضغط العصبي الرهيب الذي أصبح جزءا منها.

عندما أحضرها " لوك" إلى هنا كانت عبارة عن مجموعة من الأعصاب المتوترة، عاجزة عن أي شيء على المستوى الشخصي. لقد قطعت شوطاً طويلاً منذ هذا اليوم . لقد اختفى شعورها بعدم الأمان ، حل محله التقبل والثقة، علت روحها المعنوية حتى وصلت إلى عنان السماء. خفف الحب آلامها، أضاء لها ما كان يحيطها ويحيط ماضيها، أوضحه لها، وفسره. لقد منحت وقتاً للتفكير والتأمل، وقتاً لتبحث في أعماق نفسها عن الحقيقة، حقيقة هذا الماضي. قطرة قطرة ، أخذت تتذكر تلك المشاهد مع أمها، في الأسبوع الأخير.

طفت تلك المشاهد على السطح أخيراً، تخرج من الماضي السحيق المظلم، تتحرر، فتثبت لها أن ذلك الوهم الذي جثم على أنفاس طفولتها قد ذهب بلاعودة. تذكرت أمها. تضحك معها، تستمع إلى صوت البحر ينبعث من الودع حين تضعه قرب أذنها، تصفف شعرها، تضعها في فراشها، تودعها بقبلة المساء. حقيقة واحدة، مؤكدة ، طفت تلمع كحبة الكريستال. إن أمها كانت

تحبها. وأياً ما كان سبب رحيلها عنهم، فإنه بالقطع لم يمس ذلك الحب الذي تكنه لابنتها . علمت "راشيل" الآن أنها لن تعذب نفسها بعد الآن بتلك الفكرة السخيفة، فكرة أنها كانت السبب في افتراق والديها.

لقد أعطاها "لوك" هذا، منحه لها جلياً واضحاً. أخذت تسترجع ما فات، لا تستطيع أن تتذكر لحظة واحدة لم تحب فيها "لوك"، لكن في يوم رحلتهما الخلوية إلى تلك البقعة الخضراء، عندما أخذ يقبلها، كانت على ثقة. لم تكن قدرتها على الحب – أبداً – بمثل هذه الثقة، وهذا الوضوح. لقد أخبرها "لوك" أنها يوماً ما ، ستتوقف عن الركض واللهاث. لقد أوقفتها كلمات "موجو" لها الآن، بما فيه الكفاية، لتنظر نظرة طويلة، ترى فيها الحقيقة. إنها تريد أن تواجه تلك الحقيقة الآن، هنا، أن تعيد الحياة إلى كل حادثة صغيرة، ثم تدفن كل ذلك هنا، في هذه البقعة، التي أصبحت تعلم أن جزءا منها سيظل باقياً فيها إلى الأبد. كان لديها أمل. بداخل أعمق أعماقها، علمت "راشيل" أن هذا الأمل كان موجوداً طوال الوقت. إلى أن مات أبوها، لم يخفت بداخلها الأمل أبداً، أن يعيرها أية لمسة اهتمام أورعاية. لقد كان الأمل هو الذي حفزها أن تقاضي "لوك" في المحكمة. الأمل في أن تحصل على إنسان ينتمي إليها، لتحبه. إنسان يبادلها هذا الحب.ولقد أتاها الحب من حيث لم تتوقع، لم يأتها الحب من الطفل فقط، ولكن من الرجل أيضا. ورفضته. أخذت "راشيل" تتساءل إن كانت غريزة الجبن هي أسوأ شيءفي الوجود. كانت كلمات "لوك" تعلق برأسها كما تعلق التربة في العجلة وهي تدور . والإجابات تنبع من قلبها تزيل هذه التربة العالقة . توقفي عن الجري، ووا جهي مخاوفك.

لقد دأبت على القول أنها لا تريد أن تجرح أ يامن "لوك" و "چوردي"، لكن هذه لم تكن الحقيقة. ما كانت تريده حقيقة ، هو أن تحمي نفسها من أن تصاب هي بجراح . عندما يحين الأوان، أمل أن تتعاملي مع نفسك جيداً.

لقد اختارت ألا تفعل شيئا مطلقاً. لجأت إلى أسهل الحلول، أقنعت نفسها أن الحب والأمل ليسا بكافيين. كان تعهداً يتطلب شجاعة. إن الحياة لا تأتي بأية

ضمانات...إنها– فقط – تتيح لنا الفرصة .

عليها أن تؤمن أنها ستستخدم هذه الفرصة وتنتهزها، ولا تدعها تفلت منها أبداً.لقد توقفت العجلة عن الدوران. ولم يبق لديها إلا حقيقة واحدة بسيطة وفي غاية الروعة. إن ما تحتاج إليه – الآن– هو الإيمان .

الإيمان، بنفسها، بـ "لوك" ، بحبهما. إيمان بأنها هي و "لوك" سيفعلان ما بوسعهما لإنجاح زيجتهما . إيمان بأن ذلك سيتحقق. إنه كل ما يملكه أي إنسان... الإيمان.

"الإيمان" أخذت "راشيل" تكرر الكلمة – حتى – أكثر مما أخذت تفكر فيها. إنه أخر دواء في روشتة سعادتها. حتى الآن .

* * *

– "حنا" "

استدارت نظرات كل من المرأتين إليها وهي تدخل إلى المطبخ، كان شعرها يطير في الهواء، وعيناها تتسعان، تملآن وجهها.

– "هل هناك ما يزعجك ؟"

لم تكن "حنا" قد أدركت أي شيء بعد. كان وجه "راشيل" يبرق، يتجلى بضوء وضاح. فلم تجد "حنا" صعوبة في التعرف على الحب عندما نظرت إلى هذا الوجه.

– "هل أنت بخير ؟" كان وجه "تيريزا" ينضح بالقلق .

– "كل شيء على ما يرام ."

نحت "راشيل" باهتمامهما وقلقهما جانباً، كانت تعبيراتها تكذب أي ظنون

– "لم يحدث أي شيء مزعج . يجب أن أتحدث إلى "لوك" في الحال أين الرقم الذي تركه معكما ؟"

– "بجوار التليفون في مكتبه. ولكنه قد لا..."

تلاشى صوت "حنا" بعيداً بينما هرعت "راشيل" إلى المكتب، وأغلقت وراءها الباب. أخذ "چوردي" ينقل بصره بين باب المكتب وبين "حنا" ولأول مرة هذا

اليوم تحمله على ذراعيها، لقد كانوا جميعهم يمرون به، دون أحضان، ولا قبلات.

- "نانا". ماما ذهبت ؟ " إنه يسأل، وهو يثبت أنظاره على باب المكتب. أخذت حنا" تتطلع إليه دون أن تنبس بكلمة. يتحدثون عن الفوز بالتاج الثلاثي !! اتحدت نظراتها مع نظرات "تيريزا" كانت صدمتها المفرحة تدوي .ثلاث كلمات، ومتفقة مع بعضها تماما . ولقدناداها" نانا" .. لم تكن تفكراً بدا بلقب أروع من هذا. ولم يكن هذا هو كل شيء.

من النظر إلى وجه "راشيل" يتبين بجلاء أن كل شيء سيكون على ما يرام بينها وبين "لوك". حملت " چوردي"، أخذت تضمه إلى صدرها. ومن فوق رأسه، أخذت تتبادل مع " تيريزا" الابتسامات المبتلة بالدموع. ثم أخذت تخبر "سومرز" الصغير.

- " لا ، لا أظن أن ماما ذاهبة إلى أي مكان ."

ورفعت عينيها إلى أعلى؛ وقا لت وهي تقترب من أذنه :

-"ولكنها مكالمة خاصة للغاية. كما يجب أن تتذكر أنني قدأصبحت طاعنة في السن على أن أتصنت على الغير ." أخذت "راشيل" تخلل أصابعها في شعرها وهي تسمع رنين الهاتف في الطرف الآخر. خمس . ست مرات . أخذت تعد وهي لا تطيق صبراً. إنه ليس هناك.

التقط "لوك "السماعة مع الرنة التاسعة.

- " نعم؟" لم يكن صوته مشجعاً. أخذت "راشيل" نفساً عميقاً ثم انخرطت في الحديث.

- " لوك" إنه أنا .. "راشيل" أرجوك لا تقل أي كلمة قبل أن أنهي حديثي . "لوك"، لقد فاجأتني الحقيقة على حين غرة. لاأستطيع أن أ تركك أوأن أترك "چوردي" إني أحبك.من داخل أعماقي، كنت أشعر دائما أنني يوماً ما، وفي مكان ما، سأقابل رجلاً يغير مجرى حياتي بحبه . كان هناك دائما أمل، ثم منحتني أنت حبك . لقد أحببتك منذ اللحظة التي فتحت عيني فيها في حجرة الضيوف وكنت أنت هناك. كل ما كنت في حاجة إليه هو الإيمان . الإيمان

بنفسي . الإيمان بأن زواجنا سينجح ، لأن كلاً منا يعتزم أن يفعل ما بوسعه ليؤمن له ذلك. وأصبح لدي الآن هذا الإيمان."

أزعجها هذا السكون في الطرف الآخر." لوك" ؟ "

ربما قد طلبت رقماً خطأ. ربما لم يعد " لوك" يريدها، بعد كل هذا.

" لوك" ؟ هل أنت معي؟ "

- " إنني معك ."

كان يتنفس كأنما قد انتهى من سباق "الماراثون" لتوه ،

"هل أنت متأكدة يا "راش" ؟ "

-"أنا متأكدة يا "لوك"... هذا إن كنت لاتزال تريدني؟"

- " أريدك ؟ لقد جن عقلي في طلبك ، وفي انتظارك حتى تقومي بهذه الخطوة ."

-"هل كنت تعلم أني ساقوم بها ؟ "

-"كنت أتمنى يا عزيزتي" .

وذابت سحابات عدم التصديق، غرقت في الحب الذى انفجر به صوت " لوك" .

- "أواه يا"لوك" إني أحبك. لقد أضعت وقتاً طويلاً . إني آسفة."

جرت الدموع على وجهها فاختلطت بصوتها.

- " هل تبكين ثانية ؟ "

-"نعم" . وأومات "راشيل" برأسها ثم أدركت أن " لوك" لا يستطيع أن يراها .

"ولكنني أبكي فقط لأنني سعيدة ... سعيدة للغاية. أنا لاأدري لماذا تحبني ..."

فقاطعها بإصرار :

-"كفاك يا "راش" ، إني رجل محظوظ للغاية."

- " إن كنت ترى تلك فإني أود سماع المزيد، لاحقاً ."

ووصلته تلك الرنة الدافئة التي اختلطت بنبراتها السعيدة، فخفق قلب " لوك" جذلا. كان يتمنى أن يملأ حياتها بالمزيد من أشعة الشمس الدافئة، فلا تعود لها أبداً تلك السحابات تكدرها .

-"إنني لأبيع الدنيا كلها، وأضمك بين ذراعي ، في هذه اللحظة يا "راش" ."

كان صوته ينوب حباً فغشيتها السعادة، وقالت له بنعومة :

-" وأنا أيضا ."

-" أنا لست آسفاً على اتصالك الآن. ولكنك -بالقطع - قد تخيرت فرصة فريدة لكي تعرضي علي هذه الأنباء الرائعة . إني -الآن - لا أستطيع أن المسك ، أن أرى وجهك ."

-"متى ستعود؟" أخذت " راشيل" تسأله.

-" هذا ليس بالظرف الذي كنت أتوق له لعرض الزواج. إني أريد أن أعرض عليك الزواج مني في الظروف التي أتمناها منذ رأيتك ... ضوء القمر، الورود وأنت بجواري ."

-" سيكون لك كل ذلك ."

كانت نبراتها يغلفها غشاء حريري من الحب الدافئ فبدت لذيذة نادرة الوجود.

-" سأعود هذا المساء ."

-"سوف أتصل بدكتور" سميث "لأخبره أني لن أكون بتلك الطائرة."

وفجأة انتابها الخجل والحياء؛ قد تساعدها الكلمات ،

" ليتني علمت كل هذا مبكراً... كنت وفرت على نفسي وخزات تلك الحقن اللعينة. لسوف تسعد "حنا" جداً بهذه الأنباء ." أخذ " لوك" يقول لها :

-" كل إنسان سوف يسعد بها، سوف أتصل الآن بالقس " رڤراند هانسون"، لأسأله أن يعقد لنا قراننا بالمزرعة غداً ."

-"غداً ؟ " وأخذت "راشيل" :

-" ألن يكون هذا في غاية السرعة ؟ "

فرد عليها "لوك" بحزم :

-"لا. لقد كنت صبوراً بما فيه الكفاية. لسوف أبدأ العام الجديد ومعي زوجتي. إلاإذا كنت لا تريدين أن...؟ " ولم تجد "راشيل" وقتاً للتصنع .

-" إني أريد هذا ." كانت تقاطعه بحزم هي الأخرى ، " بشدة ."

-"لقد طلبت من دكتور "كنتون" أن يعمل لي تحليلاً للدم منذ أسبوعين ، كي ينفعني إن احتجت لاستصدار تصريح للزواج ."

وأخذ "لوك" يكمل لها ." تحسباً لأي تغير قد يجد في أحاسيسك ،فقد

استخرجت تلك الرخصة وتحدثت بالفعل إلى القس "رڤراند هانسون" ."

-"حسناً !!"

وهي التي كانت تقضي الليالي مسهدة، والساعات تمر بها بطيئة، تخاف أن تخرج بتلك الإجابة .

"سيكون عليك أن تخبرني من أين أتتك تلك الثقة في المحصلة النهائية ."

-" كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم يكن بإمكاني أن أقدمه لك يا حبيبة قلبي."

وأخذت نبرات "لوك" تصبح جادة غاية الجدة .

" ألا ترين ؟ لكي ينجح زواجنا، كان عليك أن تتخذي قرارك بنفسك . لم يكن الأمر أبداً انتظارا سهلا مني لمحصلة نهائية ستأتي حتماً. لم يكن هذا الانتظار سهلا أبداً. بجانب أنني في لحظة ما اعتقدت أن هذا التصرف النبيل الذي قمت بعمله قد يكلفني أن أفقدك نهائياً. كما أن " حنا" لم تكن لتؤازرني بالمرة، بتقديمها لي الجزر المسلوق كل يوم في وجبة العشاء، وبثرثرتها تلك عن ذوي القلوب الميتة إن وقعوا في الحب ." ضحكت "راشيل" وأخذت تتخيل فارسها الحبيب، الرائع، بملابسه الأنيقة ودرعه اللامع.

-"هناك الكثير مما يجب إنجازه يجب أن أعين " حنا" و" تيريزا" ليكون كل شيء معداً من أجل الغد. سيكون العمل كثيراً عليهما هذه الليلة ."

-" إنك لن تقومي بعمل أي شيء ." قاطعها "لوك" بحزم . " سيكون غدا الزفاف في إحدى دور المناسبات في "سانت باربارا"، لها سمعة ممتازة في هذا المجال. سأتصل بهم من فوري. وسوف نأخذ معنا فقط "حنا" و "بيتي" و"ديڤيد" وعائلة "رودريجز" و"جاسون". هل تتفقين معي على ذلك ؟"

وبعد أن سمع همساتها بالموافقة قال لها:

-" بعد ذلك، وعندما يعود أبي من رحلته البحرية ، سنقوم بعمل حفلة كبيرة ."

-" دعنا نصطحب " موچو" أيضا ."

كانت تشعر أنها صارت أماً روحية له ، تلك الأم الروحية التي تنشر عدلها على صور متعددة هذه الأيام ، فتملأ الأرض رحمة، وتملؤها عدلاً. ثم مالت أفكارها

arabicelromancia.com

إلى منعطف آخر.

-" ولكن ليس لدي فستان زفاف لأرتديه. ربما أطلب من " چاسون " أن يصطحبني إلى" سانت باربارا ".

-" اهدئي بالاً، " ثم قال لها " لوك " :

" إن "حنا" و"تيريزا" قد أشارتا بوجوب أن يرتدي ثلاثتكم نفس ثوب الزفاف. لقد ارتدت كلتاهما ثوب زفاف أمي ، وقد أشارتا بأنك قد تحبين ارتداءه بدورك. لقد قامتا بتنظيفه بالفعل، وأخبرتاني بأنهما تستطيعان ضبط مقاسه عليك في ظرف نصف ساعة ".

-" بأمانة !"

كان صوتها يبدو ضعيفاً ، لم تع حقيقة كل هذه الترتيبات ، إنها لمحظوظة أن تعثر على كل هؤلاء القوم الذين يهتمون بأمرها ويقومون برعايتها.

-"لسوف نأتي بكافة جهازك ولوازمك من ملابس وأدوات تجميل وخلافه بمجرد انتهاء شهر العسل ."

-" وهل سنسافر حقاً لقضاء شهر عسل ؟ "

لم تكن لتفكر بمكان تقضي فيه الأسابيع الأولى لزواجها أفضل من "ديامونڈ بار".

-" نعم سنسافر" ، كان "لوك" يتحدث بنبرته تلك الحازمة ،

"والمكان الذي سنسافر إليه سأبقيه سراً عنك ولا أريد أن أسمع كلمة واحدة بشأن "چوردي" ،سيمكث" بيتي" و " باد" بالمزرعة حتى نعود، وسيكون هو بخير.نحن بحاجة إلى هذا الوقت نمضيه منفردين كل بصاحبه ."

قالت " راشيل" بخبث :

-" حاضر يا "لوك"." فسألها متشككاً :

-"هل" تسخرين مني؟ "

-" من ؟ أنا ؟ "

كانت" راشيل " تسأله ببراءة ماكرة

" إني لا يمكن أن أفعل مثل ذلك." إنها بحاجة إلى الوقت الكافي، كي تخبره

بخططها بشأن تكوين عائلة كبيرة، مما سيصبح شغلهم الشاغل لسنوات عديدة قادمة ، إذ سيكون لـ "چوردي" عدد غير قليل من الإخوة والأخوات .

-" فلتقومي الآن بأخذ قسط كاف من الراحة ، ولتنتظريني ". كان "لوك" يتحدث إليها، وسعادته تطير إليها عبر الأسلاك، تأتيها واضحة جلية كما لو كان يقف الآن أمامها .

-" أنتظرك الآن ؟ ولكن لماذا ؟ "

كانت" راشيل" تسأل بلهفة. فأخذ خطيبها يشرح لها بالتفصيل لماذا.

* * *

عندما عاد ، عثر عليها بغرفة المعيشة . تستعد لإحدى خططها الصغيرة . كان المصباح الوحيد الذي أضاءته يغمر الحجرة ببريق وردي أخاذ. حركة الكرسي الهزاز أخبرته أنها تجلس عليه. ألحان أغنية رقيقة تنساب إلى أذنيه وهو يقف من خلفها. لبث واقفاً مكانه، تاركاً انسياب هذا اللحن إليه، داعياً أملاً أن يحتفظ بها دائماً إلى جواره، معه هنا في الدار .

مرت " أنچيلا " بجواره، قالت شيئاً لـ " راشيل"، حملت منها " چوردي" إلى ذراعيها وهرعت به إلى خارج الحجرة ثم أقفلت الباب من ورائها، وابتسامة سعادة تملأ صفحة وجهها.

لا يوجد الآن مخلوق آخر معهما. لقد كان كل من بالدار يعلم ما يجب عليه فعله، كل منهم كان قد أخذ تعليمات خاصة بما يفعل وبما لا يفعل . وقفت "راشيل" ، استدارت لترى أين أخذوا " چوردي" بمثل هذه العجلة. رأته فتجمدت مكانها. انتظر " لوك". هل غيرت رأيها ثانية؟

-" "لوك" ." كانت ابتسامتها لا تزال تحمل معاني عدم التصديق .

-" "راش" . خرج صوته قوياً، لا يشبه ما بداخله، يخفي مخاوفه .

جرت إليه، رمت بنفسها بين ذراعيه المفتوحتين تنتظرانها، تتعلق به كأنما لن تسمح له بالابتعاد عنها مرة أخرى ،

-" إني أحبك يا " لوك "."

كانت الثقة التي تملأ حبها، يشعر بها في لمساتها. في وجهها. تلمع من عيونها، فعلم أنها ستمنحه نفسها، جسداً وعقلاً وروحاً.

- "وأنا أحبك يا حبيبة قلبي."

التقت شفتاهما، مع وعد عذب بالأبدية والخلود. وعلم "لوك" أنهما سيقضيان البقية الباقية من حياتهما، يحتفلان بهذا الحب.

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة